

دور الحضارم في صناعة السفن بميناء عدن والموانئ الجنوبية

الإمام محمد بن علي القلعي
ناشر المذهب الشافعي بحضرموت



من أعلام حضر موت



د. سید المصطفیٰ عظیمی بکیر

(۱۹۴۶-۱۹۹۸ م)

محتويات العدد

حديث البداية

- المكان وتكريس الماضي العلمي رئيس التحرير 4

أضواء

- من أرشيف الجامعة المصرية في ثلاثينيات القرن ٢٠ م أ.د. محمد بن هاوي باوزير 7
- وثيقة حلف القيعطي وبنو بكر (حضر موت - ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م) محمد البكري - أحمد الرباكي 13
- الإمام محمد بن علي القلعي ناشر المذهب الشافعي بحضر موت أكرم بن مبارك عصبان 22

حوار

- السيد محمد جمل الليل ناسخ القرآن الكريم بخط اليد أحمد بادويلان ومحمد بن صويلح 38

كتابات

- عن خرائط الخوف د. سعيد الجبريري 40

نقد

- عن الدراسات الموضوعية والفنية للأدب - شجون نقدية - د. أحمد سعيد عبيدون 42

دراسات

- أثر "القياس" على منهج النقد الحضاري، عند محمد الجابري - كتاب (تكوين العقل العربي) أنموذجاً ... زهير الهويل 46
- دور الحضارم في صناعة السفن الخشبية بميناء عدن، والموانئ الجنوبية، والملاحة عليها ... طاهر ناصر المشطي 57
- الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب ... ساحل حضر موت (أنموذجاً) ... عمر خميس بامتيرف 74

شخصيات

- الشاعر الراحل/ عوض باموسى الرحباني محمد حسن الحسن 92

حكايات

- العودة إلى زنجبار!! مسعود علي الفتيني 98

إبداع

- هذيان الكرونا (سرد) حسين السقاف 108
- نوافذ حضرية على شجن في الطريق (سرد) صالح بحرق 111
- يا موت مهلاً (قصيدة) د. عبدالله سالم زين باحميد 112

توقيع قلم

- (قبصة حشيمة) أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 113

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الخامسة العدد (17)

يوليو - سبتمبر 2020م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوقست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - حي الشهيد - (معهذ باثريف سابقاً) - ت. ٢٥٠١٢٥

المكان وتكريس الماضي العلمي

لماذا لم يهتم أغلب علماء الدين الحضارمة بالتأليف، واكتفوا بالتدريس فقط؟

سنحاول الإجابة عن هذا السؤال بعدة احتمالات..

- تواضع العلماء، وزهدهم في الشهرة واتساع الصيت.
- قلة ذات اليد، وللكتابة تكاليفها الخاصة من الأحبار والورق.
- أساسية المعرفة التي كانوا يلقونها على طلابهم، والتي تنحصر غالباً في فقه العبادات، والمعاملات، والفرائض.
- رغبتهم في ربط الدين بالمجتمع بشكل مباشر، سواء من خلال الدروس التي تلقى على طلابهم، أو على أفراد المجتمع بشكل عام بعيداً عن الاهتمام الكبير بالجانب النظري (أصول الفقه والعقيدة).
- سيادة نوع من الانسجام الفكري من جراء واحدية المذهب في حضر موت على مدى قرون.



د. عبد القادر علي باعيسى
رئيس التحرير



• شغفهم بالحديث الشفوي الذي يعطي للفرد المتحدث هيئته ووقاره كما هو معروف في التقاليد الشفاهية.

من غير أن ينفي هذا وجود تأليفات ظاهرة لعلماء الدين الحضارمة لا تنكر تجاوز أثر بعضها حدود حضر موت. وبغض النظر عن تنوع هذه الاحتمالات فإن لهذه الظاهرة منطقها الداخلي، وآلياتها التكوينية المرتبطة بأبعاد تاريخية واجتماعية، والتي هي بحاجة إلى دراسة لا سيما إذا تم المحافظة على المكان نفسه الذي كانت تلقى فيه الدروس من غير أن تتغير بنيته: المسجد، الرباط، المدرسة، الزاوية، إذ يعيد المكان إحياء زمن التدريس، فيمتزج المتخيل التاريخي بالمتخيل الاجتماعي بالمتخيل الديني الذي يكون له بالغ الأثر في المجتمع، ويغدو الماضي هو الأجل في ظل ذاكرة حية تعيد رواية أخبار السابقين ومزايا شخصياتهم. ولذا نجد في كتاباتنا الحضرية المعاصرة من يعدد ذكر الأمكنة، وما يتلوها من أسماء الأساتذة، والزملاء، وأوضاع التدريس، مما يتحول معه المتخيل الديني / الاجتماعي إلى تقليد تاريخي في الكتابة والتعليم بحيث لا تتولد تجربة جديدة، ويبدو نظام التعليم، ولسنين طويلة، أشبه بالفطرة حيث تثبت آليات التفكير والاستقبال. وعليه يكون أمس هو اليوم أو قريباً منه ما دامت خصائص المكان العلمي، وأنماطه، وما يلقي فيه من دروس، ومناهجها، وطريقة الإلقاء والتدريس لم تتغير.



الجعدي يستقبل نائب رئيس جامعة الأحقاف



إعلام المركز:

استقبل أ.د. عبدالله سعيد الجعدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه مساء يوم ٨ / ٩ / ٢٠٢٠م. صادق عمر مكنون نائب رئيس جامعة الأحقاف، الذي يزور المركز بين الفينة والأخرى، حيث تبادل أطراف

وفي ختام اللقاء أهدى أ.د. الجعدي الدكتور مكنون عددًا

من نسخ مجلة حضرموت الثقافية الصادرة عن المركز.

حضر اللقاء الدكتور عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز.

الحديث في عدد من القضايا المتعلقة

بالأوضاع الحياتية وأثرها في الحراك العلمي والثقافي

والبحثي في حضرموت. متمنياً كل منهما للآخر التوفيق

والنجاح في أعماله ومهامه.

زيارة إدارة مؤسسة (سواعد وطن) إلى مركز حضرموت

والنشر بهدف تبادل الخبرات فيما يتعلق بتنمية الوطن والاستفادة من خبرات الكادر العامل بالمركز.

وقد أبدى أ.د. عبدالله سعيد الجعدي المدير العام للمركز سعادته بهذه الزيارة والأفكار التي دارت فيها وتطلعات الشباب إلى بناء أنفسهم ومجتمعهم، فيما أعرب

الضيفان الكريمان عن سعادتهم بزيارة المركز وحسن التجاوب الذي أبدته إدارته مع مؤسستهم وما يعمل على تنميتها وتفعيل دورها في المجتمع.

حضر اللقاء د. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز.



إعلام المركز:

مساء الأربعاء ٣٠ / ٩ / ٢٠٢٠م، قام الأخ عبدالله حسن العطاس مدير العلاقات العامة بمؤسسة (سواعد وطن) والأخت صفاء حمدي مدير إدارة المشاريع بالمؤسسة بزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق



من أرشيف الجامعة المصرية في ثلاثينيات القرن ٢٠م

تقرير بعثة الجامعة المصرية لحضرموت (١٩٣٦م)

بعثة الجامعة المصرية من أوائل بعثات البحث العلمي التي أوفدها كليتا الآداب والعلوم بالجامعة المصرية إلى جنوب بلاد العرب في عام ١٩٣٦م (اليمن وحضرموت). ونحن هنا بصدد زيارة البعثة لجزء عزيز ومهم من بلاد العرب، ألا وهو بلاد الاحقاف حضرموت، وسنتطرق في هذه الورقات للجهة المصرية التي أرسلت هذه البعثة مع تسليط الضوء على أعضائها، ومن ثم تتبع سير البعثة من مصر حتى وصولها للأراضي الحضرمية، وأخيراً الأنشطة البحثية العلمية في حضرموت ونتائجها، ولعل في إعادتنا لهذا التقرير إفادة.

المصرية فهو الأستاذ أحمد لطفي السيد (١٥ يناير ١٨٧٢ - ٥ مارس ١٩٦٣م)، وهو من رواد حركة النهضة والتنوير في مصر، عمل وزيراً للمعارف ومن ثم للدخلية، ورئيساً لمجمع اللغة العربية، ورئيساً لدار الكتب، ومديراً للجامعة المصرية، وفي عهد مديرها صدر مرسوم لإرسال بعثة علمية لبلاد العرب (اليمن وحضرموت) وتسمية أعضائها، وذلك في عام ١٩٣٦م، وخصص لها مبلغ ألف جنيه مصري، وكانت قسيمته آنذاك تعادل ألف جنيه أسترليني أو تزيد.

ثانياً: بعثة الجامعة المصرية لحضرموت:

هي البعثة التي اشتركت في إيفادها كليتا الآداب والعلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة فيما بعد)، وكانت مكونة من أربعة أعضاء هم:



أ.د. محمد بن هاوي باوزير

أولاً: الجامعة المصرية:

الجامعة المصرية، من أقدم الجامعات المصرية والعربية، تأسست في عام ١٩٠٨م، وظلت تحمل هذا الاسم حتى عام ١٩٤٠م، ثم صدر مرسوم بتسميتها، جامعة الملك فؤاد الأول (١٩٤٠ - ١٩٥٢م)، وفي سبتمبر ١٩٥٣م صدر مرسوم بتعديل اسم الجامعة إلى جامعة القاهرة (١٩٥٣ - حتى يومنا هذا). أما أبرز أعلام الجامعة



الدكتور سليمان أحمد الحزين (١٩٠٩-١٩٩٩م)، وتخرج من كلية الآداب قسم الجغرافيا، مؤسس جامعة أسيوط عام ١٩٥٥م وأول رئيس لها، ومن أبرز أعلامها ومفكرها. حصل على الدكتوراه في عام ١٩٥٣م من جامعة مانشستر بإنجلترا عن دراسات عربية ومصرية. وبعد عودته لمصر اختير رئيساً لبعثة الجامعة المصرية لحضر موت.

أما بقية الأعضاء فهم: عالم النقوش الدكتور خليل يحيى نامي (١٩٠٧-١٩٨٢م) عن كلية الآداب، متخصص في مجال دراسات اللغات السامية، وله دراسات في جنوب بلاد العرب في تاريخهم ولغاتهم ودياناتهم، ومن أبرز دراساته نشر نقوش عربية جنوبية. والدكتور نصر شكري، والأستاذ محمد توفيق الدسوقي عن كلية العلوم. وقد كان لهذه البعثة العلمية غرضان أساسيان: الأول: إجراء بعض البحوث العلمية الخاصة بالجيولوجيا والتاريخ، والآثار القديمة، ودراسة

الأجناس (الانثروبولوجيا)، وعاداتها ولهجاتها. والآخر تمكين أو اصر الصلات الثقافية بين مصر وحضر موت، وتعريف أهل حضر موت ببعض نواحي النهضة المصرية الحديثة.

ثالثاً: تقرير بعثة الجامعة المصرية:

انطلقت البعثة من مصر، واستغرقت الرحلة قرابة سبعة أشهر ما بين أبريل ونوفمبر سنة ١٩٣٦م، من عدن إلى لحج ومن ثم اتجهت البعثة نحو العديد من مناطق اليمن وأخيراً إلى الحديدة، والحديث عن ذلك طويل وليس محله هنا^(١). وبالنسبة لحضر موت اتخذت البعثة طريق البحر من الحديدة إلى جزيرة بريم ومنها لعدن ثم المكلا ومنها إلى مدينة الشحر (انظر الخريطة) ثم اتخذت قافلة البعثة طريق البر بالسيارات فوق هضبة الحموم إلى وادي حضر موت حيث زارت البعثة تريم، وسارت شرقاً على طول الوادي إلى قبر هود وبئر برهوت، ثم العودة لتريم ومنها غرباً إلى





بعض القبائل التي تعمل هنا وهناك كالرعي المؤقت عقب مواسم الأمطار.

وفي حضر موت أيضاً يمكن التمييز فيها بين ثلاثة أقاليم أساسية هي:

١- الشاطئ والمنخفضات المتصلة به، والحياة في هذه الجهات الساحلية خليط بين الاعتماد على صيد البحر، والقيام بقليل من الزراعة، وكان لتنوع موارد الحياة على هذا النحو أثره في الحالة الصحية العامة، بالرغم من تفشي بعض الأمراض، خصوصاً بالجهات التي توجد بها المستنقعات.

٢- المناطق المعروفة بالجلول، وهو لفظ يطلق هناك على الهضاب الصخرية المنبسطة والمكونة من حجر الجير (الأبوسيني)، وتقطعها الوديان العميقة الجوانب، وقد استطاعت البعثة أن تدرس في سطح هذه الهضاب ووديانها دورات فزيوغرافية عدة للتحات والأرساب، يرجع بعضها إلى العصر المطير في الزمن الجيولوجي الرابع. وتقول البعثة إن الأمطار في الوقت الحاضر في بعض الجهات، وتسودها حالة من الجفاف، ولذلك فإن سكان الجلول من نوع القبائل الرحل.

٣- وادي حضر موت وفروعه، وأهمها وادي دوعن ووادي عمد، وهذه الوديان عبارة عن مجار هائلة، وقد زارت البعثة بعض المناطق السفلى من الوادي (وادي حضر موت الأسفل) حيث تجتمع المياه الأرضية في مجراه، كما درست البعثة مجراه إلى قبر النبي هود، والحياة في الوديان بحضر موت زراعية مستقرة. بالإضافة إلى الموارد المحلية الزراعية هناك مدن عدة مهمة يقطنها التجار من الحضارمة الذين يهاجرون إلى الشرق الأقصى، فيجمعون

سيئون وشبام والقطن وحريضة، فالمشهد وخرائب ريون. ثم على طريق القوافل في وادي دوعن إلى الخريبة، ومنها لهضبة الجلول إلى كور سيبان ثم المكلا مرة أخرى ومنها بالبحر إلى عدن ومصر. وقد قطع أعضاء البعثة في أثناء الرحلة مسافات طويلة، الجزء الأكبر منها بالسيارات، وبعضها على ظهور الدواب أو سيراً على الأقدام.

وقد درست البعثة المنطقة الساحلية في حضر موت وبقايا الأرضة البحرية هناك، كما جمعت منها كمية من القواقع. ثم انتقلت إلى الهضبة الداخلية حيث تسود الرواسب الجيرية التي ثبت أنها ترجع إلى أوائل عصر الأيوسين (أول الزمن الجيولوجي الثالث)، ولو أنها تركز في كثير من المواضع على رواسب رملية أو كوارتسية ترجع على ما يظهر إلى أواخر العصر الكريتاسي (آخر الزمن الثاني). وقد توصلت البعثة هنا إلى اكتشاف بعض آثار يرجح أن تكون لثوران بركاني في بداية عصر الأيوسين. أما بالنسبة للثروات المعدنية (وجدنا في بعض جولاتنا أدلة على وجود بعض آثار للبترول في جهات مختلفة من حضر موت).

- دراسة البيئة الجغرافية:

عنيت البعثة بدراسة البيئة الجغرافية للمناطق التي زارتها، وتأثير هذه البيئة في الحالة العمرانية العامة، وقد درست الأقاليم الجغرافية (الطبيعية) للركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، ومنها حضر موت وفيها الأحقاف وحدود الربع الخالي، وهي تمثل مناطق رملية وملحية في بعض الأحيان. ومع أن أحد طرق القوافل القديمة يقطعها من الشمال إلى الجنوب فإنها تكاد تكون الآن (أي وقت وجود البعثة) خالية من السكان، فيما عدا



ثروات طائلة ثم يعودون للحياة في وطنهم الأصلي، وينفقون ما جمعوا من الأموال في إعمار بلادهم فزادت مظاهر العمران في هذا الوادي.

وبالإضافة إلى تلك الأقاليم الثلاثة الأساسية في حضر موت، نجد الأحقاف وحدود الربع الخالي، وهي تمثل مناطق رملية وملحية في بعض الأحيان. ومع أن أحد طرق القوافل القديمة يقطعها من الشمال إلى الجنوب فإنها تكاد تكون الآن (وقت وجود البعثة) خالية من السكان، فيما عدا بعض القبائل التي تعمل في الرعي المؤقت عقب موسم المطر، أما بالنسبة للمناخ فبالإضافة إلى ذلك كان على البعثة أن تقوم ببعض التسجيلات الخاصة بالمناخ نظراً لأنه يكون عنصراً مهماً من عناصر البيئة الجغرافية، وقد استطاعت البعثة خلال مدة وجودها في حضر موت أن تجمع من المعلومات ما يساعد على إعطاء صورة صحيحة بقدر الإمكان عن الحالة المناخية آنذاك.

الآثار والنقوش القديمة في حضر موت:

بذلت البعثة جانباً من مجهودها ووقتها في البحث عن الآثار بإجراء الحفريات في التكوينات والرواسب القديمة وفي الأكوام الأثرية والكهوف التي يحتمل أن يكون الإنسان الأول قد قطنها، وقد عثرت البعثة على كميات ضئيلة من آثار العصر الحجري القديم، وعلى كميات كبيرة من الآثار والآلات الحجرية الأحداث عهداً، وعند مقارنتها بينها وبين الآثار المصرية فإن الصلة بينهما لم تكن واضحة، وأنها أقرب ما تكون إلى ما عرف من الآثار في شرق أفريقيا، وعلى الأخص كينيا والحبشة. وواصلت البعثة المصرية بحثها بين آثار حضر موت خصوصاً خرائب رييون قرب المشهد بوادي دوعن، حتى

استطاعت أن تثبت أن هذه المخلفات متأخرة في تاريخها كثيراً عن مثيلاتها من الآثار المصرية. وعلى ذلك فلم يبق شك في أن هذه الأخيرة قد سبقت بمدة طويلة جنوب بلاد العرب وشرق أفريقيا. ويسرنا بهذه المناسبة (لسان حال البعثة) أن نذكر أن بعثة أثرية بريطانية توجهت لحضر موت، وقامت بأعمال تنقيسية في عامي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ م في (وادي عمد) منطقة حريضة (م ذ ب م) القديمة، وكانت البعثة بقيادة (كاتن تومبسون) عالمة الآثار وزميلتها الجيولوجية (أ. جاردنر) والمؤرخة (فرايا ستارك) صاحبة المؤلفات المعددة عن حضر موت، ولها الفضل في العثور على النقش RES ٥٠٨٠ المتضمن معلومات عن أعمال الري بأودية حضر موت. وقد بلغنا من رئاسة البعثة أن نتائج بحوثها وحفرياتها تتفق تماماً مع ما توصلت إليه بعثتنا المصرية من قبل، وقد نشرنا خلاصة لبحوثنا في عام ١٩٣٧ م بمجلتي (Nature الإنجليزية) و (anthrologie' L الفرنسية) حفظاً للأسبقية (٢).

كما جمعت البعثة عدداً من النقوش من خرائب رييون، وعدداً كبيراً من المخربشات (الجرافيتي) على الصخور خصوصاً قرب مدينة شبام، وهذه المخربشات من عمل الرعاة والتجار إذ ذاك، وهي تصور لنا الحياة الشعبية والنشاط الرعوي والتجاري، خصوصاً وأنها تصطحب بغير قليل من رسوم الحيوانات والصور الرمزية، مما نقلته البعثة وصورت ما أمكن تصويره منه. وقد تبين أن عدداً كبيراً من هذه النقوش أو المخربشات يمثل أسماء أعلام وهذا في نفسه سيكون مفيداً؛ لأنه يعطينا فكرة عن الأسماء الشعبية الشائعة في ذلك الوقت. ويستمر الحديث للبعثة.. وفي طريق عودتنا من خرائب حضر موت الداخلية إلى



عنصرية، ويعمل الرجال منهم كجنود في الغالب، اللهم إلا في بعض جهات ساحلية كالمنطقة الواقعة غرب المكلا حيث استوطن الزنوج (حجر) واشتغلوا بالزراعة واختلطوا بالأهالي الأصليين منذ أجيال عديدة، ويلاحظ أثرهم في ظهور عنصر خليط، تغلب الصفات الزنجية فيه من حيث لون البشرة، وفلقة الشعر (أو شدة تجمعده) واستعراض الأنف وانفطاسه.

دراسة الإثنوغرافيا واللهجات:

لم يكن في برنامج البعثة عمل دراسة تفصيلية لحالة السكان الحضارة فيما يتصل بالإثنوغرافيا أو علم وصف الشعوب، ورغم ذلك قام فريق البعثة بجمع المعلومات الإثنوغرافية في الجهات التي مروا بها والتعرف على بعض مظاهر الحضارة المادية كنوع السكن، وأدوات المعيشة عند القبائل، ثم مظاهر النشاط الزراعي والرعوي وأدوات كل منهما إلى غير ذلك من الدراسات المتعلقة بنوع التحضر المادي ودرجته.. بالإضافة إلى دراسة بعض النظم الاجتماعية الحضارية، حيث يوجد نظام الطبقات بشكل أوضح منه في عديد من مناطق جنوب الجزيرة العربية التي يسودها نظام القبائل على النحو المعروف، فامتازت حضرة موت بنظام الطبقات والفرقة بينهم على أساس اجتماعي وعلى نحو يختلف عما هو معروف في بقية شبه الجزيرة العربية، بل إنه يشبه نظام الطبقات في الهند من بعض الوجوه وبدرجة مخففة.. وقد أمكن التمييز في حضرة موت بين الطبقات الآتية (فيما عدا أسر السلاطين السابقين من آل القعيطي وآل الكثيري)، وقد تم تصنيف الطبقات على النحو التراتبي التالي: السادة الأشراف، والمشايع، والقبائل، والضعفاء والمساكين والعبيد.

الشاطئ تم العثور على عدد من النقوش التي حفرها التجار والمسافرون القدماء على الصخور في ذات الطريق التي تستعمله الآن بين وادي دوعن والمكلا، وقد كان هذا دليلاً طريفاً على أن الطريق الحالي هو بعينه الذي كانت تستعمله القوافل في عهد الحضارات الحضارية القديمة.

دراسة السلالات البشرية:

وقد كان من ضمن برنامج البعثة دراسة السلالات البشرية من حيث الأصل والسلالة الجنسية وبعض الصفات الجنسية العامة كلون البشرة والعينين، ولون الشعر ونوعه... إلخ، وقد استطاعت البعثة أن تدرس نحو (٥٣٠ شخصاً) بحضر موت بمعدل حوالي ٢٥ مقياساً وملاحظة للشخص الواحد، وسجلت كل هذا على فيشات خاصة، كما أخذت صوراً فوتوغرافية أمامية وجانبية لأعداد منهم، وقد تبين وأمكن الحكم إجمالاً بأن جنوب غرب بلاد العرب ومنهم الحضارة لا يختلف عن شمال بلاد العرب من حيث الجنس والمميزات الجنسية، وإنما فوق ذلك يمثل منطقة مختلطة تسكنها عناصر مختلفة، لا بد وأنها وصلت إلى هذا الجانب أو ذاك من شبه الجزيرة العربية في أكثر من موجة سلالية واحدة في أثناء الهجرات القديمة. وقد تبين من خلال تلك الهجرات الأفر وآسيوية القديمة إلى حضرة موت أنها حملت بعض المميزات الجنسية. وعلى سبيل المثال ظهور الأثر الآسيوي والإفريقي في حضرة موت الداخل، أما الجهات الشاطئية من حضرة موت فالأكثر بروزاً كان الأثر الإفريقي كنتيجة للهجرات من ناحية، ولجلب العبيد الزنوج من ناحية ثانية، ورغم عدم ميلهم للاختلاط بالعناصر السوداء الذين يمثلون مستعمرات ويعيشون في شبه عزلة



كذلك عنيت البعثة بدراسة اللهجات في حضر موت، فجمعت قوائم طويلة من الألفاظ والمصطلحات خصوصاً الدخيلة على العربية، كالسواحلية (شرق أفريقيا) أو الدخيلة من ناحية الهند والملابار، ودراسة تراكييها وطرق النحو والتعريف والإعراب، كما سجلت البعثة عدداً قليلاً من أسطوانات السمع لإثبات اللهجة في النطق بحسب الإمكانيات المتاحة آنذاك^(٣).

وأخيراً قال رئيس البعثة الدكتور سليمان حزين: (وقبل أن نختم هذا التقرير، لا بد أن نشير بكلمة موجزة إلى الناحية الثانية من مهمة البعثة، وهي الناحية الثقافية. فقد كان علينا أن نحمل رسالة مصر الحديثة الناهضة إلى هذا الركن العربي من الجزيرة العربية، وأن نعرف القوم هناك ببعض مظاهر النهضة المصرية الحديثة.. ورغم بعض المصاعب التي واجهت البعثة، إلا أن برنامجنا العلمي والثقافي أنفذ على وجه هو أقرب ما يكون إلى الكمال.. ولا ننسى أيضاً ما قوبلت به وفادتنا من ترحيب وما أظهر إخوتنا الحضارة من تقدير خالص لرسالتنا الثقافية، ولا فيما بذله الأعضاء من مجهود ليكونوا عند حسن ظن الجامعة بهم حين شرفتهم بأن يكونوا رسل هذه الدعوة الثقافية.

ومسك الختام وخارج نطاق البرنامج العلمي للبعثة، قام أعضاؤها ببعض الزيارات في حضر موت، كزيارة بعض المنشآت التعليمية الحضرية، وزيارة جامع الرباط بتريم وهو أكبر معهد ديني بحضر موت، كما عنيت البعثة بالتعرف إلى عدد كبير من الوجاهات وكذا من الشباب المثقف، ومن قادة الفكر والداعين إلى النهضة. ويلاحظ من هذه الناحية أن الحضارة بحكم اتصالهم بالعالم الخارجي، وكثرة أسفارهم للعمل في التجارة، وقد

أصبحوا أكثر استعداداً لاقتباس معالم النهضة الحديثة، والأخذ بوسائل التقدم الحديث، وقد سهل ذلك بالطبع مهمتنا الثقافية بينهم إلى حد كبير. من كل ما تقدم يتبين أن البعثة قد حاولت أن تجعل إقامتها في حضر موت وكذا بقية مناطق جنوب الجزيرة العربية التي زارتها نافعة ومفيدة بقدر الإمكان، بهدف توثيق العلاقات العلمية والثقافية وإنائها بين مصر وهذا الجانب العزيز من جنوب الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص حضر موت^(٤).

الهوامش والمراجع:

- ١ - البعثة أرسلتها الجامعة المصرية إلى اليمن وحضر موت في عام ١٩٣٦م وقد قامت البعثة برحلتها إلى العديد من مناطق اليمن ودرست جوانب كثيرة منها ورفعتها في تقريرها في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٨م، وفي كتاب الدكتور سليمان حزين: أرض العروبة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧م، ص ٣٧٢ وما بعدها.
- ٢ - خوفاً من أن تضيع على الجامعة المصرية الأسبقية العلمية نشرت بعض نتائجها في أبحاث، فمثلاً بحث عن الأعمال والاكتشافات الأثرية للبعثة بحضر موت ومقارنتها بآثار إفريقية الشرقية مع عناية خاصة بتطور فن الرسم والنقش على الحجر في ذلك الوقت.
- ٣ - يلاحظ أنه في ذلك الوقت (عام ١٩٣٧م) لم يكن نظام التسجيل على أشرطة الكاست قد عُرف بعد (البعثة).
- ٤ - ومن أهم مراجع تقرير البعثة المصرية عن حضر موت ما يلي:
- مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٣٨م). بالإضافة إلى ما نشر لبعض النتائج في مقالات ونشرات متفرقة.
- مجلتي: الإنجليزية، والفرنسية.
- كتاب رئيس البعثة المصرية لحضر موت (د. سليمان حزين)، أرض العروبة رؤية حضارية في المكان والزمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.



وثيقة حلف القعيطي وبني بكر

(حضر موت - ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م)



أحمد صالح الرباكي



محمد حسين بن دينيش البكري

مقدمة:

منذ القرن العاشر الهجري أصبحت يافع طرفاً مهماً في أحداث حضر موت السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل القرن الثاني عشر الهجري من أهم القرون التاريخية التي عاشتها حضر موت، ففي سنواته انفكت عرى السلطنة الكثيرة وسيطرت القوى اليافعية، وتكونت الحاميات الحاكمة الصغيرة، والإمارات المحلية على المدن والقرى الحضرية، وشهدت حضر موت

صراعاً قبيلاً شديداً (١)، وانعداماً للأمن في الحواضر والضواحي، وهذه الحالة من اللاستقرار السياسي والأمني جعلت تلك القوى تسارع في ضمان مواقعها وحواضرها ومناوئها، فكانت الأحلاف القبلية هي الملجأ الذي تسابقت فيما بينها إليه.

وتداولت مدن حضر موت في القرن الثاني عشر الهجري وما بعده نظاماً سياسياً لم يكن جديداً عليها، فقد عاشته من قبل ذلك ما يعرف بإمارات أو دويلات المدن (٢)، وفي هذا القرن عاد النظام مرة أخرى في شكل حكم الحاميات اليافعية، وهي دويلات صغيرة ومتعددة تنهض إحداها وتنخفض أخرى، توزعت على معظم القرى والمدن الحضرية، ثم تدرجت بعض هذه القبائل ضمن الحاميات الصغيرة بدءاً بالحارة وانتهاء بالإمارة، ولعبت دوراً كبيراً في الصراع السياسي داخل حضر موت.

بثلث، وتريس لابن النقيب شيخ يافع وعاقلمهم (٣). وقد استثمرت يافع جيداً سياسة التحالفات خلال القرون التي حكمت فيها حضر موت سواء في زمن الإمارات أو في زمن السلطنة القعيطية فيما بعد حتى ١٩٦٧م، هذه التحالفات صنعت علاقات مع أطراف الصراع، ومع قوى الجوار سواء كانت بينها وبين آل كثير، أو بينها وبين الإمارات الصغيرة ذات الحكم الذاتي في مناطقها، وبخاصة بعد بروز عهد الإمارات اليافعية، ولعل هذا عائد إلى تأثيرها القوي في إسقاط الأسر الحاكمة التقليدية، واتخاذها من التحالفات منهجاً لها لضمان مصالحها الاقتصادية والسياسية المشتركة مع هذه

بعد انتصار السلطان عمر بن صالح بن هريرة في معركة بحران الفاتح من محرم ١١١٨هـ كان من نتائجها أن أعاد للسلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري كرسي حكمه وإرث آبائه، وصفت له كل المدن والبلدات ووفى بطلبه، ولتأمين تلك الانتصارات فقد أعاد ابن هريرة توزيع القوى اليافعية على مدن حضر موت وقرائها التي كانت موجودة سابقاً في حضر موت، ومن دخل معهم من الأقوام التي جاءت معه، ولهذا قام بتوزيعهم توزيعاً عسكرياً في أساسه، وتوزيعاً أمنياً في مهمته حيث وزعهم كحاميات لنشر الأمن واقتسموا البلدان الرئيسة ثلاثة أقسام: شبام وهينن بثلث، وسيئون ومريمة بثلث، وتريم



وارتأينا أن نسلط الضوء عليها، وعلى دور تلك المعاهدات في استمرارية السلام بينهم والمشاركة في حفظ الأمن المجتمعي.

حلف القعدة وبني بكر:

التحالف من حلف، والحلف المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق بين طرفين أو أكثر، فيقال: حالف فلان فلاناً فهو حليفه، وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالأيان أن يكون أمرهما واحداً بالوفاء^(٦).

من بين ركام المئات من الوثائق التي تحتفظ بها أسرة آل دينيش عقاب بني بكر يافع، هذه الوثيقة التي بين أيدينا من أرشيف الأسرة، وتنشر لأول مرة، وتتضمن حلفاً قبلياً بين فصيلين كبيرين من القوى الحاكمة بحضر موت قبيلة القعيطي بفروعها الكثيرة، وقبيلة بني بكر بدورهم السياسي والديني، الذين كان لهم دور كبير في تاريخ حضر موت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين على وجه الخصوص؛ حيث سنوات حكم الحاميات اليافعية لمدن حضر موت وقراها، فأثروا تأثيراً كبيراً في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية إلى جانب دورهم في تاريخ بلاد يافع، وتدل على ذلك هذه المراسلات والمكاتبات التي بين أيدينا التي هي إما بأقلامهم وإما موجهة إليهم، وكانوا شهود عيان على أحداث كثيرة في حضر موت ويافع.

هذه الوثيقة التي بين أيدينا توثق حالة من الوضع السياسي الدائر بحضر موت من تحالف القوى الحاكمة ودورها في حفظ الأمن والسلام.

رقم الوثيقة: دينيش ٢	نوعها: حلف قبلي
مصدرها: أرشيف محمد بن حسين دينيش - مدينة بني بكر - يافع	تاريخها: الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١١٩٨ هـ الموافق ١٢ أبريل عام ١٧٨٤م
مكان صدورها: حضر موت	الحالة: جيدة

الأطراف، لذلك فإن جميع الأطراف تحتكم من الناحية الاستراتيجية إلى تلك الصلات التي تمثل في حقيقتها نوعاً من التحالف والولاء، فكم من قوى حاكمة أصبحت أثراً بعد عين بسبب ضعف تحالفاتها المهمة أو انهيارها، أو بسبب قيام التحالفات المناهضة والمناوئة لها^(٧).

ويبدو أن الأنشطة المتعلقة بأنظمة الحكم في القرن الثاني عشر الهجري شبيهة بتلك الأنظمة القديمة قبل الإسلام في ذات المنطقة، فقد كانت تقتصر على الحوادث القبلية المتحالفة، أو على نشاط العمل القبلي المتحالف. مما جعل من التحالف أمراً فاعلاً سواء تحت ظل الحكم المركزي أو تحت حكم المقولات المحلية مكوناً عبر عهود من تاريخ تطور أنظمة الحكم القديمة ما عرف به (سلطة التحالفات المسيطرة الغالبة)، التي كانت تمثلها السلالات والأسر الحاكمة المشهود لها بالزعامات في إدارة الحكم دون غيرها، فاستقوت هذه الزعامات بتلك التحالفات، وضمنت لنفسها مركزاً متقدماً وعمرراً أطول^(٨).

سعت يافع إلى عقد عدد من التحالفات والمعاهدات المؤقت منها والأبدي مع جميع الأطراف التي تتشارك معها الوضع السياسي، أو تتجاوز معها في الأرض مع بني جلدتها من قبائل يافع، أو من غيرهم من قبائل حضر موت أجبرتها في ذلك الأوضاع التي مرت بها سنوات القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

ويلاحظ الصبغة الدينية التي صبغت بها تلك الأحلاف، كتأكيد على رضى المنظومة الدينية على هذه الأحلاف، وإضافة حرمة مقدسة إليها تمنع المرتد عنها، وقد سعى بنو بكر بصفتهم القضاة وطرفاً من أطراف الحكم ومستشاري الأمراء والمناصب في عقد الكثير من هذه المعاهدات.

لدينا العديد من تلك الأحلاف التي وصلت إلى أيدينا



يكون في صفه وتابعاً له، وتكون خسارته من عتاد وزاد ورجال على الطرف الأول المعني بالفتنة والمواجهة. وعمدت المعاهدة بطابع ديني، فبعد حمد الله سبحانه تعالى جاء ذكر بعض رجال الدين الذين لهم جاه لدى يافع جميعاً، وهم الشيخ أبو بكر بن سالم وابنه الحسين، وحفيدهم المنصب في ذلك الزمن، ثم وقعت من قبل القاضي وخادم الشرع الشريف، وحملت إمضاءات نقباء فخاخذ القبيلتين ومقادمتهم وشيوخهم، وأوضحت في حالة جرى نزاع بين الموقعين الطريقة والآلية التي يجب اتباعها في حل ذلك النزاع.

مميزات الوثيقة:

- أوردت أسماء شخصيات من نقباء فخاخذ وشيوخها ترد أسماءهم لأول مرة لم ترد أسماءهم في مشجرات أسرهم.
- حددت نسبة حاكم حورة المذكور بكتب التاريخ (بركات بن معوضة اليافعي) بنسبته إلى القعيطي.
- أوردت أسماء عدد من الفخاخذ التي كانت بحضر موت ولم يعد لها وجود حالياً بحضر موت، من فخاخذ القعيطي، وبني بكر حيث إنها جمعت بين كبار الشخصيات من التلد والغرباء.
- بينت دور يافع في حفظ الأمن وإحلال السلام الاجتماعي، والالتزام بالعهود والمواثيق.
- أوضحت احترام المؤسسة الدينية، والرجوع إليها كمرجعية عليا، وشاهد حال على التحالفات والمعاهدات.

نص الوثيقة

(الحمد لله وحده)

لما كان يوم الإثنين، إثنين وعشرين خلت من شهر جماد أول في سنة ثمان وتسعين ومائة وألف (٧)، اتفقوا الآتي ذكرهم أهل القعيطي (٨) الجميع كافة غريب وتليد (٩)، وبني بكر (١٠) الجميع تليد الأرض وغريب من بني بكر، دون علي محمد وأحمد عبدالله (حازين)، وذلك اتفقوا واحتلفوا حلف تبعة ومنفعة (١١) حلف مترث (١٢)، حتى لما يشيب الغراب ويفتا التراب (١٣)، قابله عايب، وراده عايب (١٤)،

تاريخ الوثيقة:

وقعت الوثيقة من قبل الأطراف المتحالفة نهاية القرن الثاني عشر الهجري وتحديدًا يوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١١٩٨ هـ الموافق ١٢ أبريل عام ١٧٨٤ م، وهذا الحلف قبيل تأسيس السلطنة القعيطية بنحو قرن من الزمان بين قبيلتين كبيرتين من قبائل يافع بحضر موت:

- قبيلة القعطة والنسبة إليها القعيطي، وكانت تتوزع فخاخذها على عدد من المناطق، أبرزها مدينة شبام قاعدة مكتب الوسطة، ومثاوي حول مدينة القطن حتى غرب حضر موت كحورة وهينن.
- قبيلة بني بكر والنسبة إليها البكري، وكانت تتوزع فخاخذها على عدد من المناطق في غرب وادي حضر موت في مناطق سدبة وهينن وعندل، إلى جانب منطقة مريمة مركزهم الرئيس، ومدينة سيئون قاعدة مكتب الطبسي قبيل انتقلهم إلى القطن فيما بعد.

وصف الوثيقة:

جاءت الوثيقة في صفحتين لورقة واحدة من القطع الطويل، احتوت الصفحة الأولى على حوالي ٢٢ سطراً بمتوسط ٨ كلمات في السطر الواحد، ثم أسماء وتواقيع الشخصيات الموقعة على الحلف، والصفحة الثانية احتوت على ثلاثة أسطر كتبت بخط واضح.

بدأت وثيقة الحلف البسيط في عباراته، والموجز في ألفاظه، بالحمد لله وإيراد تاريخ الوثيقة وبيان طرفي الحلف والاتفاق. بينت الوثيقة أنها حلف أبدي بين طرفي المعاهدة، وأن الحلف حلف تبعة ومنفعة، جمعت بين فئتين من أبناء كل قبيلة هما التلد والغرباء.

وأوضحت أن الجميع كالرجل الواحد صديقهم وخصمهم واحد، وركزت على دور كل واحد منهم في حالة وقعت فتنة أو حرب مع طرف ثالث، فالطرف الثاني



وخصمهم واحد، وصديقهم واحد، وربيعهم (١٥) وشايمهم واحد (١٦)، وهم تبعت بعضهم البعض، إن حصل الخارج والفتنة على بني بكر فأهل القعيطي سعدتهم وتبعتهم، والخسارة والثقل على بني بكر لأهل القعيطي، وإن الفتنة عند أهل (القعيطي) (١٧) وطلبوا بني بكر فالحسارة والثقل على أهل القعيطي.

جرا ذلك بين المذكورين برضى والخيرة والحميل (١٨) الله والشيخ بوبكر بن سالم (١٩) والحبيب حسين ابن بوبكر (٢٠) والحبيب الشيخ سالم ابن أحمد (٢١).

والمتمولين ذلك والبدايا (٢٢) أهل العلايم من أهل القعيطي وبني بكر، وإن حصلت زلة بين حد من المذكورين فيسير بها مناح على البدايا إن هو قعيطي أو بكري، واحد القعيطي والبكري واحد، على من خالف منهم وإن تقاتلوا (٢٣) اثنين فثالث فريع (٢٤).

بدايا في وجه المسطور وكتب بيده محمد عوض مقيدح القعيطي بدايا في وجه المسطور معوضه بن بركات القعيطي بدا

سعيد محمد أحمد عبدالله

بدا محمد أحمد المقدم بدا علي عبدالله احمد بدا عمر محمد علي مدشل

بدا صالح بن سعيد صالح الحداد بدا صالح بن عبدالله بدا عوض ناصر عوض

بدا عبد الحبيب الخالدي بدا (.....) (٢٥) علي

بدا بذلك عوض دينيش عوض بدا بذلك أحمد ناصر ابن دينيش

بدا يحيا عبد الحبيب الخطيبي بدا محسن ابن سنان بدا بذلك عمر ابن عمر الحزامي

بدا بذلك عبدالله أحمد الشرح بدا بذلك محسن محمد بيك بدا عوض أبو حيد

بدا بذلك عبد الحبيب ابن فاضل عمر بدا بذلك عوض يحيى ناصر

بدا بذلك حسين ابن أحمد ناصر مسعود بدا بذلك أحمد علي الفقيه بدا بذلك محمد ابن عمر بلعيد بدا بذلك سعيد علي أحمد بدا بذلك محمد علي مسعود بدا عبد القادر ابن حسين .. وذلك الحلف دوون (٢٦) بين المذكورين حضر والآتي ذكرهم البدايا الجميع والله كافي حضر على البدايا المذكورين الوثائق بالله السيد زين بن علوي بن شيخ بن أحمد الحبشي (٢٧).



الصفحة الأولى من وثيقة الحلف محفوظة أصلها لدى محمد حسين بن دينيش



الصفحة الثانية من وثيقة الحلف محفوظة أصلها لدى محمد حسين بن دينيش



أولاً: الشخصيات الموقعة من القعدة:

الرقم	اسم الشخصية	التعريف بها
١	محمد عوض مقيدح القعيطي	محمد بن عوض مقيدح القعيطي، لم يرد في مشجرات آل مقيدح بحضر موت، إلا أنه محتمل جداً أن يكون أخاً لصالح بن عوض وسعيد بن عوض، حيث إن عوض هو الجد الجامع لأهل مقيدح القعيطي بحضر موت
٢	معوضه بن بركات القعيطي	هو النقيب معوضة بن النقيب بركات (بن محمد بن عيسى القعيطي) هو الابن الأكبر للنقيب بركات حاكم حورة الجد الجامع لأهل القعيطي النقباء أهل شبام فيما أخ بركات النقيب عمر بن محمد بن عيسى هو الجد الجامع لأهل القعيطي النقباء أهل حورة الذين انتقلوا إلى القطن في حصنهم المعروف (بكرية)، في عهد النقيب جابر سعيد بن علي بن عمر بن محمد، وما زالوا يعرفون بالنقيب أو النقباء، (إفادة من الأخ نبيل علي النقيب - مارس ٢٠٢٠م). وفي هذه الوثيقة تصريح بنسبة حاكم حورة إلى القعدة الذي ورد في كتب التاريخ باسم (النقيب بركات بن معوضة اليافعي)، حيث جاء في الإدَام (وكانت حورة في الأزمنة المتأخرة تحت حكم النقيب بركات بن معوضة اليافعي، وله مكاتبات من الحبيب علي بن حسن العطاس، ثم استولت عليها عساكر السلطان عبدالعزيز بن محمد بن سعود أو ولده سعود المتوفى سنة ١٢٢٩هـ وطردها النقباء اليافعيين وبعد ارتفاع أصحاب ابن قملا عن حورة استولى عليها عمر بن جعفر بن صالح بن مطلق الكثيري، ثم ولده جعفر، ثم ولده صالح، ثم ولده مقبل بن صالح حتى صفت للسلطنة القعيطية سنة ١٢٧٢هـ). (انظر: إدام القوت، للسقاف، ص ٤٣٧ - ٤٣٩، ط المنهاج).
٣	سعيد محمد أحمد عبدالله	هو سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله (القعيطي) جد آل سعيد محمد من آل أحمد (لحمدي) القعيطيين ساكني حصن وديار آل أحمد في نهاية بلدة العنين شرق مدينة القطن. وهو ابن عم علي عبدالله أحمد عبدالله الآتي ذكره رقم ٥ (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٦١ - ٣٦٤، وإفادة من الأخ محمد منصر لحمدي والأخ محمد خالد لحمدي).
٤	محمد أحمد المقدم	محمد بن أحمد المقدم القعيطي من المقادمة آل أحمد وهم نقباء آل أحمد من مكتب القعيطي، وقد هاجروا إلى عمان وما زال منهم بقية في قصيعر بساحل حضر موت وبيوتهم بالعنين بمدينة القطن بوادي حضر موت معروفة إلى الآن. (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٦٦).



الرقم	اسم الشخصية	التعريف بها
٥	علي عبدالله أحمد	هو علي بن عبدالله بن أحمد (بن عبدالله القعيطي) جد آل عبدالله علي لحمدي القعيطي، ويسكنون حالياً في منطقة ديار آل أحمد في نهاية بلدة العنين شرق مدينة القطن، وهو ابن عم سعيد محمد أحمد عبدالله السابق ذكره. (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٦١ - ٣٦٤، إفادة من الأخ محمد منصر لحمدي - مارس ٢٠٢٠م).
٦	عمر محمد علي مدشل	هو عمر بن محمد بن علي مدشل الابن الأكبر للشيخ محمد علي مدشل وهو أخ لصالح وأحمد وسعيد وعبدالرب وعبدالله ولكن عمر هذا لم يعقب. ووالده محمد علي هو الذي جاء من جبل يافع وابن أخيه عبدالله أحمد علي. ويسكن المداشلة في منطقتهم المعروفة بحصن المداشلة، التي تبعد عن وسط مدينة القطن بنحو أربعة كيلو مترات شرقاً. (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٦٨، إفادة من الشيخ يحيى بن مدشل - مارس ٢٠٢٠م).
٧	صالح بن سعيد صالح الحداد	هو صالح بن سعيد بن صالح (بن سعيد بن سعيد بن صالح النقيب) الحدادي القعيطي، لم يرد في مشجرات الحدادين الذين ينتسبون إلى جدهم (سعيد بن صالح بن سعيد بن سعيد القعيطي)، ونعتقد أنه ابن الجد الجامع الثاني للحدادين (سعيد بن صالح)، وهو أقرب الاحتمالات الذي ذكر في وثيقة مؤرخة بسنة ١١٨٣ هـ باسم النقيب سعيد بن صالح القعيطي اطلعنا عليها لدى الشيخ أحمد عمر الحدادي، وعليه فيكون هذا ابنه صالح بن سعيد بن صالح بينما الجد الجامع الأول لهم هو سعيد بن سعيد. (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٦٥، إفادة من الشيخ أحمد عمر الحدادي والشيخ علي صالح الحدادي - مارس ٢٠٢٠م).
٨	صالح بن عبدالله	لم نستطع تحديد الفخيزة.
٩	عوض ناصر عوض	لم نستطع تحديد الفخيزة.
١٠	عبدالحبيب الخالدي	هو عبدالحبيب الخالدي القعيطي، لا يوجد أحد من أهل الخالدي اليوم بحضر موت ونعتقد أنه كان موقفاً عن جماعة من يافع الغرباء.
١١	 علي	لم نستطع تحديد الفخيزة.



ثانيًا: الشخصيات من بني بكر:

الرقم	اسم الشخصية	التعريف بها
١	عوض دينيش عوض	هو الشيخ عوض دينيش ابن عوض بن (سعيد بن عوض سعيد ابن دينيش البكري) شيخ مشايخ قبائل بني بكر، له من الإخوة علي، وله من الأبناء أربعة علي ودينيش وعبدالله وعبدالنبى. وأحفاد الشيخ عوض المعروفين بآل العاقل الآن في بني بكر. ويوجد له أبناء عمومة من ضمن الموقعين على الحلف الشيخ أحمد ناصر الآتي ذكره، وكان لهم دور كبير وتحالفات مع جميع القوى الحاكمة بحضرموت. وقبيلة آل دينيش ما زالوا مشايخ بني بكر حتى الآن في يافع.
٢	أحمد ناصر ابن دينيش	هو الشيخ أحمد ناصر بن (عوض سعيد بن عوض ابن دينيش البكري)، من بيت المشيخة في بني بكر، له من الإخوة واحد هو الشيخ دينيش ابن ناصر الذي ينتمي إليه آل أحمد دينيش حاليًا ببلاد بني بكر.
٣	يحيى عبدالحبيب الخطيبي	هو يحيى بن عبدالحبيب (بن سالم بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عبدالله الخطيبي العمري البكري). والده هو الجمعدار عبدالحبيب الخطيبي، وهو من أقدم من حصل على رتبة الجمعدارية من رجالات يافع بالهند. ولا ندري هل ما زال أحد من سلالة الآن في حضرموت. ولكن ما زال هناك وجود لأولاد عمومته وهم حاليًا في بني بكر من آل الخطيبي العمري.
٤	محسن ابن سنان	محسن ابن سنان ويعود نسبه إلى عصابة أهل سنان البكري.
٥	عمر بن عمر الحذامي	عمر بن عمر الحذامي، ولعله من القبائل البكرية التي هاجرت إلى حضرموت، ونعتقد أنه يعود إلى عصابة آل يزيد.
٦	عبدالله أحمد الشرح	عبدالله أحمد الشرح أحد أجداد آل الشرح، ويرجع إلى عصابة آل سنان.
٧	محسن محمد يبيك	محسن بن محمد بن أبي بكر بن عمر ابن أبي بكر الشغمومي الحسني البكري، وهو أحد أفراد أسرة آل يبيك الذين ما زالوا موجودين حتى الآن في بني بكر. ويوجد له أبناء عمومة في حضرموت من ضمن الموقعين على الحلف محمد بلعيد الآتي ذكره.



الرقم	اسم الشخصية	التعريف بها
٨	عوض أبو حيد	هو عوض بن (عبدالحبيب بن عمر أبو حيد اليزيدي البكري).
٩	عبدالحبيب ابن فاضل عمر	هو عبدالحبيب بن فاضل بن عمر (بن سعيد عنية الحسني البكري)، وفاضل بن عمر أحد فرعين تنتمي إليه بعض فخاند بني بكر بحضرموت (آل فاضل بن عمر وآل صلاح بن عمر)، في منطقة بابكر في مدينة القطن حاليًا. (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٨٩ - ٣٩٠، إفادة من الأخ محمود عبد الله البكري - مارس ٢٠٢٠م).
١٠	عوض يحيى ناصر	هو عوض يحيى ناصر (بن مسعود بن داود بن مسعود الإبراهيمي البكري)، ويعود إلى الأسرة المعروفة آل ناصر مسعود البكري. الموجودين حتى الآن في بني بكر.
١١	حسين بن أحمد ناصر مسعود	حسين بن أحمد بن ناصر (مسعود)، وهذا كذلك يرجع إلى سلالة ناصر مسعود المذكور آنفًا.
١٢	أحمد علي الفقيه	أحمد علي الفقيه، ولعله من أسرة آل عز الدين البكري أسرة القضاء في بني بكر الموجودين حتى الآن.
١٣	محمد ابن عمر بلعيد	محمد ابن عمر بلعيد بن فاضل أحمد بن عنس الشغمومي الحسني يعود من سلالة فاضل ابن عنس الشغمومي الحسني التي هاجرت الى حضرموت.
١٤	سعيد علي أحمد	لم نستطع تحديد الفخيزة.
١٥	محمد علي مسعود	محمد علي مسعود، هو أحد أفراد أسرة آل التام الحسني البكري الذين هاجروا إلى حضرموت في القرن ١٢ الهجري، ولم يبق له ذرية في بني بكر حاليًا، ولعل هناك ترابط مع أسرة آل التام التي في (القويم)، ولعلها من القبائل التي هاجرت نهاية القرن العاشر الهجري من سلالة عامر التام.
١٦	عبدالقادر ابن حسين ..	لم نستطع تحديد الفخيزة.



21

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

(١٤) قابله عايب، وراده عايب: الأصل في العبارة الإقلاّب أي (راده عايب وقابله عايب)، وتعني أن الذي يرتد ويتكف عن الحلف فهو عايب، وكل من قبل هذا المرتد فهو عايب مثله. (إفادة من الأستاذ حسن البرقي الكثيري مارس ٢٠٢٠م). وتأتي عادة بلفظ (حتى يشيب الغراب ويفنى التراب ويرث الأرض وارثها، من تبرأ منه ما برى راده عايب وقابله عايب)، فهو حلف مورث من الأجداد إلى الأحفاد. ينظر: أحلاف كتاب (إحلال السلام في حضر موت، ص ١٢٦ وما بعدها).

(١٥) الربيع: الشخص من خارج القبيلة يلتجئ إليهم ويكون بحمايتهم. (١٦) الشايم: وتأتي معها اللام، ويقال شايم ولايم أي: صاحب العيبة الذي ألحق لوم على القبيلة، وهي من الأعمال المنافية للأخلاق والعادات في العرف القبلي، والتي يتعرض مرتكبها للنقد والمقاطعة من قبل الآخرين بما فيهم أقاربه وجماعته، وفي المنطقة الشرقية تريم وما حوالها فإن كلمة الشايم تدل على القيام بحراسة النخل في أثناء موسم الخريف وتعلق بالشراحة، (انظر: الشاطري في أدواره، ص ١٣٢، إفادة من الأستاذ حسن البرقي الكثيري مارس ٢٠٢٠م).

(١٧) ساقطة من الأصل.

(١٨) الحميل: الكفيل والشاهد والرقيب.

(١٩) الشيخ أبوبكر بن سالم: الشيخ الشهير أبوبكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف... إلخ. ولد في تريم سنة ٩١٩هـ.

(٢٠) الحسين بن أبي بكر: الحسين بن الشيخ أبوبكر بن سالم، خلف أبوه في منصبه. (٢١) الحبيب سالم بن أحمد: سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم المهاجر بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبوبكر بن سالم، تولى المنصب سنة ١١٧٧هـ، وتوفي سابع شهر رمضان سنة ١٢١١هـ بعينان. (بستان العجائب، ص ٧٦-٨٩).

(٢٢) البدايا: الذين أبدوا بوجههم وشلوا واحتملوا كل ما هو بداخل المسطور. والمبدأ بالوجه من التشريعات القبلية يعد ذمة الشخص البادي وإذا اخترق أحد ذمته فيها بدا به فإن وجهه ملطخ بالسواد. (الشاطري، ص ١٣٥).

(٢٣) تفاتنوا: اختلفوا.

(٢٤) حاجز بين الاثنين.

(٢٥) غير واضحة.

(٢٦) كتب.

(٢٧) زين بن علوي بن شيخ بن أحمد الحبشي: الموجود بالشجرة العلوية زين بن محمد بن شيخ بن أحمد الحبشي، ويحتمل أن يكون هو وحصل سبق قلم في اسمه، أو يكون له عم اسمه علوي وابن عم اسمه زين بن علوي، (إفادة من الأستاذ أيمن هاشم الحبشي مارس ٢٠٢٠م)، وسبق اسمه لقب الواثق بالله، وهو من الألقاب التي تسبق الفقهاء وخدام الشرع غالباً.

الهوامش:

- (١) وضع الشاطري في أدواره الدور القبلي من سنة ١١٣٠هـ إلى سنة ١٢٧٠هـ. (الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضري، ص ١٢٧).
- (٢) بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، دار حضر موت للدراسات والنشر، المكلا، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١١.
- (٣) بن الشيخ أبي بكر بن سالم: محمد بن سقاف، بستان العجائب ومطلب الراغب في مناقب المتأخرين من المناصب والحبائب، مخطوط بمركز النور بتريم برقم ٤١، نسخة بحوزة الباحث، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٤) الكثيري: ناجي جعفر، القليلة والأذوائية وعلاقاتها بالنظام الملكي المركزي باليمن، الندوة العلمية: اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ (١٢-١٤ فبراير ٢٠٠١م)، جامعة عدن، ص ٥٦-٥٧؛ السريحي: عبدالله أحمد بن طالب، مقولة ردمان وخولان الاتحاد والتحالفات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، ٢٠٠٥م، ص ٩٣.
- (٥) الكثيري، ص ٥٣، والسريحي: ردمان... ص ٩٤.
- (٦) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، مؤسسة دار الهجرة، ط ٢ قم إيران، ج ٣، ص ٢٣١-٢٣٢، بافقيه: العربية السعيدة، ج ٢، ص ١٢٥، والسريحي: عبدالله أحمد بن طالب، مقولة ردمان وخولان، ص ٩٢.
- (٧) الموافق ١٢ شهر أبريل عام ١٧٨٤م
- (٨) القعيطي قبيلة من يافع تنتمي إلى مكتب الوسطية، وهم بطون كثيرة جاؤوا إلى حضر موت قديماً على فترات متباعدة (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٥٨).
- (٩) غريب وتليد: أطلق على جزء من يافع بحضر موت بيافع (التلد)، أي القدماء وهم الذين وجدوا في حضر موت منذ القرن العاشر بالأخص وما قبله، وجزءاً منهم أطلق عليه يافع (الغربة)، أي الغرباء وهم الذين وجدوا في حضر موت في القرون التالية وبالأخص القرن الثالث عشر الهجري. (الرباكي: أحمد صالح: الهجرة اليافعية ودورها في الدويلات والحاميات اليافعية بحضر موت - دراسة في الأرشفة الوثائقية لإمارة بن عبدالقادر (١١١٨-١٢٦٣هـ/ ١٧٠٦-١٨٤٦م)، بحث غير منشور، ص ٣).
- (١٠) بني بكر قبيلة كبيرة من يافع تنتمي إلى مكتب الظبي، وكان تمرركزهم في مريمة وسيئون ومناطق أخرى في غرب حضر موت (الموسوعة اليافعية، ج ١٢، ص ٣٨٨-٣٨٩).
- (١١) تبعة ومنفعة: أي يتبع حليفه على كل شيء خير أم شر، ومنفعة يتنافعون بينهم البين في شؤون حياتهم.
- (١٢) مترث: أي متوارث وعادة تأتي بعده الجملة التالية (يرثه الحي بعدد الميت من يرث المال يرث الوجه). ينظر: (القعيطي والقدال: إحلال السلام في حضر موت، ص ١٢٦ وما بعدها).
- (١٣) صيغة متداولة في الأحلاف والمعاهدات دالة على أبدية الحلف.

الإمام محمد بن علي القلعي

ناشر المذهب الشافعي بحضرموت

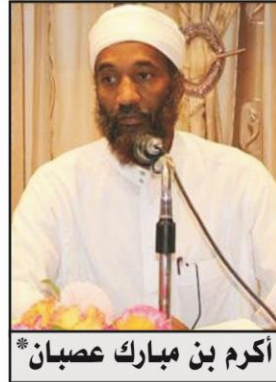
المقدمة:

لم ينتشر الفقه الشافعي بحضرموت على يد محمد بن علي باعلوي الملقب بصاحب مرباط (ت ٥٥١هـ)، فإن القول بهذا الأمر بعيدٌ دون إثباته خرط القتاد، وأبعدُ منه دعوى انتشاره بها على يد أحمد بن عيسى المهاجر، فإن بينها وبين إقامة البيّنات عليها مفاوز، والصحيح أنه لم ينتشر عن أحد بحضرموت وظفار كما انتشر عن الإمام العلامة محمد بن علي القلعي قولاً واحداً، وأشدُّ بعداً نسبة بعض تلاميذ الإمام القلعي - كالفقيه علي بن أحمد بامروان - إلى محمد بن علي صاحب مرباط، فإن مولد الفقيه بامروان كان سنة ٥٥٥هـ في حين أن وفاة صاحب مرباط كانت سنة ٥٥١هـ وقيل ٥٥٦هـ.

الإقامة بها، ثم سألت عن أخباره كتب أهل حضرموت التاريخية حيث انتشر الفقه الشافعي بها على يده، فلم تغن شيئاً عن التفصيل، ولكنها عيّت جواباً واستعجمت ما تكلمنا (والدار لو كلمتنا ذات أخبار).

وقد ضرب بين الباحث وبين ترجمة هذا الإمام بسور، فلا يظفر بشيء يليق بمنزلته العلمية ودوره الكبير، وما وجد شاباً بعض الغلط، بل حصل خلطٌ عجيبٌ بينه وبين محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط، وقد سود المؤرخ علويُّ بن طاهر الحداد صفحات عدة وأراق حبراً كثيراً في الرد على الشيخ باطحن من تلاميذ تلاميذ الإمام القلعي.

ثم إن الغنيمة الكبرى في ترجمة هذا الإمام إنما هي بالظفر بكثير من كتبه التي وقفت عليها، أو من نقل عنها، مثل الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، والإمام ابن محب الطبري (ت ٦٩٤هـ)، وغيرهما من الأئمة، ومع أن بعض المؤرخين - كالخزرجي - يذكر أن مصنفات الإمام القلعي كانت بحضرموت إلا أنها في عداد المفقود.



أكرم بن مبارك عصبان*

فبينما كنت أحقق رسالة بعنوان (تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وأدوات الطلاق) للفقيه علي بن أحمد بامروان التريمي (ت ٦٢٤هـ)، قادني البحث إلى ترجمة شيخه العلامة القلعي حيث ذكر اختياره في مسألة عود اليمين في الطلاق، فبحثت عن ترجمته في كتب الطبقات فوجدتها لا تفي بمكانته العلمية، وما كان مني إلا أن شددت الرحال أتبع مواردها، وأتصيد شواردها، من أودية الكتب وشعابها، فاستنطقت كتب أهل زبيد حيث نشأ بها للاستفادة، ثم طلبت ترجمته عند أهل ظفار حيث



«وهم وإن كانوا حبشة فلم تكن ملوك العرب تفوقهم إلا في الحسب والنسب، فلهم من الكرم الباهر، والعزّ الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع الماثورة»^(٣).
الثاني: كثرة فقهاء الشافعية من أجل فقهاء بنو عقامة، قال ابن سمرة الجعدي: «وفضائل بني عقامة مشهورة، وهم الذين نصر الله بهم مذهب الإمام الشافعي في تهامة»، وظهر منهم فقهاء أعلام، منهم:

– القاضي أبو الفتوح بن علي بن محمد بن علي بن أبي عقامة قام بعد ابن عمه الحسن برياسة القضاء بزبيد، وكان واحد عصره، ونسيج دهره في العلم، وصنف كتباً في المذهب والخلاف، لم يتفقه أحد بعد تصنيفها إلا منها، منها كتاب التحقيق.

– القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي عبد الله بن علي بن أبي عقامة المعروف بالحفانلي عاصره وعاشره عماره، كان نبيلاً فاضلاً فقيهاً متكلماً شاعراً مترسلاً رئيساً مدحاً قتله ابن مهدي علي لما تغلب على اليمن سنة ٥٥٤هـ، وانتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي^(٤).

شيوخ الإمام القلعي:

أفاد الشيخ باطحن أن الإمام القلعي «نشأ بزبيد، وقرأ العلم على يد أبي عقامة»^(٥).

وقال الإسني في ترجمة أبي الفتوح ويعرف بابن أبي عقامة الإمام عبد الله بن محمد بن علي بن أبي عقامة التغلبي ثم اليمني قال: «ولأبي الفتوح المذكور أولاد وأحفاد أئمة فضلاء انتفع بهم كثير من علماء اليمن، منهم القلعي صاحب (احترازات المذهب)، فإنه أخذ عن ولده عن أبيه عن جده أبي الفتوح»^(٦).

والصحيح أن أبا الفتوح هو القاضي أبو الفتوح بن علي بن محمد بن علي بن أبي عقامة واحد عصره، تفقه بعمه الحسن بن محمد بن أبي عقامة وأبي الغنائم الفارقي، عن

وهذا الموضوع قائم على ثلاثة مباحث، وفي كل مبحث ثلاثة أمور نتوخى من خلالها الاختصار بما يتناسب والمقام.

المبحث الأول

الإمام القلعي من زبيد إلى ظفار

أولاً: الإمام القلعي يرتع في مراكز العلم بزبيد:

اسمه ونسبته: هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي. نسبة إلى قلعة بالمغرب كما ذهب إليه باطحن وأيده آخرون؟ وقيل قلعة بالشام كما ارتضاه الجندي في كتابه (السلوك) قولاً، وتبعه فيه الخزرجي ورجحه الزركلي، وقيل قلعة باليمن على ما ذهب إليه ياقوت، أو قلعة بلدة بالقرب من ظفار كما أشار إلى ذلك ابن قاضي شهبه وأبهما^(١).

ونرجح القول الأول منها الذي أفاده الشيخ باطحن (ت ٦٣٠هـ) فإنه قريب عهد بالإمام القلعي بأخذه عن شيخه سعد الدين الظفاري نزيل الشحر (ت ٦٠٣هـ)، بأخذه عن شيخه الإمام القلعي ونصّ قوله: (إن أصله من المغرب ومولده بمصر)^(٢).

نشأته بزبيد:

نشأ الإمام القلعي نشأة علمية بمدينة زبيد من تهامة اليمن، واستقر بها للعلم – تحملاً وأداءً – وكانت زبيد في زمن إقامة الإمام القلعي تعدّ مركزاً من مراكز الشافعية، يؤمها طلبه العلم، ومما أهلها لتكون قبلة لطلبة الفقه الشافعي أمران:

أحدهما: تبني حكامها المذهب الشافعي وهم النجاشيون الذين ارتبطوا ببني العباس وظاهروا الدولة الصليحية، ولذلك مال إليهم الفقهاء ورأواهم أحق بالملك من الصليحيين لتبنيهم المذهب الشافعي كما فعل الحسن بن محمد بن أبي عقامة، وقد كان الأمراء النجاشيون أولي فضائل جليلة كما قال عماره يصف حالهم:



الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وله مختصر في أحكام الجنائيات (٧).

وبهذا يكون سند الإمام القلعي عاليًا إلى أبي حامد الشيرازي صاحب (المهذب)، قد ذكر الإمام القلعي أبا الفتوح في كتابه (إيضاح الغوامض من علم الفرائض) في مسألة الإرث بالولاء، توفي أبو الفتوح كما في (طبقات الفقهاء) سنة ٥٥٠ هـ، وقد تفقّه به أيضاً ابن أخته الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني، وعليه فيكون من أقران الإمام القلعي. ومن شيوخه أيضاً المحدث يوسف بن يعقوب الجوزجاني يروي عنه كتاب (الفايق) للبستي، قال الإمام الشوكاني: «الفائق للبستي أرويه بالإسناد إلى الشماخي عن محمد بن عراق الياضي عن أحمد بن محمد بن أبي عقبة عن يحيى بن محمد الظفاري عن محمد بن علي القلعي عن يوسف بن يعقوب الجوزجاني عن عمر بن مالك الشاذكوني عن الحسن الكوزاني عن المؤلف» (٨).

ثانياً: الإمام القلعي يغادر مدينة زبيد:

لقد هاجت فتنة زبيد أثارها علي بن مهدي الرعيني كان فيها من المسرفين، ومن الظالمين الذين عاشوا في الأرض فساداً، ومن أمره أنه كان يظهر التنسك والدين، ويتمذهب بمذهب أبي حنيفة في الفروع، ويكفر بالمعاصي، ويقتل بها من خالف اعتقاده، وكان رأيّه هو رأي الخوارج، ومما أعانه على فعله هذا اشتغال أمراء زبيد بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور من ناحية، واعتكاف بعضهم على اللذات (٩).

وقد قتل جماعة من العلماء وهرب آخرون، فممن قتل الفقيه أبو عبدالله محمد بن أبي عقامة الحفائي قاضي زبيد وعلاقتها، ومن هرب الفقيه طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني جاور في مكة، وأبو عبدالرحمن الحسين بن خلف

المقيعي، قصد عدن، وقد امتدت فتنة ابن مهدي إلى الجند ففي شوال ٥٥٦ هـ أخذها فقتل فيها قتلاً ذريعاً، وحرق مسجدها ونكل بالعلماء، فهربوا منها، ومن العلماء الذين فروا من الجند أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الياقري، والفقيه محمد بن عبدالله السهامي.

الإمام القلعي ييّم شطر دار الخلافة:

وخرج الإمام القلعي من زبيد خائفاً يترقب، وقصد بغداد دار السلام، وحاضرة الإسلام لينعم فيها بالأمان، قال الشيخ باطحن: «حتى دخل زبيد، وقتل فيهم، وهم بالفقهاء فهربوا في البلاد، فخرج الإمام محمد بن علي القلعي إلى عدن، وركب البحر يريد بغداد» (١٠).

توجّه تلقاء بغداد لينعم تحت ظل خلافة أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله العباسي البغدادي الذي بويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ، ووصفه الذهبي بفضائل من ذلك قوله: «كان عاقلاً لبيباً عاملاً مهيباً صارماً جواداً محباً للحديث والعلم، مكرماً لأهله، وكان حميد السيرة، يرجع إلى تدبير وحسن سياسة، جدد معالم الخلافة وباشر المهمات بنفسه وغزاه في جيوشه» (١١).

ثالثاً: الإمام القلعي يلقي رحله بمرباط:

نزل الإمام القلعي في طريقه إلى بغداد بمدينة مرباط بظفار، ونصب خيمته مسافراً ليسريح من وعثائه وعنائه، وبلاد مرباط تعدّ مرفأ لظفار بينها وبين ظفار نحو مرحلتين، وسميت بذلك لكثرة ما يربط بها من الخيل، وأهل مرباط أهل تجارة، يتحلون بكثير من الفضائل التي رآها ابن بطوطة فوصفها بقوله: «وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة، ومحبة للغرباء، ولباسهم القطن وهو يجلب لهم من بلاد الهند» (١٢).

وملوكها آل المنجوي والمستولي عليها سنة ٥٤٠ هـ



- وجود مكتبة حافلة في مرباط تعد من الخزائن، وكانت من الأهمية بمكان بحيث يساوم بها السلطان الإمام القلعي في بقائه بمرباط كي يفيد العلم (١٧).

المعلم والسلطان والتاجر يلتقون بالإمام القلعي:

المؤدب الكامل والمعلم الفاضل أبو نصير يحيى بن نصير الأوسي الظفاري كان فقيهاً ومؤدباً لآل المنجوي، وهو السفارة بين السلطان والإمام القلعي (١٨).

فبينما كان يمشي المعلم أبو نصير بالساحل إذ أبصر خيمة القلعي فقصدتها، وجلس معه فبحث في العلم مسائل وقد نمت إلى علمه أن في المركب فقيهاً من أكابر العلماء، فألفاه جبلاً من جبال العلم، ووجد علمه ساقية أمام هذا البحر العباب الذي تتلاطم أمواجه، فما كان منه إلا أن اعترف له بالإمامة، وطلب منه الإقامة، فلم يجبه الإمام القلعي إلى ذلك فأحفاه المعلم في الطلب رجع أدراجه إلى السلطان المنجوي ليرشده إلى الكنز الذي وجده وأن يدرك الفقيه قبل أن يسافر (١٩).

ولقد عد المؤرخ الكثيري في رسالته محيي السلطان بنفسه إلى خيمة الإمام القلعي تواضعاً فقال: «وكان السلطان محمد بن أحمد المنجوي، أوحد أهل زمانه كراماً وحليماً وتواضعاً، فانظر كيف فعل للفقيه من المعروف، وخرج بنفسه ولم يتكبر على الفقيه، ولا على العلم مثل ملوك هذا الزمان، وانظر إلى تعظيمه للعلم وأهله» (٢٠).

وقال له السلطان تفضل بجلوسك عندنا فقال الإمام القلعي يا مولاي ما خرجت من زبيد إلا لأكون تحت حمى الخلافة في بغداد فأجابه بعد محاورة (٢١).

وما إن استقر الإمام القلعي بمرباط، حتى تسامع به الناس فشد إليه طلبة العلم الرحال، وغصت بهم البلاد

السلطان أحمد بن محمد بن منجوه من عرب يقال لهم آل بلخ ونسبهم في مذهب (١٣).

ثم تولى ابنه السلطان محمد بن أحمد بن منجوه والد الأكحل (ت ٥٧٣ هـ)، وهو الذي عاش الإمام القلعي مدة طويلة في عهده قال الشيخ باطحن: «ولما نزل الفقيه - القلعي - ليستريح وكان السلطان محمد بن منجوه، وهو يومئذ والي ظفار» (١٤).

ثم ابنه السلطان الأكحل محمد بن محمد المنجوي، أدرك الإمام القلعي أربع سنين من ولايته، وكان يلقب بالأكحل لكحل كان بعينه، توفي سنة ٥٩٦ هـ، وهو آخر سلاطين المنجويين، وتفقه بالقلعي، وهو ممدوح الشاعر التكريتي الذي أشار إلى هذه الصفة بقوله:

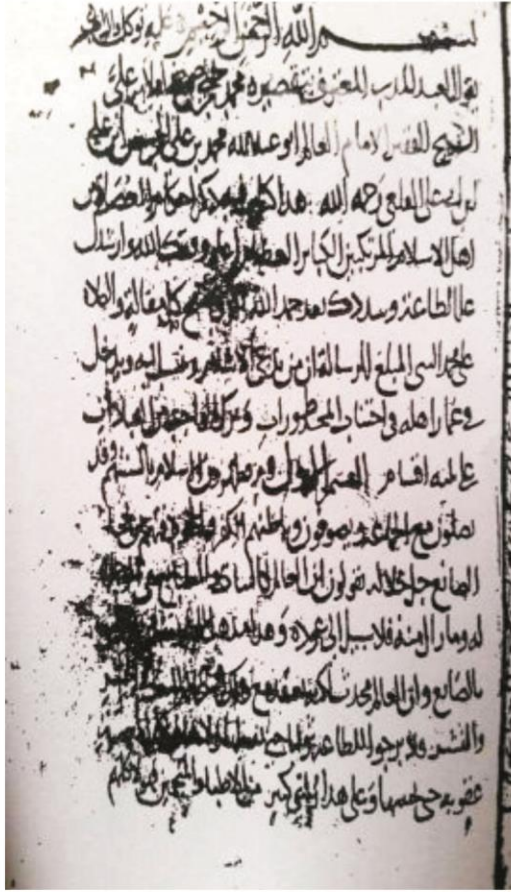
وصفوا هنذا وما وصفوا عكسوا المعنى وما عرفوا
قلت هذا منكم سرف أيقاس الكحل بالكحل

وتتمثل الحياة العلمية في ظفار ومرباط قبل قدوم الإمام القلعي إليها بما يأتي:

- انتشار مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - بها، وقد أشار باطحن إلى وجود المذهب الحنفي بتلك النواحي ظفار ومرباط، فقال: «وكانت على مذهب أبي حنيفة فمن الله بالقلعي» (١٥).

- شيخ ظفار، الفقيه محمد بن عبد الله حماد، المعروف، وقد رحل إليه الحافظ أبو نزار ربيعة بن الحسن الشبامي الحضرمي ليتفقه عليه، ثم ركب البحر إلى البصرة وأصبهان ثم مصر (١٦).

- وجود عدد من العلماء خرجوا للقاء الإمام القلعي واستقباله منهم المعلم يحيى بن نصير، قال الملك الأفضل في العطايا: إن العلماء والفقهاء خرجوا واجتمعوا بالشيخ القلعي، فلعلّه بعد اجتماع المعلم به خرجوا مرحين به، ولم يسم الملك الأشرف أحداً منهم.



المبحث الثاني

جهود الإمام القلعي العلمية

أولاً: علوم الإمام القلعي والوظائف

التي تقلدها بمرباط:

١ - علوم الإمام القلعي:

لقد راح الإمام القلعي من زبيد بطيناً من العلوم التي حازها، وترقى في منازلها حتى بلغ درجات عالية، واستطاع أن يجمع علوماً متعددة، وهي:

- **الفقه الشافعي:** يعد الإمام القلعي أحد أعلام المذهب علماً وتأليفاً، وكان كثير الاشتغال بفروعه، ويمكن عدّه من الجامعين بين الطريقتين: طريقة الخراسانيين، وطريقة العراقيين، كابن أبي الخير والرافعي والنووي، وقد صنّف على المذهب أربعة كتب، وله (إيضاح الغوامض في الدور والفرائض)، وله فتاوى مفيدة.

يرتشفون مختلف الفنون ويتلقون سائر العلوم، واحتاجوا إلى إعاشة لتطيب لهم الإقامة، فإذا بتاجر صدوق من أهل الدين والدنيا قد أرصد أمواله لطلبة العلم ينفق عليهم ويكرم مثواهم وحال لسانه:

متى تأتينا نلتم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأجج وهذا التاجر هو فتر - بكسر الفاء وسكون المثناة فوق ثم راء - كما ضبطه الطيب باخرمة، وكانت له صدقات سار فيها على مذهب حاتم، وأحب الإمام القلعي محبة شديدة، وتأكدت بينهما صداقة أكيدة، ولئن أنفق الإمام القلعي من علمه، فقد أنفق التاجر فتر من ماله لينفق ذو سعة من سعة. قال الطيب باخرمة: «وكان يصحب الإمام أبا عبد الله محمد بن علي القلعي - مقدّم الذكر - وكان يقوم بكفاية الطلبة الذين يصلون إلى الإمام القلعي وإن كثروا في الغالب، وقل أن يدخل مرباط أحد إلا ولهذا التاجر عليه فضل وإحسان... وإنما ذكرته هنا لما فيه من الفضل والإحسان إلى كل إنسان، ودفن إلى جنب قبر الإمام القلعي وبينهما أذرع يسيرة...» (٢٢).

رحلة الإمام القلعي إلى الحج ووفاته:

قصد الإمام القلعي مكة لأداء فريضة الحج، وأفاد العلم بمكة وقد سمع منه الفقيه أبو علي ناصر بن عبد الله العطار وحدّث عنه وأخذ ألفاظ المذهب، ومكث الإمام القلعي في مرباط نحواً من ربع قرن للإفادة، منذ حجّته سنة ٥٥٤هـ حتى توفي سنة ٥٧٧هـ، رحمه الله تعالى، كما كتب على قبره ما نصّه: «هذا قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي المتوفى سنة ٥٧٧هـ»، وهذا قاطع للخلاف الذي وقع لكثير من المؤرخين، ممن ذهب أن وفاته كانت سنة ٦٣٠هـ.



27

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

- ومنها الرد على الزنادقة الذين يُظهرون الإسلام بالسنتهم، وباطنهم الكفر والجحود وينكرون البعث في الحشر والنشر.

- ومنها الرد على الإسماعيلية وقوم من الصوفية يدعون أنهم قد ارتفعت درجاتهم عن العبادات اللازمة للعامة، وأنهم قد انكشف لهم حُجُبُ الملوك واطلعوا على أسرارهم، قال: وهذان الصنفان في الكفر والضلال أشد من الأولين وأضر على الإسلام وأهله.

- ومنها الرد على الخوارج والمعتزلة في شروط الإمامة.

والإمام القلعي من حزب الفقهاء وليس من المتكلمين في شيء، ولكنه تأثر بما عليه الأشاعرة وينقل من كتاب (التمهيد) للباقلاني في مسائل في مسمى الإيمان، ومنها قوله: «إذا ثبت وجوب الإمامة فإنما يجب ذلك بالسمع وأدلة الشرع، وقالت المعتزلة والروافض يجب بالعقل، دليلنا: أن العقل عندنا لا يوجب شيئاً وإنما هو طريق إلى العلم بحدث العالم وإثبات الصانع...»، وقوله: «عقد الإمامة متعين لأهل الحق منهم دون غيرهم ممن كفر أو فسق وضل بتأويله الخطأ في الدين وقد قام الدليل على أن هذه الفرقة هم أصحابنا، دون المعتزلة والنجارية والروافض والخوارج وغيرهم من الفرق المنسوبة إلى الأمة...».

أما الوظائف التي تقلدها بمرباط:

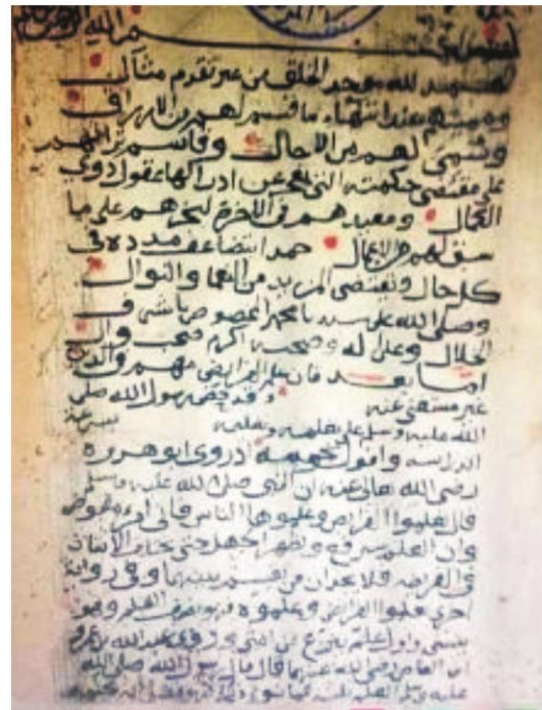
١ - **التدريس:** تصدر الإمام القلعي للتدريس وأقام للعلم سوقاً، فنشر مطوي العلوم، وبث ما غاب منها بأحسن تقرير، وأبين تحرير، حتى طار خبره في الآفاق، فقصده الطلبة يهرعون، وعلى حلقاته يتزاحمون، وكفلهم التاجر فتر كما سبق، فتخرج به من العلماء الأجلاء من انتشر عنهم العلم في ظفار وحضر موت وغيرها فغالبا طبقة فقهاء حضر موت وظفار في عصره من أصحاب الإمام القلعي وسيأتي ذكر تلاميذه.

- **الحديث:** سمع الحديث سماعاً صحيحاً، فقد قال في اسم الصحابة المشهورة بروع بنت واشق (سماعنا فيه بالباء المعجمة بموحدة مكسورة والراء المهملة)، وقد اعتنى بالحديث حتى حدث عنه العلماء، واهتم بالحديث حفظاً وشرحاً وضبطاً ومعرفة بأسماء الرجال، وقد أولى لأحاديث المذهب اهتماماً خاصاً وأفرد لها كتاباً مستقلاً، كما أن له عناية بجمع الروايات المتعددة يتضح ذلك في كتابه (لطائف الأنوار).

- **اللغة:** وقد برع في اللغة فتقياً ظلالها، وأجاد فنونها، حتى غدت له اليد الطولى في علومها، وصار من أربابها، فله في هذا المجال كتاب (ألفاظ المذهب)؛ حيث يناقش اللفظ من الناحية اللغوية، وله في الشعر رغبة فيقرظه حيناً، ويستشهد به أحياناً.

- **مسائل العقيدة:** لقد نصر مذهب أهل السنة وسلف الأمة في مسائل العقيدة:

- منها الرد على الرافضة في كتاب (لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار).





٢ - **الفتيا**: تصدر الإمام القلعي للفتيا، وهو يعد من المفتين في إطار المذهب الشافعي، وأقرب ما ينتمي إلى الطبقة الثالثة التي حددها ابن الصلاح في أحوال المفتين بقوله: الحالة الثالثة أن لا يبلغ رتبة أصحاب الوجوه لكنه فقيه النفس حافظ مذهب إمامه عارف بأدلته قائم بتقرير ما يصور ويحرر ويقرر ويهمل ويزين ويرجح، ولكن قصر عن أولئك لقصوره في حفظ المذهب والارتياض في الاستنباط أو معرفة الأصول ونحوها، وقد جعله الفقيه أحمد مؤذن باجمال في رتبة الأئمة الذين يكادون يبلغون رتبة الاجتهاد.

٣ - **القضاء**: أما القضاء فقد تقلده بعد العقد، ووصف بأنه قاضي مرباط، وكان الإمام القلعي أحق به وأهله، وقد توافرت شرائط القضاء وتكاملت أدواته فيه فأهلته للقيام به خير قيام، وسار فيه السيرة المحمودية والطريقة المرضية المنشودة، وقد ألف في هذا الباب كتاب (أحكام القضاء)، ويسمى أيضاً (أحكام القضاة).

ثانياً: مصنفات الإمام القلعي:

قال المؤرخ الخزرجي: «وكان القلعي إماماً كبيراً عالماً عارفاً متضلعا، له عدة مصنفات انتفع بها الناس انتفاعاً كبيراً» (٢٣).

١ - **احترازات المذهب**: قال الخزرجي في ترجمة الإمام القلعي: «وله احتراز المذهب، الذي شهد له أعيان الفقهاء أنه لم يصنف في الاحتراز له نظير» (٢٤).

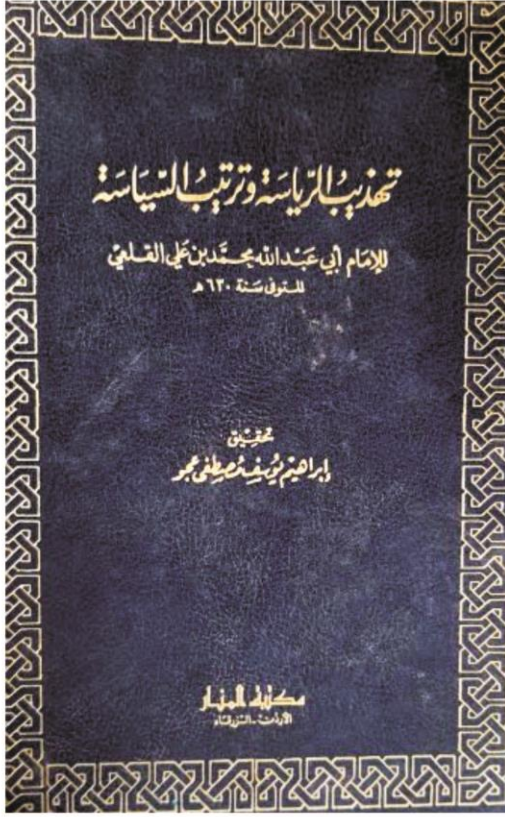
ونقل الإمام النووي في (شرح المجموع) عن (احترازات المذهب) في مواضع كثيرة، وفي أول موضع قال: «قال أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي علي القلعي رحمه الله قوله: (مشهود له بالطيب) احتراز من بلل الوضوء على أحد الوجهين...» (٢٥).

٢ - **ألفاظ المذهب**: وهو كتاب يُعنى بدراسة ألفاظ المذهب، وقد ورد بأسماء عدة هي (المستعذب في ألفاظ المذهب)، و(المستغرب في ألفاظ المذهب)، و(كنز الحفاظ في غريب الألفاظ)، «قال تلميذه ناصر بن عبدالله العطار أخبرنا العالم الفقيه العلامة أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي علي...».

٣ - **أحاديث المذهب**: وقد يطلق عليه (شواهد المذهب)، وهو كتاب يُعنى بالأحاديث التي استدل بها الإمام الشيرازي واحتج بها في (المذهب) للأقوال والأوجه التي ذكرها، وهي ما بين صحيح وحسن وضعيف.

٤ - **قواعد المذهب**: وهو من أهم كتبه ولذلك خصه ابن سمره بالذكر دون غيره، فقال عند ذكر الإمام القلعي: «له مصنفات حسنة منها قواعد المذهب وغيره».

٥ - **كتاب لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار**: يعد هذا الكتاب من أعظم كتبه وأنفعها وأعلىها منزلة؛ إذ إن موضوعه يتعلق بشمائل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان فضلهم الذي جاء منصوباً في القرآن والسنة، وللأسف لم نثر على هذا الكتاب -بعد طول



أن الإمام القلي فارقهم، وقيد بالكتاب والسنة بأحسن بيان وأوضح طريق لا من علم أرسطو بآيات وأحاديث.

٩ - كتاب الإمامة: كتاب الإمامة للإمام القلي من أهم الكتب في هذا الباب، ذكر فيه شروط الإمامة، قال: «الشرط الرابع: العدالة: ولسنا نشترط في العدالة أن يكون معصوماً، واشترطت الخوارج والروافض عصمته، أما الخوارج فبنوا ذلك على أصلهم في تكفيرهم بالذنب، قالوا: والكافر لا يجوز أن يكون إماماً، والكلام معهم أولاً في عدم التكفير بالذنب».

١٠ - مجموع الفتاوى: للإمام القلي فتاوى نافعة، انتفع بها الناس ونقل منها فقهاء حضرموت، منهم الفقيه العمودي في (حسن النجوى)، والفقيه علي بن علي بايزيد في مجموعته، والفقيه عبدالله بن محمد باقشير في (قلائد الخرائد)، والفقيه أحمد مؤذن باجمال، والشيخ سالم بن عبدالرحمن باصهي في الفتاوى وغيرهم.

بحث - ولكن المحب الطبري (ت ٦٩٤ هـ) نقل عنه في نحو اثنين وأربعين موضعاً في كتابه (الرياض النضرة في مناقب العشرة)، وجعله أحد مصادره.

٦ - إيضاح الغوامض في الدور والفرائض:

وهو عبارة عن مجلدين جديدين، ذكر فيه أصول مذهب الشافعي وفروعه في الموارث، وتعرض لذكر مذهب غيره في بابي الرد وتوريث ذوي الأرحام، وجمع فيه أيضاً صحيح حساب المسائل، وطرق الاختصار فيها والمناسخات وأصول الدين والتركات وعويص النسب والمعاية، وذكر فيه الوصايا والدور، وهو كتاب فريد في بابه جمع مسائل الموارث فأوعى.

٧ - أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر العظام:

وهو كتاب في غاية من الأهمية يبين فيه حكم الذنوب وأقسامها، وقد جاء في مقدمته: «يقول العبد المذنبُ المعترف بالتقصير محمد بن يحيى ضمعج: أملى علي الشيخ الفقير الإمام العالم أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي علي القلي - رحمه الله - هذا كتاب فيه ذكر (أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر العظام)».

٨ - تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة:

ألف الإمام القلي هذا الكتاب لبيان أحوال السياسة الشرعية، حيث يبحث في أخلاق الراعي، وما يجب أن تكون عليه الرعية، وهو من باب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وثمره هذه التعاليم السعادة للأمة كلها، وتسور هذا الأسلوب عدد من العلماء قبل الإمام القلي، وقد كان هذا الفن قاصراً على التراث الفارسي، أو كانوا يعودون فيه إلى كتاب (السياسة) المنسوب لأرسطو وما فيه من تعاليم للإسكندر الذي غلب الفرس وانتزع ملكهم، غير



ثالثاً: تلاميذ الإمام القلعي:

للإمام القلعي تلاميذٌ كثيرون، فقد انتفع بعلمه أهل مرباط وحضر موت وغيرهم، قال المؤرخُ الجندي: «أقبل على التدريس ونشر العلم، فتسامع الناسُ به إلى حضر موت ونواحيها، فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره بحيث لم ينتشر العلمُ عن أحدٍ بتلك الناحية كما انتشر عنه» (٢٦). ونشيرُ إلى أشهر تلاميذ الإمام القلعي على النحو الآتي:

١ - **الفقيه محمد بن أحمد يحيى ضمعج السبتي الشجري:** يرجعُ نسبُه إلى ضَمْعَج بن أوس الصحابي، تفقه بالإمام القلعي ولزم مجلسه بعده، وكان مبارك التدريس، قال: «أملَى عليَّ الشيخُ الفقيرُ الإمامُ العالمُ أبو عبد الله محمد بن عليَّ بن الحسين بن علي بن أبي علي القلعي - رحمه الله - كتابَ ذكر (أحكام العصاة ..) تفقَّه عليه ابنه القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الذي تولى قضاءَ الشحر بعدما خرج من مرباط» (٢٧).

٢ - **الفقيه الأصولي علي بن أحمد بامروان الكندي:** ولد سنة ٥٥٥ هـ، وعاش بتريم، فأخذ عن فقهاءها، ثم رحل إلى مرباط، وأخذ عن مفتيها العلامة القلعي، وقد ذكرَ شيخه القلعي في رسالته (تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وألفاظ الطلاق) في مسألة عود اليمين، فقال في تصحيح الخلاف بعد البينونة الصغرى: «اختارَ الشيخُ أبو إسحاق الشيرازي عودَها، وهو مذهبُ مالكٍ وأبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - واختارَ ابنُ الصباغ وأبو إسحاق المروزي أنه لا يعود، وهو مذهبُ المزنيِّ واختيارُ شيخِي محمد بن علي القلعي، وبه كان يفتي»، وقد عدّه شيخُه القلعيُّ من أصحابه، كما في مسألة الطلاق (٢٨).

٣ - **الفقيه إبراهيم بن أبي بكر باماجد:** نشأ بتريم حيث إن آل أبي ماجد من فقهاءها، ورحل إلى مرباط، وتفقه بالإمام محمد بن علي القلعي، وكان قاضياً في

مرباط، واستمرَّ على ذلك في ظفار، قال الخطيب في (الجوهر الشفاف): «كان بعض العارفين يقول: من أراد أن ينظر إلى وليٍّ في زِيٍّ ملكٍ فلينظر إلى الأديب إبراهيم» (٢٩).

٤ - **الفقيه عبد الرحمن زكريا:** صرح بذكره الإمامُ القلعي في فتاويه في مسألة الطلاق ولعله صاحب مسجد الخَلْع بتريم (ت ٦٠٠ هـ)، والد الشيخ شمس الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زكريا بابعيد التريمي، نقلَ النوويُّ عنه في (المجموع شرح المذهب) من كتابه (الإكمال لما وقَّع في التنبيه من الإشكال والإجمال) (٣٠).

٥ - **ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم المصري:** الفقيهُ المفتي نزيلُ مكة سَمِعَ منه بمكة، وحدَّث عنه وكما حدَّث عنه فقد أخذ عنه ألفاظ المذهب كما قال أبو نزار ربيعة بن الحسن بن الحضرمي بقراءتي عليه في رجب سنة إحدى وستائة، قال أخبرنا الفقيهُ الزاهدُ المجاورُ بمكة - حرسها الله تعالى - ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن المقرئ بقراءتي عليه في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين، قال أخبرنا العلمُ الفقيهُ العلامةُ أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي علي القلعي ثم اليميني رحمه الله تعالى (٣١).

٦ - **المعلم يحيى بن نصير:** أبو نصير الأوسي المعلم في زمن المنجوي السابق ذكره، وهو الذي أرشد السلطان المنجوي لمقابلة الإمام القلعي وطلب منه البقاء، وكان أولَ المتفعين به والمتلقين عنه، أخذ عنه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عراف صاحب أحور (٣٢).

٧ - **الشيخ عبد الله بن محمد بن علي باعلوي والشيخ أبو القاسم بن فارس بن ماضي:**

ذكر الإمامُ القلعي بخطه في إجازةٍ منه للشيخين عبد الله بن محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط، وأبي القاسم بن فارس بن ماضي، مكتوبةً على ظهر الجزء الأول من (جامع الترمذي) أن الشريف يقرأ وابن ماضي يستمعُ



وقد كان يفيد العلم بمسجد بني حاتم في تريم، وتخرج به جماعة من فقهاء حضر موت، منهم تلميذه علي بن محمد بن حاتم، جرت بينه وبين الإمام القلعي مباحثات فقهية، قال القلعي في جوابه عن مسألة في كتاب الوقف: «إذا كان الوقف في يد أربابه يقتسمونه فادعى البطن الثاني مشاركة البطن الأول في الوقف وأنه وقف تسوية، وادعى الأول الترتيب فيه، وأقاما بينتين فقد كان تقدم من الفقيه يحيى بن سالم إلى مملوكه سؤال وأجبت عنه إن القول قول البطن الثاني الذي يدعون التسوية وعضدته بأدلة» (٣٥).

وتأمل قول القلعي (إلى مملوكه) تجد إجلاله للفقيه يحيى بن سالم وعلو منزلته عنده، وقد ذهب الشيخ يحيى بن سالم في فتنة الزنجيلي سنة ٥٧٦هـ.

- ثانيهما: العلامة سالم بن فضل بافضل: وهو محيي الدين أبو العباس سالم بن فضل بافضل التريمي المفسر الفقيه، أحيا العلم بعد اندراسه، وطاف البلاد وعاد إلى تريم (ت ٥٨١هـ)، جرت بينه وبين الإمام القلعي مراسلات، وأثنى عليه القلعي شعراً:

جرت تريم على المجرة ذليلاً
عجبا وحق لها الفخار الأكبر
فالدهر من بعد العطل متوج
من مجده ومطوق ومسور
نال ابن فضل في الفضائل رتبة
لم يستطعها منجد ومغور
فقه ابن إدريس وأعراب الخليل
وما حوى سقراط والإسكندر
فبسالم سلمت شريعة أحمد
عما يؤود قنائها أو يكسر
فهو محيي العلم بعدما كان معطلاً كما في قوله: (من بعد العطل)، كما أنه باب في وجه الفتن التي تريد النيل من حضر موت فتظل سالمة معافاة منها لقيامه بالعلم.

لقراءته وهذه صورة الإجازة: «أجزت لهما جامع أبي عيسى الترمذي وغيره وكتبه محمد بن علي القلعي، وذلك سنة خمس وسبعين وخمسة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام» (٣٣).

٩ - الشيخ سعد الدين محمد بن علي الظفاري:
الشيخ سعد الدين محمد بن علي الظفاري الملقب بـ (تاج العارفين)، تلقى الفقه على يد الإمام القلعي وسائر العلوم الشرعية، وسافر فأخذ عن عبدالله الأسدي الطريقة الصوفية وتحكم له، وقد استقر بالشعر وجرت بينه وبين الفقيه المقدم مراسلات، وقد ألف تلميذه محمد بن علي باطن في مناقبه كتاباً أسماه (تحفة المريد وأنس المستفيد)، توفي الشيخ سعد الدين سنة ٦٠٧هـ (٣٤).

المبحث الثالث

انتشار المذهب الشافعي بحضر موت

على يد الإمام القلعي

أولاً: أثر الإمام القلعي يصل إلى حضر موت:

١ - علاقة الإمام القلعي بفقهائ حضر موت:

لقد ظهر أعلام مدرسة الفقهاء القراء الذين ذكرهم ابن سمر الجعدي، فكانوا يفيدون العلم بتريم وشبام والمهجرين، ولما نزل الإمام القلعي بمرباط مدوا إليه جبل الود، وجرت بينه وبينهم مراسلات، وتواصل في الفتاوى، نذكر منهم اثنين:

- أحدهما: قاضي تريم يحيى بن سالم أكر: وهو الإمام العالم شيخ فقهاء تريم وقرائها، قال ابن سمر الجعدي في الطبقات: «وأذكر أبا أكر قاضي تريم جمع بين القراءات السبع والفقه»، وهو ممدوح نشوان الحميري بقوله:

وكم في تريم من إمام مهذب

وسيد أهل العلم يحيى بن سالم



٢ - فقهاء حضرموت يستعيضون في الرحلة بمرباط عن زبيد:

ولم يكتفِ فقهاء حضرموت بالمراسلات بينهم وبين الإمام القلعي، بل دفعوا إليه بفلذات أكبادهم، وقرّة أعينهم من طلبه العلم لكي ينهلوا من علم هذا الخبر، ويردوا هذا البحر فيعودوا بالريّح، واستعاضوا بالرحلة إلى مرباط بدلاً من الرحلة إلى زبيد وغيرها من مراكز العلم، فهاجر الفقيه عبدالرحمن زكريا باعبيد، والفقيه عليّ بن أحمد بامروان، والفقيه إبراهيم باماجد وغيرهم، وقد سبق ذكرهم في تلاميذ الإمام القلعي.

٣ - شهادة المؤرخين على انتشار المذهب الشافعي بحضرموت على يد الإمام القلعي:

لقد شهد جماعة من المؤرخين بأن انتشار المذهب الشافعي بحضرموت كان على يد الإمام القلعي وهم:

- قال المؤرخ الجندبي: «عنه انتشر العلم فتسامع به الناس إلى حضرموت ونواحيها، فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره بحيث لم ينتشر عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهاء أصحابه وأصحاب أصحابه» (٣٦).

- قال المؤرخ الخزرجي: «وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها، وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهاء أصحابه وأصحاب أصحابه» (٣٧).

- أفاد مفتي حضرموت عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف نقلاً عن الحافظ ابن حجر: «إن الفقه الشافعي انتشر عن القلعي بظفار وحضرموت، وأن الناس تسامعوا به في حضرموت وغيرها فقصدوه وحملوا عنه» (٣٨).

ثانياً: نقض دعوى انتشار المذهب الشافعي على يد محمد بن علي باعلوي والرد على المؤرخ علوي بن طاهر الحداد:

لم يُعرف أبو عبدالله محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط بعلم فضلاً عن انتشار المذهب الشافعي به في حضرموت وظفار، وإنما قضى زمناً تسير القوافل في خفارته من بيت جبير - قرب تريم - إلى ظفار، كما أنه اتصف بالكرم كما في (الجوهر الشفاف)، ولو ظفر صاحب الجوهر بقلامة ظفر من علم له لطار بها (٣٩).

وغياب ذكره في طبقات الشافعية كـ (طبقات فقهاء اليمن) مع إثبات ترجمة فقهاء الشافعية بحضرموت كالفقيه يحيى بن سالم لا يُسَعْفُ القائلين بعده من فقهاء الشافعية، وكذلك انتفاء ذكره أيضاً من ذيل طبقات الإسنوي للفقيه عبدالله بن عمر باخرمة مع إثبات ترجمة حفيده الفقيه المقدم محمد بن علي، يؤكد أنه ليس من أهل هذه الحلبة.

قال المؤرخ سعيد بن عوض باوزير: «والجدير بالملاحظة والتأمل أن مؤلف كتاب طبقات فقهاء اليمن - وهو ابن سمرة الجعدي شافعي المذهب - لم يذكر أحداً من فقهاء العلويين بحضرموت، فهل تم ذلك عفواً وبدون قصد؟ أم كان ذلك لأن العلويين الحضرميين إلى أواخر القرن الخامس وبداية السادس لم يكونوا شافعيين، وإنما كانوا شيعة إمامية كما يقول العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، فأغفلهم ابن سمرة لأن ذكرهم بين الفقهاء الشيعة لا يدخل في موضوع كتابه؟ إن مزيداً من البحث سيقود إلى الحقيقة القاطعة في هذا الموضوع التاريخي المهم» (٤٠).

ولو كان بالمكانة العلمية التي يصورها بعض المؤرخين



33

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

ويكفي في قبول قول الشيخ باطحن أنه حديث عهد بالإمام القلعي، فإنه يعد من تلاميذ تلاميذه، بأخذه عن شيخه سعد الدين الظفاري عن الإمام القلعي، وكونه من أهل ظفار توفي سنة ٦٣٠ هـ، كما أنه لا يوجد ما يعارض قوله عند التحقيق.

ونريد أن نناقش أبرز ملاحظات المؤرخ الحداد في الأمور الآتية:

الأول: قال في رده على الشيخ باطحن: «إن سيدنا محمداً بن علي بن علوي المعروف بصاحب مرباط كما تقدم عن البرقة المشيقة انتشر به العلم وفقه الإمام الشافعي في حضر موت وظفار واليمن، وبعلمه وشهرته وكثرة تلاميذه وانتشارهم مع تعظيم أهل هذه الأقطار لأهل البيت النبوي تيسر له أن يربع القوافل من بيت جبر إلى ظفار» انتهى كلامه.

قلت: أما انتشار العلم بصاحب مرباط فلا دليل عليه، كما سبق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن صاحب البرقة المشيقة لم يحدد أنه انتشر به المذهب الشافعي بل أطلق العلم فمن أين للحداد التخصيص بالمذهب الشافعي؟ ونص البرقة: «وكان له جاه عظيم وقبول عند الخاص والعام تام، وانتشرت علومه بجهات اليمن وحضر موت وظفار نشرًا عظيماً» (٤١).

الثاني: نقل عن باطحن قوله: «كان سيدي -يعني الشيخ سعداً- والشيخ علي يقرأون النحو على الأديب إبراهيم باماجد، ويقرأون الفقه على الفقيه باعلوي، ويقرأون الأصول على الشيخ أحمد بن علي باحمود»، وقد ذكر المؤرخ الحداد أن المراد بالفقيه باعلوي صاحب مرباط محمد بن علي.

قلت: إن هؤلاء المذكورين من طبقة تلاميذ الإمام

وتخرج الفقهاء به لما احتاج السلطان المنجوي إلى الإلحاح على الشيخ القلعي بالبقاء في بلده، ونريد أن نتطرق إلى مناقشة المؤرخ علوي بن طاهر الحداد حيث دافع عن القول بأن محمد بن علي باعلوي -صاحب مرباط- هو من انتشر به مذهب الإمام الشافعي بظفار، وتفقه به فقهاؤها، ولم يطب نفساً بما جاء به الشيخ باطحن، فرد عليه في ثمان عشرة مسألة، والذي أشار إلى انتشار المذهب الشافعي بالشيخ العلوي هو صاحب المشرع، وأطلق صاحب البرقة والغرر انتشار علمه بجهات اليمن وحضر موت وظفار من غير تحديد المذهب الشافعي.

ولعل التشابه الكبير بين الإمام القلعي والعلوي في الاسم والكنية هو الذي ولد الخلط واللبس، فكلاهما يُكنى أبا عبدالله، ويسمى محمد بن علي -مع تقارب القلعي والعلوي- وكلاهما نزيل مرباط، اللقب صاحب مرباط، فجاءت التصورات غريبة كما قيل:

إذا اعتلت الأفعال جات عليه

كهينتها أسماؤها والمصادر
لقد قام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد وقعد في تأييد قوله في دعوى انتشار المذهب الشافعي بحضر موت على يد صاحب مرباط محمد بن علي باعلوي، وتكلف في الرد على الشيخ باطحن، ولم يشتط الشيخ باطحن في نقله حين ذكر أن المذهب الشافعي بظفار اشتهر بالإمام القلعي وصارت البلاد كلها مذهباً واحداً وعقيدة واحدة، وأن أصله من المغرب ومولده بمصر، ونشأ في زبيد وقرأ العلم على يد أبي عقامة، وأنه خرج منها بسبب فتنة ابن مهدي إلى عدن، وركب البحر يريد بغداد فلما وصل إلى مرباط طلب منه السلطان محمد بن منجوه البقاء إلى آخر ما ورد عن الشيخ باطحن وسبق ذكره.



القلعي، فهذا الشيخُ باحمود متأخر قد اجتمع به الشيخُ محمد بن علي بن جديد حين دخل ظفار سنة ٦١٨ هـ، ولم يصرحُ باطحن باسم محمد بن علي باعلوي وإنما قال بالفقيه باعلوي، فإنه إن لم يتصحف لفظ باعلوي عن القلعي، فيحتمل أن يكون المراد به عبدالله بن محمد بن علي باعلوي وهذا من تلاميذ الإمام القلعي.

الثالث: قوله: «إن الشيخ باطحن جعل دخول ابن مهدي إلى زبيد واستيلاءه عليها سبباً لهرب الإمام القلعي منها ومروره بظفار فإن ابن مهدي ملك زبيد واستقر بدار الملك بها يوم الجمعة رابع عشر رجب من سنة ٥٥٤ هـ وسلطان ظفار أحمد بن منجوه توفي سنة ٥٧٣ هـ وإنما تولى ظفار ابنه السلطان محمد بن أحمد بن منجوه بعده، فبين دخول ابن مهدي زبيد وتولي محمد بن منجوه ظفار نحو تسع عشرة سنة...».

قلت: هذه نتيجة خاطئة مبنية على مقدمة خاطئة، فإن سلطان ظفار عند مجيء القلعي إليها هو محمد بن منجوه الذي تولى سنة ٥٤٠ هـ وتوفي سنة ٥٧٣ هـ ثم تولى ابنه الأكحل محمد بن محمد بن أحمد بن منجوه، وبهذا يزول الإشكال، ويتضح المقال.

الرابع: قوله: «إن الذي يهربُ زمن دخول ابن مهدي من زبيد أي سنة ٥٥٤ هـ وقد صار فقيهاً ينبغي أن يكون من أقران الإمام محمد بن علي صاحب مرباط مع أن وفاته قريبة من وفاة تلاميذه كأبي مروان وغيره، ووفاة أقران صاحب مرباط في أثناء القرن السادس فمن أقرانه الشيخ الإمام يحيى بن أبي الخير...».

قلت: لا سبيل إلى إنكار هروب الإمام القلعي من زبيد بسبب فتنة ابن مهدي، ولم يقل باطحن أن وفاة القلعي كانت سنة ٦٣٠ هـ حتى يلزمه بهذه اللوازم التي ظاهرُ

عنه عارها، وكونه من أقران صاحب مرباط والإمام العمراني هو الصحيح فإن وفاة الإمام القلعي سنة ٥٧٧ هـ، وأما كون بامروان من تلاميذ صاحب مرباط فغلطٌ واضح فإن مولد بامروان كان سنة ٥٥٥ هـ في حين كانت وفاة صاحب مرباط ٥٥١ هـ وقيل ٥٥٦ هـ فكيف يتأتى هذا التقرير (٤٢).

الخامس: قوله: «ومن الغريب أن الجندي تأثر بما ذكره باطحن أن الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى بن ضمعج هو أقدم قدماء الشافعية في ظفار، ولم يتفطن أن ابنته أحمد بن محمد كان ممن أخذ عن الإمام القلعي وتوفي بالشحر لبضع وسبعين وستمائة...».

قلت: ما ذكره باطحن من أن الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى ضمعج السبتي من تلاميذ الإمام القلعي صحيح كما سبق، وقد أملى عليه كتاب (أحكام العصاة)، وأما ابنته القاضي أبو العباس أحمد بن محمد شارح التنبيه فقد تفقه في مرباط بأبيه ثم قدم الشحر، وكانت وفاته تقريباً لبضع وستين وستمائة كما في (السلوك)، وإنما دخل على المؤرخ الحداد الوهم من جهة كتاب (السلوك) حيث ذكر الابن من تلاميذ القلعي، وإنما الغلط من نسخة (السلوك) ولا علاقة للشيخ باطحن بذلك.

السادس: قوله في الرد على باطحن بأن الإمام القلعي تفقه على أبي عقامة بزبيد «فاعلم أن المشهور منهم زمناً يمكن أن يسند إليه ذلك هو القاضي محمد بن عبدالله المذكور... فتعين أن أبا عقامة تولى القضاء بزبيد ما بين سنة ٥٦٩ و سنة ٥٧١ هـ، أما الفقيه القلعي فقد صار قاضياً وفقيهاً بظفار قبل أبي عقامة بسنين...».

قلت: لا يوجد غلطٌ في كلام الشيخ باطحن وإنما أطلق أبا عقامة، والمقصود به أبو الفتوح كما سبق، والنتيجة التي



بطلان هذه الدعوى:

لقد بقيت الإباضية بحضر موت فتية قبل مجيء المهاجر وبعده حتى وهنت نهاية القرن الخامس الهجري، وعلى ذلك شهادة من عاصر هذه الحقبة وهم ثلاثة من المؤرخين:

١ - قال المسعودي في (مروج الذهب): «فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا المذهب» (٤٤).

٢ - قال الحسن بن أحمد الهمداني المعروف (ت ٣٢٤هـ): «وأما موضع الإمام الذي يأمر الإباضية وينهى ففي مدينة دوعن...». وقال أيضاً في حديثه عن نجيب: «وإباضتهم قليلة، وأكثر ذلك في الصدف لأنهم دخلوا في حير» (٤٥).

٣ - قال البشاري (ت نحو ٣٨٠هـ): «حضر موت هي قصبة الأحقاف، موضوعة في الرمال، عامرة نائية عن الساحل، أهلة، لهم في العلم والخير رغبة، إلا أنهم شراة شديد سمرتهم» (٤٦).

ولقد امتلأ شعر أبي إسحاق الحضرمي بذكر خصومه والرد عليهم، وجرّد سيفه يضرب كاهل خصومه لا يلوي في ذلك على أحد، ويدوّد عن حياض إمامته ونحلته في حضر موت، ويتلهف على حالها ويفتخر بقومه وجنوده، ويتغنى ببلدانهم مثل شبام وذي أصبح وتريس وجبوضة ومدودة وبور كما في قوله:

وحسبي وحسبي للجلاد بعصبة

شبابية مثل النجوم الثواقب

وذو صبح فيها لعمر كعصبة

يطيب الثنا في مردها والأشائب

وكم في مدود أو تريس وأختها

حبوض وبور من إباضي راغب

وأطال الرد على الصليحي الذي أراد أن يغزو حضر موت

كما ورد في سجل المستنصر الفاطمي إلى أبي الحسن الصليحي

التصريح بضم حضر موت إلى دعوة الفاطميين عنوة فقال:

توصل إليها المؤرخ الحداد باطلة؛ لأنها مبنية على مقدمة باطلة، فإن القول بأن مراد باطحن بأبي عقامة هو القاضي محمد بن عبدالله - الذي تولى القضاء أيام سيف الدولة - غير صحيح، كما لا يصح قوله: «فتأمل هذه اللوازم التي تلزم ما جاء عن باطحن من التلفيق في ترجمة هذا الشيخ الإمام الجليل وقد توهم أنه سيصلحها فأفسدها»، والصحيح أنه لا تلفيق في كلام باطحن، وإنما اختلط على المؤرخ الحداد كثير من الأمور، فجعل يرد كلام باطحن منها:

- الخلط بين سلطان ظفار محمد بن أحمد منجوه وابنه الأكحل.

- الخلط بين أبي الفتوح والقاضي محمد بن عبدالله بن أبي عقامة.

- الخلط بين محمد بن أحمد بن يحيى ضمعج وابنه أحمد.

- تناقض في سنة وفاة الإمام القلعي ثم أكد أنها سنة ٦٣٠هـ.

ثالثاً: نقض دعوى انتشاره على يد المهاجر

أحمد بن عيسى:

كما لم تصح الدعوى بانتشار مذهب الشافعي في حضر موت على يد محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط، فإن دعوى انتشاره بها على يد المهاجر أحمد بن عيسى أغلظ خطأ، وهذه الدعوى قد تقدم بها الشلي في (المشرع الروي)، وتلقفها عنه آخرون، ونص عبارته: «إن الخوارج الإباضية دخلوا تحت طاعته، وأن الله أطفأ به نار البدعة في حضر موت... وأنه على يديه كان انتشار المذهب الشافعي» (٤٣).

وهذه دعوى داحضة عند التحقيق، عارية عن أدنى دليل عند التدقيق، فلا توجد للمهاجر أحمد بن عيسى - قدم حضر موت سنة ٣١٨هـ أي آثار تدل عليها من كتب أو تلاميذ، ولا توجد حوالة صحيحة على مصدر قديم بثبت صحة الدعوى.



«وأما إزماعك - قرن الله الخير بعز ماتك، ولقاك النجح في تصر فاتك - التوجه إلى حضر موت لفتح أغلقها، ونشر دعوتنا في آفاقها، فالله يمدك بالمعونة وارداً وصادراً، ويحدد لك من سيف نصرته ما يكون لأعدائك قاهراً بمنه»، كان وصول السجل إلى اليمن في جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ هـ. والعجب أنه لم يلتفت إلى دعوى القضاء على الإباضية وانتشار المذهب الشافعي على يد المهاجر، وأعجب منه أن مؤرخي العلويين أنفسهم لم يتفقوا على مذهب المهاجر: - زعم الشلي في (المشرع) بأن أحمد بن عيسى نشر المذهب الشافعي بحضر موت كما سبق.

- شك مفتي حضر موت عبدالرحمن بن عبيدالله في كتابيه (بضائع التابوت) و(إدام القوت) في قول الشلي إن أحمد بن عيسى أظهر المذهب الشافعي بحضر موت، وتساءل كيف يكون شافعيًا، وإنما هو عراقي ولآبائه مذهب معروف لا يمكنه انتقاله عنه بدون نبأ عظيم يكون له دوي في التاريخ. - ألف المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه (صبح الدياجر في تاريخ المهاجر)، وأيد قول الشلي وجعل أحمد بن عيسى البطل الفذ والمؤسس الوحيد للدور الرابع من التاريخ الحضرمي؛ دور العهد السني بإدخاله المذهب الشافعي، ونصرته أصول أهل السنة.

- نقل المؤرخ صالح بن علي الحامد أن أحمد بن عيسى إمامي المذهب، وقال في تاريخه: «فالجزم بكون المهاجر كان شافعي المذهب على طريقة الأشاعرة غير مبني على تحقيق وبحث، بل هو من باب الرجم بالظن المبني على الاستصحاب المقلوب، إذ صارت ذريته شافعية أشاعرة»، وفي رده على من زعم شافعية المهاجر أنهم «كانوا في عصور متأخرة تفصلهم عن العلم بحقيقة الأمر مع فقد النقل عصور وقرون»، وليس هناك دليل يستندون إليه، اللهم إلا

الاعتماد على الاستصحاب المقلوب لكون بنيه كانوا شافعيين، إذا فكّر الحضيف ملياً رأى في نفسه ريبة الأمر. - كان علوي بن طاهر على ما عليه (المشرع) كما في (جني الشباريخ) يصح بأن أحمد بن عيسى به انتشر مذهب الإمام الشافعي، ثم أُلّف (إثمد البصائر بالبحث في مذهب المهاجر)، وانتصر فيه لرسالة (صبح الدياجر)، ورد على ابن عبيدالله استدلالاته النقلية.

- عارض ابن عبيدالله ما في (إثمد البصائر) فألف (نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر)، ثم رد على أيضاً معارضه بتأليف (سموم ناجر لمن يعترض على نسيم حاجر).

- المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري قرر في (أدوار التاريخ الحضرمي) «أنه نشر المذهب الشافعي السني حتى حل محل المذهب الإباضي تدريجياً»، ثم نزّهه عن التقليد، وذكر أن المعروف أن المهاجر وإن كان يعتنق مذهب الشافعي لا يقلد الشافعي تقليداً أعمى، وكذلك عقائده الإسلامية هي عقائد آبائه وأجداده كالباقر وزين العابدين... والمهاجر على مذهب الشافعي الذي يراه كمذهب آبائه. وأنت ترى هذا الاضطراب الكبير في مسألة مذهب المهاجر، لم يشرق فيها صبح يكشف الدياجر، ولم تكتحل عين بإثمد البصائر، ولم يتعش القول بنسيم حاجر، والكل (كانوا في عصور متأخرة تفصلهم عن العلم بحقيقة الأمر مع فقد النقل عصور وقرون)، وليس هناك دليل يستندون إليه) فلا غرو أن يتردد الحضيف إذا فكر ملياً.

وحسبنا ما أردنا الخوض فيه من ترجمة الإمام القلعي التي انتخبها من تأليف موسع في هذا الباب أردنا هنا أن نتفياً ظلال سيرته العطرة وقد وصلنا إلى خاتمة المطاف، فنسأل الله تعالى أن ينفع به، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ب العالمين.



37

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

الهوامش:

* عضو مجلس علماء وادي حضرموت.

- (١) طبقات فقهاء اليمن للحمدي، ص ٢٢٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ١٥٦، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٦٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٢/ ٣٩، السلوك للجندي ١/ ٤٥٤، العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/ ٥٦، الأعلام للزركلي ٧/ ١٦٩، عقود الألباس ٢/ ٧٦.
- (٢) العدة المفيدة لابن حميد الكندي، ص ٧٤، وعقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (٣) المفيد في أخبار زبيد، ص ١٦٨.
- (٤) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/ ٥٥٤، ٥٥٥، السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ٣٨١).
- (٥) الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، للشيخ عبدالله بن جعفر الكثيري، نقلاً عن العدة المفيدة، ص ٧٤، وعقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (٦) وطبقات الشافعية للإسنوي، ٢/ ١٦٤.
- (٧) تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٧٢٨)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (٤/ ١٩٣).
- (٨) السلوك في طبقات العلماء والملوك (٢/ ٤٥٦)، وعنه تحفة الزمن، الفتح الرباني للإمام الشوكاني.
- (٩) ينظر: أخبار ابن مهدي في بغية المستفيد، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، بلوغ الرام في شرح مسك الختام، تاريخ وصاب، بهجة اليمن في تاريخ اليمن.
- (١٠) العدة المفيدة، ١/ ٩٢، عقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (١١) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج/ ٢٠.
- (١٢) رحلة ابن بطوطة.
- (١٣) قلادة النحر، ص ٥١، صورة الأرض لابن حوقل، ١/ ٣٨.
- (١٤) العدة المفيدة، ١/ ٩٢، عقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (١٥) المصدر السابق.
- (١٦) ذكره في سير أعلام النبلاء للذهبي فقال: «تفقه بظفار على محمد عبدالله حماد»، ولم يحدد المذهب الذي تفقه به على يديه.
- (١٧) أشار لهذه المكتبة باطحن كما جاء في (الدلائل).
- (١٨) ينظر ذكره في السلوك للجندي قال: «كان فاضلاً أخذ عن الإمام القلعي»، ص ٤٧١.
- (١٩) العدة المفيدة، ١/ ٩٢، عقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (٢٠) الدلائل والأخبار، نقلاً عن العدة المفيدة، ١/ ٩٢، عقود الألباس، ٢/ ٧٦.
- (٢١) المصدر السابق.
- (٢٢) قلادة النحر للطيب باخرمة، وطرز أعلام للخزرجي، وعند الجندي في السلوك (أبو فير).
- (٢٣) العقود اللؤلؤية، ١/ ٥٢.

- (٢٤) ينظر: تكملة المجموع لتقي الدين السبكي، فصل الصرف في الذمة.
- (٢٥) المجموع شرح المذهب، ١/ ٢٧٦.
- (٢٦) كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/ ٤٥٥.
- (٢٧) السلوك في طبقات العلماء والملوك، (٢/ ٤٥٨).
- (٢٨) نقلاً عن كتاب النفائس للأزرق.
- (٢٩) الجواهر الشفاف، (مخطوط).
- (٣٠) المجموع شرح المذهب، (١١/ ١٥٦).
- (٣١) مقدمة تهذيب الرئاسة.
- (٣٢) السلوك للجندي، ٢/ ٣٠، ٤٧١، دلائل الأخبار.
- (٣٣) الغرر للبيهاء الضوي، وعنه تاريخ حضرموت للحامد، وعقود الألباس للحداد.
- (٣٤) نسبة تتلمذ سعد الدين للقلعي أفاده المعشني في الآثار التاريخية لظفار.
- (٣٥) فتاوى سالم باصهي (مخطوطة).
- (٣٦) السلوك الجزء الأول.
- (٣٧) العقود اللؤلؤية.
- (٣٨) جواب الشيخ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بتاريخ ٢٧/ ٢/ ١٣٧٤ هـ على رسالة شيخنا العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير يسأله عن دخول المذهب الشافعي إلى حضرموت، فقال المسؤول وجدت بخط الحافظ ابن حجر... وكلمة الحافظ عند الإطلاق تنصرف إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري. ينظر: القضاء في حضرموت، ولم نظفر بما ذكره ابن عبيدالله عن الحافظ ابن حجر.
- (٣٩) الحكاية الثانية، وفيها أنه كان ينفق على أهل مائة بيت من الجن فضلاً عن الأنس.
- (٤٠) الفكر والثقافة، ص ١٠٧.
- (٤١) البرقة المشيقة، ص ١٣٧. ومثله في غرر البهاء الضوي، ص ١٣٠، «وكان له الجاه الواسع والصيت الجامع الرفيع وله القبول التام عند الخاص والعام، وانتشرت علومه وأخباره بجهات اليمن وحضرموت وظفار انتشاراً طبع الأفاف منها».
- (٤٢) ذكر عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في كتابه (إدام القوت) أن ما نقله صاحب المشرع، وعنه شارح العينية، من أخذ الشيخ سالم بافضل، وعلي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد محمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب عن السيد الإمام محمد بن علي صاحب مرباط شيء من البعد..
- (٤٣) المشرع الروي.
- (٤٤) مروج الذهب، (١/ ٤٥٣).
- (٤٥) صفة جزيرة العرب، (١/ ٤٤).
- (٤٦) هو الرحالة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي صاحب أحسن التقاسيم، (١/ ٣١). وقال (١/ ٣٥): «أهل الأحقاف نواصب غتم».

السيد محمد جمل الليل

ناسخ القرآن الكريم بخط اليد



السيد محمد عبدالرحمن جمل الليل من مواليد منطقة (صيف) بوادي دوعن عام ١٩٥٦م، متزوج وله ابنان وبنتان، شغف بالخط العربي منذ كان في الصف الخامس الابتدائي، واستمرت معه هذه الموهبة ترافقه طيلة حياته، ولاستغلال هذه الموهبة بدأ بنسخ القرآن الكريم منذ عام ٢٠١٠م، ودأب على نسخه بخط يده كل سنة حتى وصل إلى النسخة الثانية عشرة.. تولى السيد جمل الليل عدداً من المناصب والوظائف منها رئيس قلم التوثيق بالمحكمة وأمين السر، وكذا عاقل حارة بمنطقة صيف، وعضو باللجنة المجتمعية، ولجنة الماء، والصرف الصحي بالمنطقة.. ولتسليط الضوء على موهبة الخط لديه واهتمامه بنسخ القرآن أجرينا معه هذا الحوار لنُعرف القارئ الكريم على هذه الشخصية الحضرمية:

أجرى الحوار: أحمد محفوظ بادويلاان ومحمد سالم بن صويلح

يمتازون بخطهم الجميل، وكان القلم المستخدم هو قلم الحبر؛ حيث يبدأ الكتابة به منذ الصف الخامس ويمنع استخدام غيره، وهذا ساعد على تحسين الخط.

• متى كانت الانطلاقة الأولى لنسخ القرآن الكريم كاملاً؟ هل كانت هناك أي عوائق؟

– بداية كتابتي للمصحف الشريف كانت بالتحديد عام ٢٠١٠م وما زلت إلى يومنا مستمراً في كتابته دون توقف، وسأستمر في كتابته إلى ما شاء الله.. وليست هناك أي عوائق والحمد لله.

• كم كانت المدة التي استغرقتها في إتمام أول نسخة من القرآن الكريم؟

– المدة التي استغرقتها في كتابة المصحف لأول مرة أحد عشر شهراً تقريباً.

• السيد محمد كيف جاءت فكرة نسخ وكتابة القرآن الكريم بخط يدك؟

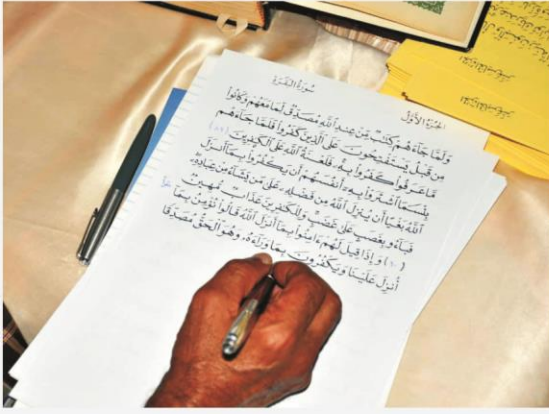
– جاءت الفكرة استغلالاً للوقت، ثم إن قراءة القرآن وكتابته والنظر إليه عبادة، وأسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، ومن قرأ مجلة (حضر موت الثقافية) والقائمين عليها صالح الأعمال.

• هل كنت متأثراً بأحد الخطاطين قبل انطلاقتك في نسخ القرآن الكريم؟

– أنا أحب الخط العربي وأعشقه بجميع أشكاله ورسمه منذ مدة دراستي، ولدي إعجاب بكل الخطاطين، وأتمنى أن أتعلم قواعد الخط العربي وأصوله.

• بداياتك في التعليم هل كنت متميزاً بخطك، بحيث كان يثنى عليك معلموك؟

– بداية دراستي من الصف الخامس كنت واحداً من خطاطي المجلة الحائطية، وكان جميع الطلبة أيام دراستي



والدكتور الشيخ محمد باعظية (رئيس جامعة العرب)، والمنصب أحمد المحضار، والشيخ محمد بن عبد الرب، وكثير من طلبة الجامعات والأندية ومن الإعلاميين قناة حضر موت الفضائية، وقناة السعيدة وغيرهم الكثير.

• هل كتبت مخطوطات أخرى بخط النسخ أو الرقعة أو غيرهما من الخطوط الأخرى؟

- لا.. لم أكتب شيئاً.. فقط أكتب القرآن الكريم بخط النسخ منها (١٠ نسخ برواية حفص عن عاصم) و(٢ برواية الدوري).

• ما نوع الورق والأقلام التي تستخدمها في أثناء الكتابة؟

- أستخدم أقلام باركر ٢١ أو ٥١ بعد تعديل ريشته، وهذه الأنواع غير متوافرة في السوق.. أما الورق فأكتب على ورق أبيض أو أصفر وهذه متوافرة في المكتبات، والصعوبة في انعدام نوع الحبر الذي استخدمه واسمه (بلوكان) صناعة ألمانية، هذا النوع غير متوافر هنا ويوجد في صنعاء مع صعوبة الحصول عليه.

• نظراً لما نشاهده من خطوط للطلاب ورداءة الكثير منها، ما تعليقك على ذلك؟

- هذا يرجع إلى عدم اهتمام المعلمين برسم الخط العربي، وكذلك الجهات المختصة.

• السيد محمد كلمة أخيرة تحب أن تقولها؟

- أتمنى من الجهات الرسمية ذات العلاقة ممثلة بوزارة التربية والتعليم أن تهتم بالخط العربي مادة أساسية ضمن المناهج المدرسية، وتوفير كادر متخصص في الخطوط العربية كون الطالب يكتب بخط يده.

• كيف تنظم برنامجك وخطتك خلال اليوم للكتابة؟ وما هي الأوقات التي تختارها للكتابة؟ وكم تتم من الصفحات في اليوم الواحد؟

- أبدأ الكتابة من بعد صلاة الفجر إلى الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وأحياناً أبدأ قبل الفجر.. وأتوقف إلى الساعة العاشرة والنصف صباحاً لأعود وأكمل إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً، وأيضاً ما بين المغرب والعشاء... أكتب في اليوم قرابة ثلاث صفحات قد تزيد أسطراً أو تنقص قليلاً.

• ما سر نسخك للقرآن لأكثر من مرة، ما هي الأشياء التي تكتشفها في النسخة الأولى تجعلك تعيد الكتابة للمرة الثانية والثالثة وهكذا..؟

- لا يوجد سر من وراء كتابتي للمصحف الشريف بل إن أحسن الأوقات وأجملها هو الوقت الذي أقضيه في كتابة القرآن وتمضي علي ساعات روحانية.. وحتى عند زيارتي لأقاربي خارج المنطقة أخذ معي أدوات الكتابة وأكتب دون توقف والحمد لله.

• هل هناك من جهة عرضت عليها مشروعك هذا ووعدت بتبنيه؟

- لم أعرض ما كتبت من القرآن على أي جهة، ولا مانع من عرضه بعد مراجعته وتصحيحه.

• من هم أبرز الذين قاموا بزيارتك للاطلاع على عملك هذا؟

- أشرف كل عام بزيارة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ وبالذاعة والمشايخ وطلبة العلم، ومن الذين تكرموا بالاطلاع على المصحف المستشار القاضي سعد باشكيل وأحمد السعدي (مدير الأوقاف)، ود. عبدالله الحامد، والأستاذ سالم بانخر،



أثناء الحوار مع الأستاذ جمل الليل

عن خرائط الخوف

د. سعيد الجريري



خلاصته عن العلاقة بين خوف النساء من العنف الرجل وتصورهن عنه واستخدامهن للأماكن العامة وكيفية التحكم فيها من قبل مجموعات مختلفة في أوقات مختلفة. وقد توصلت فالتين إلى أن عوائق استخدام المرأة للفضاءات هو تعبير مكاني عن النظام الأبوي. ولقد أجرت فالتين مقابلات مع عدد كبير جداً من النساء، اكتشفت أنهن جميعاً يحملن خرائط في رؤوسهن بها أماكن خفية. وبالرغم من اختلاف أوضاعهن الاجتماعية أو اللون أو الطبقة، إلا أن هناك أوجه تشابه كبيرة، وبخاصة في ما يتعلق، بشكل أساسي، بالأماكن الخالية ذات الإضاءة الخافتة، بالتوازي مع الميادين العامة التي يتسكع فيها مجموعات من الرجال (الضالين).

ومما أكدته إيفا ميجر في مقالها تعليقاً على خلاصة فالتين أن النساء يتم تعليمهن الخوف منذ سن مبكرة، ويتعلم الرجال أيضاً أين يجب أن تخاف النساء. ولذلك تستوعب النساء هذا الخوف فيضبطن طرق الجري، ويتظاهرن بالتحدث إلى شخص ما بالهاتف عندما توشكن على الوصول إلى المكان الذي يقصدهن، خاصة إن كان مظلماً شيئاً ما. على أن الخوف قد يتعدى النساء، والناس جميعاً إلى الحيوانات أيضاً، فالعديد من حيوانات المدن تخاف من الناس، مثلما يخاف الناس الآن من الناس مطلقاً، في زمن كورونا الذي جلب معه شبكات جديدة من الخوف، تحدث من يجرؤ منهم على الذهاب إلى مكان ما.

لكل إنسان خرائط خوف خاصة في رأسه، تم رسمها منذ طفولته، حتى غدت موازية خرائط العالم الجغرافية والسياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي تختلف باختلاف الجغرافيا المكانية والسياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية التي ينتمي إليها، لكنه ليس إلا اختلاف في الدرجة فقط. ولا ترتبط خرائط الخوف بأزمة الحروب والاستبداد فحسب، ولكنها مرتبطة بأزمة السلام والاستقرار أيضاً. فخلفيات الخوف ثقافية بالمعنى الشامل للكلمة، ولكل بلد خرائط خوفه، كما لكل إنسان خرائط خوفه التي تخالف أو تشابه خرائط غيره، في المكان نفسه أو في أماكن أخرى يعرفها أو لا يعرفها.

ولقد أثارت خرائط الخوف الأولى تساؤلات الإنسان وهو اجسه في مواجهته ما حوله عبر التاريخ، حتى اجتهد واجترح إجابات ذات مناح شتى منها فلسفية أو دينية أو خرافية أو أسطورية، ليخفف من حدة الخوف (وربما الرعب)، ويعزز مفاعيل الأمان. لكنه في مسار تلك التساؤلات والإجابات لم ينبج من الاعتساف أحياناً، حتى استبدل بالأمن الطبيعي خوفاً من صنعه، في ما يشبه مقولة خيفة كالأمن، أمن كالمخافة بتعبير البردوني في إحدى قصائده. قرأت قبل أيام إشارة في مقال للكاتبة الهولندية إيفا ميجر إلى مقال علمي لأستاذة الجغرافيا في جامعة شيفيلد، جل فالتين عن خرائط الخوف لدى النساء ١٩٨٩م،



وجه ولا كفين ولا عينين، أو من مالت إلى استخدام حقها في أن تلبس ما تشاء بما لا يتعارض مع الاحتشام العام.

سيقول قائل: إن أدنى حقوقنا الإنسانية في البقاء على (قيد) الحياة لم يعد مؤمناً، فلا مجال الآن لحديث عن المرأة وحقها في الاستخدام الآمن للأمكنة. وهذا قول صحيح جداً، لكن أسباب ما آلت إليه الأمور ليست منفصلة بشكل أو بآخر عما مورس ضد المرأة من قمع مركب، انعكس على من دأبت على تربيتهن الذين تشرّبوا قيم اللاحرية من إنسانة مقموعة، ثم تولى ترسيخ فصول الإخضاع آخرون وجهات اجتماعية وسياسية وثقافية، أوصلت الحال إلى هذا المستوى من الهشاشة التي يحاكي فيها الهر صولة الأسد.

العالم قرية، لكنها قرية خيفة أزقتها ودروبها. غير أن من الطريف أن نقرأ مثلاً عن مبادرة مثل النساء يصنعن المدينة التي تبناها بلدية أمستردام - وعمدتها امرأة يسارية - للسماح للنساء الأكثر مبادرة بأن يكون لهن رأي في تخطيط المدن والأمكنة والفضاءات، لأن ما سبق، وإلى الآن، كان من منظور ذكوري. لكن مع أن مبادرة كهذه قد تجعل من الممكن أن يكون تصميم المدن والأماكن العامة الأخرى أفضل وأكثر أماناً، إلا أنه ينبغي، في الوقت نفسه، معالجة علاقات القوة والاستقواء الأساسية، لأنه بخلاف ذلك، ستظهر دائماً خرائط خوف جديدة.

فإن أفرد كل منا خرائط خوفه على طاولة الأمكنة، فماذا عن خرائط الخوف المتعاضلة في دواخلنا، تلك التي تفيض روافدها على خرائط الأمكنة؟ وهل يُعنى الباحثون والباحثات بموضوعات حيوية متصلة بالوجود الآمن للإنسان في مجتمعاتنا، ولا سيما المستضعف المثقل بالمخاوف: المرأة، الضحية التي يرتد عليها ما يجنيه الآخرون، بذريعة أنها تعدت، بشكلٍ ما، حدود تلك الخرائط المتاحة.

فإذا ما تركنا جل فالنتين وإيفا ميجر جانباً، فهما تكتبان عن مجتمعين أوروبيين، فإن خرائط الخوف في عالمنا العربي توازي خرائط الاستبداد السياسي والإرهاب الفكري والعنف الاجتماعي والثقافي الذي يطال النساء منه أضعاف ما يطال الرجال، في حالة تستمرّوها جماعات وأنظمة سياسية واجتماعية معززة بخلفيات دينية وعرفية وتقليدية، تهدف من خلالها إلى تقييد المرأة وإخضاعها، حد أن تنبري نسوة لممارسة دور القمع الذكوري بالنيابة، وبقسوة أشد، على اعتبار أن في ذلك تعزيزاً للقيم الدينية والاجتماعية المستهدفة من جهات معادية، وفقاً للخطاب المهيمن الذي توظفه تلك الأنظمة والجماعات لفرض سلطاتها.

أكتب هذا المقال في لحظة تتوالى فيه أخبار عن اختطاف فتيات وأطفال، يتعرض بعضهم للاغتصاب، والقتل أحياناً لمواراة آثار الجريمة. أي أن الأماكن معظمها صارت مخافات، في مجتمعٍ للأعراض فيه قيمة اعتبارية. ومهما يكن من أسباب خلف تلك الاختطافات ومن يخطط لها وينفذها، في سياق الصراع السياسي والحرب المستمرة بقماءة تاريخية، فإن مما يعزز بقاء المرأة جداراً قصيراً لكل من يريد أن يمارس خطاياها، هيمنة ثقافة تقليدية وضعت المرأة في صندوق أفكارها، وأغلقته بقفل سلطاتها، وأوقفت عليه حراساً عديدين، بمواصفات انكشائية. لكن يبدو أن مقاربة الموضوع في وضع كهذا، أقرب إلى سفسطة البيضة والدجاجة، والعربة والحصان. غير أن من يده في الماء ليس كمن يده في النار، ولذا فإن انتظار المرأة أن يغير الرجل (الأصح هنا الذكر) أفكاره تجاهها، ضرب من المستحيل.

فالأماكن فضاءات عامة، ومتى أحست جماعة أو أفراد بالخوف في الحركة الطبيعية عليها، دل ذلك على انتقاص الحق في استخدامها بلا معيقات، وهو ما تعانيه المرأة، ولا فرق هنا بين من تجلببت حتى لا تكاد ترى منها شيئاً، لا

عن الدراسات الموضوعية والفنية للأدب

- شجون نقدية -

ونفسية الشاعر، ونصفها الآخر في أمثلة جديدة للبلاغة العربية المعروفة، في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبدیع، ويبقى شعر الشاعر وأساليبه الجديدة التي تميز لغته وإضافاته الخاصة به لم تمسها يد الدراسة بالكشف ولم تنفض عنها ذرة من غبار.

(٢)

هذه الرسائل تقف عند المصادر والأسباب والبواعث أكثر مما تقف على الطرائق والأشكال والأساليب التي ينبع منها جمال لغة الشعر وتميز صياغاته؛ لذا كثيراً ما نصادف في التحليل عبارات التعليل والإحالة إلى المجتمع والتاريخ ونفسية الشاعر وظروفه الشخصية في عبارات مثل: وثيق الصلة بنفسه وبالحياة/ أحاسيس صادقة/ زفرات الشاعر التي ينفثها/ تعبر عن مشاعره وأحاسيسه العميقة/ انعكاس لنفسه وظروفه وبيئته وعصره/ عاطفة الشاعر الجياشة وأحاسيسه الملتهبة/ يعكس تجربته الانفعالية ويكشف جانباً من نفسيته/ فالشعر قالب نفسي يصب الشاعر فيه مشاعره وأحاسيسه/ يعكس شعوره بالندم/ يعكس رأيه في المرأة/ يعكس إبداع الشاعر وشخصيته المميزة/ يعكس نفسية الشاعر وإحساسه الخاص/ ...



د. أحمد سعيد عبيدون

(١)

نصادف كثيراً في طلاب الدراسات العليا في مجال الأدب ونقد الأدب وعياً يعاين الظاهرة الفنية بمنهج تنتمي إلى رؤى تتعامل مع الأدب من منظور العلم الذي تحسب عليه مما يحول هذه النصوص إلى وثائق تخرج عن طبيعتها الأدبية لتفسر لمصلحة العلم الذي يراها، وليست نصوصاً تنتظر معاينتها بعلم مستنبط من طريقة تشكيلاتها اللغوية، وجماليات أشكالها الفنية وطرائق تأثيرها، هذا الوعي الذي يفصل بين الموضوع والفن، والمضمون والشكل، والمعنى واللفظ كما هو معروف في القديم في التقسيم الرباعي المشهور لابن قتيبة، ونكون في النهاية أمام رسالة نصفها في المجتمع والسياسة والتاريخ



الشاعر لكي يكتب قصيدة غزلية جميلة أن يذهب لكي يعشق فتاة ويهيم في حبها، بل يحتاج إلى أن يحب قصائد الغزل، ويدمن قراءتها، ويحتاج إلى أن تكون المرأة عنده هي قصيدة الغزل نفسها، إن عمل الشاعر في الكلمات لا يختلف عن عمل الموسيقي في الأنغام، ولا عمل الرسام في الألوان، ولا عمل الراقص في الحركات، وإن الجماليات تكمن في هذه الخصائص المميزة للفن، والتشكيلات المؤثرة للعزف، والتصوير بالكلمات أو بالأنغام أو بالألوان، أو بالحركات، هكذا يبدو الشكل والمضمون في وحدة واحدة صارت مركباً جديداً جديراً بالمعينة والدراسة، تماماً كجزء الماء الذي يختلف تماماً في صفاته عن مكونيه الهيدروجين والأكسجين، علينا أن نتبذل بالماء ونشربه ونذهب معه في كل الاتجاهات التي يذهب إليها، وأن ننسى تماماً المصادر والمكونات؛ لأننا لو فعلنا ذلك فإننا نفكّ هذه العلاقة في الماء بين مكونيه فتكون النتيجة تبخّر هذين الغازين أمام أعيننا، ولن نحصل في النهاية على سوى اللاشيء. هكذا ينتقل النظر في الشكل متجاوزاً الشيء إلى علاقة الشيء بالشيء، ولماذا نذهب بعيداً وعندنا هذا الوعي النقدي الشكلي موجود في تراثنا عند عبدالقاهر الجرجاني الذي وضع على نفسه أسئلة تذهب مباشرة إلى الفن وتهمل مصادره وأسبابه ومحفزاته ودوافعه، وظروفه الاجتماعية، وسياقه التاريخي والاجتماعي، في اللحظة التي نعين فيها الفن والجمال الذي تفوق على الكلام حتى وصل إلى القمة التي يعجز عن الوصول إليها البشر (الإعجاز)، سأل نفسه وهو يعاين الآية: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هل الآية معجزة؟ أين يكمن إعجازها؟ في لفظها أم في معناها؟ فأجاب: في مكان ثالث هو وحدة هذين المكونين، هذا المكان الثالث

هذا المسلك في المعينة يعتمد مناهج تعالين الظاهرة الأدبية وتعللها من خارجها مناهج تعود إلى النقد التاريخي والاجتماعي والنفسي، كما تعود إلى نظرية الانعكاس الميكانيكية التي وجدت عند الماركسيين والتي وقف ضدها الشكلانيون الروس وذاقوا في معارضتها الويل والعذاب، وتلك التي تعود إلى نقاد يرون الأدب ابن البيئة والحياة والمجتمع كما نقرأ عند هيوليت تين، وسانت بيف، وبروننتير، وعند من تتلمذ على أفكارهم وتبنى طرائقهم مثل طه حسين وتلاميذه طه حسين، ولعل هذه المسألة في اشتغال علوم أخرى على الأدب مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، هي التي أشار إليها تودوروف في كتابه عن الشعرية في علاقة العلم بموضوعه، فلهذه العلوم الحق في أن تشتغل على الأدب، ولكن ليس لها الحق في أن تسمي العلم الناتج علماً للأدب، إنه علم جديد جدير أن يقبله العلم الذي تفرّع منه وانبثق عنه، فعلم نفس الأدب فرع من علم النفس، وعلم اجتماع الأدب فرع من علم الاجتماع، وعلم تاريخ الأدب فرع من علم التاريخ، أما علم الأدب فلن يتعدى القوانين التي تسم الأدب وتجعله أدباً، القوانين الناتجة عن طرائق تشكيله الداخلية، وجماليات صياغاته المميزة، وإمكانات أبنيته المحتملة.

(٣)

ستغدو أفكار الشكلانيين الروس مهمة هنا لتغيير الوعي وتوجيه النظر وتعديل المسار نحو الأدب الذي نراه عندهم لا يتكون من مشاعر ولا أحاسيس ولا موضوعات ولا وقائع... إنما يتكون من كلمات وكلمات فقط، وعليه فلن تكون التجربة تجربة معيشة للشاعر في الواقع والحياة، إنما تجربة في اللغة ومع اللغة، لن يحتاج



هو: النظم، أو الأسلوب؛ أي في الطريق التي تَوَحَّد بها اللفظ والمعنى وتَشكَّل في طبيعة فريدة ومميزة، وعندما أراد أن يضع يده على الجبال احتاج إلى الإحالة والإسقاط على شيء، لكنه كان واعياً، لم يسقطه على المجتمع ولا التاريخ ولا النفسية، أسقطه على لسان العرب كما يقول القرآن نفسه: (بلسان عربي مبين)، كانت العرب في مخاطباتها تقول: (اشتعل شيب الرأس) فيكون المعنى: إن الشيب حل في الرأس في جزء مخصوص منه، فالعلاقة هنا هي (الجزئية والخصوص)، في حين تكون العلاقة في الآية على: (الكلية والعموم)؛ أي لم تبق بقعة في الرأس تدعى رأساً ألا وقد امتلأت بالشيب حتى نكاد نقول إنه لم تبق في رأسه ولا شعرة واحدة سوداء: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

علينا أن نكف عن الاعتقاد بأن الأدب انعكاس للواقع، فالأدب لا يعكس الواقع ولا يحاكيه، وإنما يحرفه ويغيره من المعروف والمألوف باتجاه الغرابة والتميز، بحيث يجعلنا نعيد إدراك الواقع بطريقة جديدة نكتشف فيها الواقع كأننا نكتشفه لأول مرة، وبذلك لن تكون المعاينة للكلمات والأشياء بقدر ما ستكون للعلاقات والطرائق ولن تكون الكلمة في الشعر مبنية فنياً حتى تمد علاقيتين أساسيتين إحداهما أفقية مع كل عنصر من عناصر العمل الأدبي، والثانية عمودية مع عناصر العمل الأدبي عامة بوصفها كلاً واحداً، وهذا هو الشكل! وبذلك يصبح تحليل الشكل بوصفه المضمون نفسه؛ لأن الشكل ليس سوى صياغة المضمون في النهاية.

(٤)

إن الخلل في وعي العلاقة بين الشكل والمضمون كما سبق، واعتناق الفصل بينها في النظر والتطبيق يؤدي إلى

نتائج مؤذية في الوعي والتلقي والكتابة، تجعل الرسائل المكتوبة في ضوءه تتسم بمشكلات كثيرة منها:

أولاً: التكرار للنصوص التي تحتاج إلى المعاينة مرتين مرة في الدراسة المضمونية، ومرة في الدراسة الفنية يؤدي إلى ترهل الرسالة وتشوش بنائها.. ثانياً: يضطر الباحث إلى استخدام جهاز نقدي ومفاهيمي جاهز ومنجز وهو الجهاز البلاغي المتمثل في علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، ولا يستطيع تجاوز ذلك إلى النظر إلى الشعر المدروس بوصفه متناً واحداً له خصائصه النظامية والأسلوبية التي تميزه وتحدد طابع الشعرية فيه، ومعروف أن البلاغة تتسم بالثبات والجزئية التي لا تتجاوز الجملة، والتي تسم النصوص جميعاً بهوية واحدة وتصبها في قوالب واحدة لا تعنيها السمات ولا المميزات ولا الخصائص النوعية في الشعر، بعكس الأسلوب الذي يعنى بخلاف ذلك، وفي النهاية نكون أمام أمثلة جديدة لعناوين قديمة في البلاغة نكون معها قد أغنينا البلاغة وأضفنا إليها أمثلة جديدة ولم نكتشف بلاغة الخطاب الشعري المدروس ولا أساليبه المميزة. وثالثاً: الاعتماد على خارج النص أكبر من الاعتماد على الداخل ودراسة النص نفسه المعني بالاهتمام، فتكون الرسالة نصفها في الخارج في التاريخ والسياسة والاجتماع وعلم النفس في الوقت الذي لا يكون فيه الدارس مختصاً في واحد من هذه العلوم، والنصف الآخر في الفن المعني والذي ما يزال يرتبط ويحيل على النصف الأول. ورابعاً: يحار الطالب في الإحالة والإسقاط للشعر، لكنه لا يتردد في إسقاطه على نفسية الشاعر أو مجتمعه أو عصره، ولا يفكر في أسقاطه على الأدب نفسه باعتبار أن الأدب هو الذي ينتج الأدب، ووالد الشعر شعر مثله مثلاً والـد الشخص شخص مثله،



قال:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء

وداوني بالتّي كانت هي الداء

لقد تغلّب على تكنيك الأعشى فانتقل بالبناء من التنكير إلى التعريف، من المجهول إلى المعروف، من التلذذ إلى الإدمان، من الندرة والتقطّع (رب كأس) إلى الدوام والاستمرار، من الاختيار إلى الإصرار، من الإخبار للآخر إلى الحوار معه وانتهاج الرفض الذي يظهر في الخطاب في: دع/ عنك.

هكذا لم يكن أبو تمام وأبو نواس يفكران غير في الأدب والنصوص التي تميزت بالجمال وحسن البناء، وفعل مثل ذلك مع بيت أبي نواس:

كالدهر فيه شراسة وليان

فقال:

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بدا

فأنت لا شك فيك السهل والجبل

(٥)

أتمنى في الأخير أن يبدأ طلابنا حملة من القراءة لكتب في الشكل والبنية والأسلوب والفن، كما أتمنى من الأقسام في الدراسات العليا أن تضع في برامجها مناهج نقد الأدب وبخاصة الداخلية منها: الشكلائية والبنوية، والتناسية، والأسلوبية والسيمائية... وعلم النص، وكل ما يمكن أن يؤدي إلى تطوير الرؤى النقدية عموماً، ويجعلها تنتج جديداً يغير نظرنا في معاينة الأشياء وتناولها بطريقة مختلفة عما ألفنا واعتدنا من مناهج قديمة تؤدي بنا إلى كثير من الوقوف والانتظار في حين يمر الآخرون بجوارنا مر السهام.

ووعي هذه المسألة مر بمراحل مختلفة من التنظير، لعل أوضح مثال ما ذكره ت.س. إليوت من أن الشاعر في القصيدة لا ينطبق على أية شخصية ملموسة وواقعية ولا حتى شخصية المؤلف نفسها، وأن الشعر ليس إطلائاً لسراح الانفعال ولكنه هروب من الانفعال، ليس تعبيراً عن الشخصية ولكنه هروب من الشخصية، صحيح أن أصحاب النقد الجديد هؤلاء لم يقتلوا المؤلف لكنهم أهملوه وأعرضوا عنه ولم يهتموا به وتركوه جائعاً، حتى إذا ما وصل البنيويون أجهزوا عليه وتركوه جثة هامدة، الأمر الذي نرى وعيه عند رولان بارت الذي يرى في هذا الشأن أن اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف، واللغة تعرف الفاعل ولا تعرف الشخص، والفاعل يكفي لكي تنهض اللغة، وهو في النهاية - اسماً كان أم ضميراً - ليس سوى كلمة تبني في النص، كما أشار إلى ذلك - قبلاً - الشكلائيون الروس. إذن الإحالة في الأدب تكون على الأدب حتى نكون أمام شيئين متجانسين يصح التبادل التناسي بينهما، وهنا يطيب الحديث عن التناس وقضاياها إذ يبدو أن وظيفة الشاعر ليست في التعبير عما يحس ويشعر في النفس، أو ما يدور في المجتمع بقدر ما تكون وظيفته الفنية البحث عن الجمال ومحاولة التغلب الفني عليه بجمال أجمل منه، وهذا ما كان يفعله الشعراء أمثال أبي تمام فقد أجاب عندما رأى أحدهم شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد عنده أنها اللات والعزى يعبدان منذ زمن، وهو يقصد بذلك أنه يدمن قراءتهما ليكتب قصائد تتجاوز شعرهما الجميل بعلاقات جديدة تتفوق عليه، فعندما تأمل أبو نواس قول الأعشى:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

في النقد الحضاري

أثر "القياس" على منهج النقد الحضاري، عند محمد الجابري

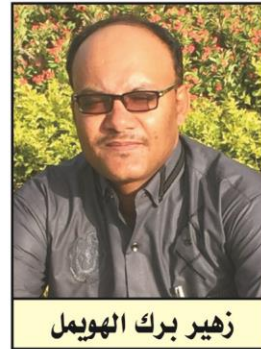
كتاب (تكوين العقل العربي) أنموذجاً

الملخص:

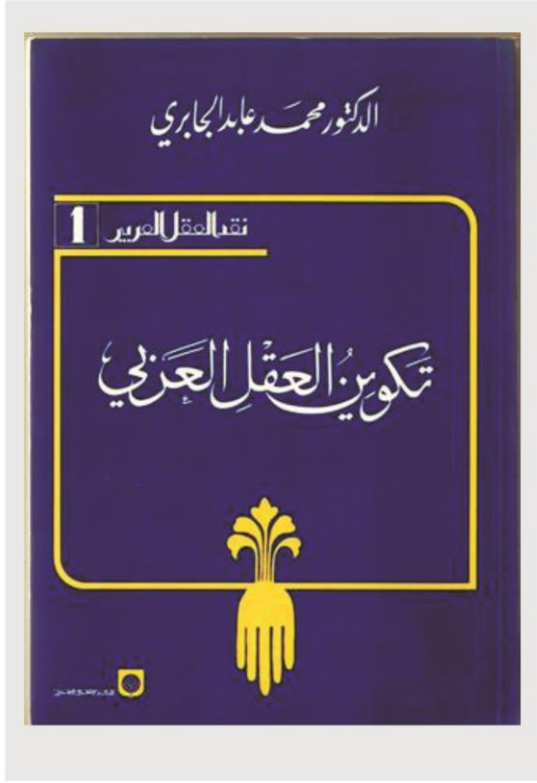
يدرس هذا البحث مدى تأثر منهجية محمد عابد الجابري بالقياس على مثال سابق، وهو منهج كان متبعاً في الفقه والنحو وعلم الكلام والبلاغة، منذ عصر التدوين (العصر العباسي) -وهو ما يسميه الجابري (النظام المعرفي البياني)-، وكان يتشكل في طرائق هذه العلوم، لكن الماهية التي ظل محافظاً عليها، هي قيامه على الثنائيات المتناظرة، المتقابلة منها وغير المتقابلة، فلا بد للقياس من مقيس ومقاس عليه، أي ثنائية ترسم ملامحه، حتى أضى التشبيه به قياساً. فتتبع البحث نماذج من هذه الوجهة التي تبدت رتيبة في نهج الجابري في كتابه (تكوين العقل العربي)، الأمر الذي أعطاه صبغة المنهج، واضعاً في الأخير مجموعة تساؤلات، موجهة إلى صميم الحادثة في الوعي العربي، تجعلنا نعيد النظر في قراءتنا النقدية العربية (ما بعد الحداثية)، وهل استطاعت أن تبارح مكانها وزمانها القديمين، منذ عصر التدوين، والنظام المعرفي البياني، إلى ما بعد الحادثة الألسنية، كما هو الحال في المنهجين النقيدين (النقد الحضاري) و(النقد الثقافي)، أم إنها قراءات لم تبارح زمن التدوين، يختتم البحث بتوجيه التساؤلات إلى نهج الجابري نفسه، هل استطاع الالتزام بمنهجه الأبيسيستيولوجي الذي أعلنه نهجاً متبعاً؟ نائياً به عن الوجهة الأيديولوجية، والبطركية. في مشوار نقده للعقل العربي؟

أثر القياس في منهجية كتاب (تكوين العقل العربي) لـ محمد عابد الجابري:

يمكن معرفة مصطلح القياس من منظور الجابري نفسه حين خصه بفصل كامل، في كتابه المدروس^(١)، بين فيه مدى تأثير القياس في وحدة الفعل العقلي العربي (وحدة الآلية الذهنية العربية) الإسلامية -في الفصل السادس، أي بعد ما قطع خمسة فصول من الكتاب- في فقرة شكّلت رؤية البحث لقراءة منهج الجابري نفسه في آلية الكشف والتقصي الدقيقتين، اللتين دأبهما في نهج



زهير برك الهويل



(البيان) بعمومه في منظور علم البلاغة اليوم، باستعارته وكنائته ومجازه؛ لأن طرفي الاستعارة هي في الأصل طرفا تشبيه، كما يرى ابن الأثير: إن المجاز «إنما كان ضرباً من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله... وإذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمراً قياسياً في حمل فرع على أصل لمناسبة بينهما، وإن كانا يفترقان بحدّهما وحقيقتهما»^(٣)، وهو رأي عبد القاهر الجرجاني في الاستعارة، حين نص قائلاً: «أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس»^(٤)، وهذا ما دعا الجابري أن يسميه (النظام المعرفي البياني).

مما سبق يتجلى القياس مهيمناً على العقل العربي بمختلف وجهاته، النحوية والفقهية والكلامية، أي معرفياً، الأمر الذي يرسم معالم الوعي والفكر لآلية النظام المعرفي العربي (الإسلامي)، بوصف الحاضنة لهذا الوعي هي الدولة الإسلامية؛ لا بتاريخ العصرنة المعروف في الأدب والتاريخ، بل بنهوض هذا الوعي إبان حركتي

مشوار كتابه من أوله، وصولاً إلى هذه الفقرة وما بعدها، ليتجلى مدى خضوع منهجه ممارسة للقياس في رحلة الكتاب كاملة، سيدرس البحث نماذج متعدّدة ومتنوعة -بقدر حيّزه المحدود- تبين مدى صيرورة القياس آلية منهجية في طرح الجابري وتقصيه، يقول الجابري: «بإمكاننا أن نؤكد أن الخطاب العربي في المجالات المعرفية المذكورة يؤسسه (فعل عقلي واحد) أي آلية ذهنية واحدة قوامها ربط فرع بأصل لمناسبة بينهما: إنه القياس بتعبير النحاة والفقهاء، والاستدلال بالشاهد على الغائب بتعبير المتكلمين، والتشبيه بتعبير البلاغيين، إن هذا يعني أن هناك قاعدة **base** أيستيمولوجية واحدة، ولنقل نظاماً معرفياً واحداً، يؤسس الإنتاج النظري في العلوم العربية الإسلامية. وبما أن هذا النظام المعرفي يقوم على ربط فرع بأصل، أي على نفس الآلية التي تؤسس البيان العربي (التشبيه) فإننا سندعو: النظام المعرفي البياني»^(٥).

يمكننا الخروج من هذه الفقرة بأن مكونات أو أشكال القياس -لدى الجابري- على ثلاثة أوجه: ربط الفرع بالأصل، وهذا عند النحاة والفقهاء، والاستدلال بالشاهد على الغائب، وهذا عند أهل الكلام، والتشبيه، عند البلاغيين، ففي قولنا: (زيد أسد)، ثمة أصل هو زيد وفرع رُبط به هو الأسد، وفي النظر في مخلوقات الله، نراها شاهداً على وجود الله، الذي هو في وعي غير المؤمنين غائب، يدل الشاهد عليه، وأصل تفرّع منه الشاهد؛ ليدلّ عليه، إذن يمكن القول بأن الاستدلال بالشاهد على الغائب هو ربط فرع (الشاهد) بأصل (الغائب) أي قياس، وكذلك التشبيه كما أسلفنا ذكره، وكما هو مصرّح به في نهاية فقرة الجابري أعلاه، ويعني به الجابري



الترجمة والتدوين وما تلاهما، تحديداً في العصر العباسي (عصر التدوين)؛ لأنه يشكل الإطار المرجعي للفكر العربي، وقد فصل هذا المفهوم الجابري وأشبعه في كتابه، وهو يقارن بين الزمن الثقافي الأوروبي والزمن الثقافي العربي، بعد نظيره لمفهوم الحركة في الزمن الثقافي، ليس المجال هنا مجال بسطه (ه).

تلك كانت باكورة القول بالقياس، وأثره على منهجية الجابري نفسه في كتابه ذاته، الذي فصل وشرح القياس

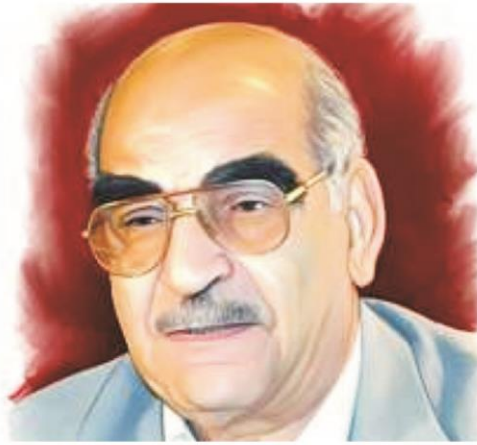
وأثره في تشكيل النظام الأبيستيمولوجي للمعرفة العربية، في عصرها الزاهي، وإن لم تكن تلك بداية الكتاب، لكن الباحث آثر أن يبدأ من حيث بدأ الجابري الحديث عن القياس وشرحه وتفصيله من منظور جابري؛ لتكون هذه البداية خلفية مرجعية

يستند إليها البحث في مشوار تقصيه وتفتيشه عن ملامح القياس المتبدية، مزاولة تأثيرها في مساق خطاب الجابري في كتاب (تكوين العقل العربي)، حيث ضم الكتاب قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول: -بدأه بتساؤل - (العقل العربي... بأي معنى؟ مقاربات أولي)، وحوى ثلاثة فصول، القسم الثاني: تكوين العقل العربي: وحوى تسعة فصول، والبحث حينها أفرز في قراءته ثراءً كثيفاً للاتكاء على الثنائيات المتتالية (المتقابلة والمتألفة) - في نقد الجابري لتكوين العقل العربي - راح يفتش عن مستند علمي أو مرجع معرفي اعتمده الجابري في نهجه، الكثيف للجمع

بين الثنائيات، واعتماده نهجاً قوياً في معظم القضايا الجدية التي كان يناقشها - إن لم يكن كلها - حتى وصل إلى القياس، وآلية تشكله، آتخذ سلم البحث بأثر القياس على طرائق تحليل الجابري في منهج نقده الحضاري، في كتابه (تكوين العقل العربي)، ولا يدعي البحث أنه سيناقش كل تلك الثنائيات؛ لهيمنتها على كتاب يضم ثلاث مئة وإحدى وستين صفحة، ولكنه سيكتفي ببيان هذه السمة الرتيبة في منهجية الكتاب.

هذه الثنائيات وإن كانت تستمد حضورها من منهجية القياس، إلا إنها تتنوع في تبديها غالباً بين المتقابلات، محافظة على الانشطار المكون لمثول بنيتها من مكونين اثنين، ثم إن هذه المتقابلات لا تعني بالضرورة اختلافها بقدر ما تعني الافتراق بين مكوّنيها؛ ليكون أحدهما



محمد عابد الجابري

شاهداً على مثول الآخر من منظور القياس؛ لذا نجد الجابري يستند في (مقابلاته) على المقولة السائدة: بضدها تتميز الأشياء، فالاستعانة بالضد منهجية لتحديد هوية العقل العربي، والضد هنا لا يعني التعارض والتنافر بل مجرد الاختلاف (٦)، بما أن هذه المتقابلات في ثنائيات الجابري تكتسب هيئة الرتبة التقابلية عادة، وهي ذاتها منهجية القياس، سيطلق البحث عليها (الثنائيات) مسلمين بأنها منتوج قياسي، لم يكد يفتح الجابري مبحثاً من مباحث كتابه إلا ويعقد مقابلة ثنائية يكون أحد طرفيها أصيلاً مبتغى، والآخر برهاناً أو شاهداً على تقوية مثوله، أو مرآة يترأى فيه ذلك الأصل.



التفكير بوساطتها، فالفارابي -مثلاً- الذي يفكر في قضايا الثقافة اليونانية، هو مفكر عربي، لأنه فكر في الثقافة اليونانية، من داخل الثقافة العربية.

إن الفكر الذي يتحدث عنه الجابري هو الفكر بوصفه أداة للإنتاج النظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية على وجه الخصوص، الثقافة التي تحمل معها تاريخ العرب الحضاري العام، وتعكس واقعهم أو تعبر عنه، وعن طموحاتهم المستقبلية، كما تعبر في الوقت ذاته عن عوائق تقدمهم وأسباب تخلفهم الراهن.

إذن ما تقدم يخطو بنا خطوة تنقلنا إلى الأمام -كما يرى الجابري- خطوة تنقلنا من مجال التحليل الأيديولوجي إلى مجال التحليل الأيبيستيمولوجي؛ أي البحث الذي يتخذ موضوعاً له أدوات الإنتاج الفكري، لا منتجات هذه الأدوات، إن وجهتنا الوحيدة هي التحليل العلمي لعقل تشكّل من خلال إنتاجه لثقافة معينة، وبوساطة هذه الثقافة نفسها: الثقافة العربية الإسلامية، وهي نتيجة البحث الأيبيستيمولوجي، ويضرب الجابري مثلاً يبين -من خلاله- هل الفكر -بوصفه أداة- خال من المحتوى؟ أم أن المحتوى هو ذاته يشكّل الأداة؟ يضرب على ذلك مثلاً: آلة الحفر التي نحفر بها الأرض تستمد ماهيتها من فاعليتها: الحفر، لكنها تستمد قدرتها على الحفر من طريقة تركيب أجزائها، وأسلوب استعمالها... أفلا ينطبق هذا على أداة التفكير سواء سمينها الفكر أو العقل، ويستعين الجابري في ذلك بالتمييز الشهير الذي أقامه لالاند بين العقل المكوّن أو الفاعل، والعقل المكوّن أو السائد^(٨).

أولاً: ثنائية (الفكر والعقل):

يفرّق الجابري بين كلمتي فكر وعقل على اعتبار أنه يفتش عن جوهر العقل العربي وحقيقته، بوصفه مبهماً يجري البحث عن إيضاح حقيقته وكشفها، لاجئاً إلى الفكر كطرف مقابل يساهم في العثور العلمي حال البحث عن المنشود حقيقة (العقل)، فيرى أن الفكر والأيديولوجيا اسمان لمسمّى واحد، لا سيما عندما يكون الأخير مرتبطاً بالإضافة إلى شعب، أو قوم كالفكر العربي أو الفكر الفرنسي إلخ...

ثم يتساءل: عن هدف فلاسفة القرون الوسطى؛ حين انشغلوا على التمييز بين العقل والمعقولات، هل كان هدفهم ميتافيزيقياً بالدرجة الأولى؟ ليجدوا جواباً هل العقل مفارق؟

هل للمعقولات وجود موضوعي مستقل أم إنها مجرد أسماء؟ ويتعمّق الجابري في طرح تساؤلاته المفتشة عن الإجابات العلمية؛ حين يرى أن التداخل بين الفكر والأيديولوجيا يقوم وراءه تداخل آخر مهم، وتساؤل: هل الفكر أداة لإنتاج الأفكار، أم إنه مجموع هذه الأفكار ذاتها؟ وهو تداخل يعكسه كثير من اللغات، ومنها اللغة العربية المعاصرة. أي تداخل بين الفكر كأداة، والفكر كمحتوى، وكلاهما دائماً يجسّد نتيجة للاحتكاك مع المحيط الثقافي، والاجتماعي الحاضن لهما فخصوصية المحيط تكون خصوصية الفكر^(٧).

ثمة قاعدة عرفية في العصر الحاضر، تتحدّد بموجبها الجنسية الثقافية لكل مفكر، بأن لا يُنسب مفكر إلى ثقافة ما إلا إذا كان يفكر من داخلها وبوساطتها. والتفكير داخل ثقافة معينة لا يعني التفكير في قضاياها، بل



ثانياً: ثنائية (العقل الأوروبي، والعقل العربي):

حتى يحلّ الجابري العقل العربي ويكشف آلية تكوينه، من منظور معرفي علمي أبيضستيمولوجي يقابله بعقل آخر، تماشياً ومنهجية القياس التي تبدى نهجاً رئيساً في مشوار نقده، فوضع العقل الأوروبي، مقابلاً للعقل العربي، لكن المسار المنهجي المسيطر على آلية التحليل هو مسار العقل العربي كهدف منشود. ثمة إشكالية واجهت الجابري وهو يقابل في بحثه بين العقلين الأوروبي والعربي؛ هي هل العقل الإغريقي يعدّ جزءاً من العقل الأوروبي تاريخياً، أم إنه منفصل عنه، هذه الإشكالية وإن تجاوزها في مشوار البحث بعد ذلك بعده مرحلة من مراحل العقل الأوروبي، إلا إنه في موضع هذه الثنائية، ما يزال يفصل بينهما، وهذا لا يعني أنه ذهب هذا المذهب أو ذاك عن خلط أو جهل، بل هو التدرّج في منهجية الكتاب والوصول إلى النتائج وفق خطوات إجرائية تراتبية، إن على نطاق التنظير، أو على مستوى الاصطلاح، فقد كان دقيقاً في آلية تناسل خطوات النتائج اللاحقة من السالفة، وهو يبني فرضياته التي ترتقي بعد النقاش العلمي المعرفي لتتجلى ثوابت ممنهجية يؤكدها الواقع العلمي.

العقل اليوناني الأوروبي:

هكذا أطلق عليه الجابري لأنّه في هذا الموضع من الكتاب لما يقنع القارئ بعد بالمماهة بين (اليوناني) و(الأوروبي) وتجاوز الزمن الثقافي فيهما، ثمة ثابتان يحكمان العقل اليوناني الأوروبي، هما:

الأول: اعتبار العلاقة بين العقل والطبيعة علاقة مباشرة (وجود).

الآخر: الإبان بقدرة العقل على تفسير هذه العلاقة، وكشف أسرارها (معرفة).

إنّ ما يميز العقل العربي بوصفه عقل الثقافة العربية الإسلامية، هو أنّ العلاقات داخله تتمحور حول ثلاثية: (الله - الإنسان - الطبيعة)، وإذا قمت بتكثيفها تصير اثنين (الله - الإنسان) والطبيعة تحصيل حاصل، وفي الثقافة العربية الإسلامية يُطلب من العقل أن يتأمل الطبيعة ليتوصّل إلى خالقها الله، بينما هناك في الثقافة اليونانية الأوروبية يتخذ العقل اليوناني الأوروبي من الله وسيلة لفهم الطبيعة، أو على أقلّ تعبير ضمناً لصحة فهمها.

ثم يقارن الجابري بين ميتافيزيقية العقل اليوناني الأوروبي وميتافيزيقية العقل العربي - في ثنائية داخلية داخل الثنائية محور الحديث - بأنه إذا كان مفهوم العقل في الثقافة اليونانية والثقافة الأوروبية الحديثة والمعاصرة مرتبطاً بإدراك الأسباب (المعرفة)، فإنّ العقل في اللغة العربية - وبالتالي في الفكر العربي - يرتبط أساساً بالسلوك والأخلاق، وصولاً إلى المعرفة، ولكن الفرق كبير بين الاتجاه من المعرفة إلى الأخلاق (حالة الفكر اليوناني الأوروبي)، والاتجاه من الأخلاق إلى المعرفة (حالة الفكر العربي)، ففي الأولى: تتأسس الأخلاق على المعرفة، وفي الثانية: تتأسس المعرفة على الأخلاق. فتكون المعرفة هنا في حالة الفكر العربي ليست اكتشافاً للعلاقات التي تربط ظواهر الطبيعة ببعضها ببعض، ليست عملية يكتشف العقل فيها نفسه من خلالها في الطبيعة، بل هي التمييز في موضوعات المعرفة بين الحسن والقيبح، الخير والشر، فتكون وظيفة العقل، بل وعلامة وجوده، تتمحور في حمل صاحبه على السلوك الحسن ومنعه من إتيان القبيح^(٩).



الثقافي المعاصر الذي يفرض نفسه علينا في كافة المجالات فيضايق بل يمزق فينا زمننا الخاص بنا.. زمننا الراكد الممتد» (١٢).

أ) الزمن الثقافي الأوروبي:

في أوروبا يؤرخون للثقافة بالقرون منطلقين من ميلاد المسيح (ما قبل وما بعد) فيقولون: الفكر اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد.. والفكر الفرنسي أو الألماني، أو الأوروبي بنمطية عامة في القرن الثامن عشر الميلادي مثلاً، فتمثل هذه الآلية -سواء كانت مطابقة للواقع التاريخي أم غير مطابقة- ربطاً تواصلياً بين مراحل تطور الفكر الأوروبي، فيكون ممتداً في وعيهم من القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد إلى عصرنا الراهن: القرن العشرين، فيمتد (الفكر الأوروبي) في ذلك الوعي على مدى ثمانية وعشرين قرناً أو أكثر، فصنفوه إلى ثلاثة عصور ثقافية، الأول: العصر القديم (الإغريقي - اللاتيني)، الثاني: العصر الوسيط (المسيحي)، والثالث: العصر الحديث.

فنكون بهذا التسلسل أمام استمرارية تاريخية تشكل إطاراً مرجعياً ثابتاً وواضحاً، وسواء كانت هذه الاستمرارية حقيقية أو موهومة، وسواء نُظر إلى حركتها بأنها متصلة أو كانت على غير اتصال، فإن المهم هو وظيفتها على صعيد الوعي، إنها تنظم التاريخ، وتفصل بين ما قبل وما بعده، فلا يمكن للوعي الحالم أن يتطّلع إلى ما بعد ليحل محل الـ (ما قبل)، فلا يمكنهم الاتجاه إلى المستقبل دون أن يكون الماضي دليلهم إليه (١٣).

ب) الزمن الثقافي العربي:

لثقافة العربية زمانان ثقافيان الأول: الثقافة العربية في القرون الوسطى (القرن السابع أو الثامن للهجرة)، أما الثاني: فالثقافة العربية في العصر الحديث، عصر النهضة

ثالثاً: ثنائية (الزمن الثقافي الأوروبي، والزمن الثقافي العربي):

تتوالى الثنائيات في نهج الجابري وهو يستكشف بنية العقل العربي خطوة خطوة، واضعاً مقابلات تسهم في كشف شقٍّ غير مقصود وآخر مبتهى ومقصود منها، وفق منهجية القياس التي تحدّث البحث عنها آنفاً، وها هو هنا، يدرس الزمن الثقافي العربي يرسم له مرآة عاكسة -الزمن الثقافي الأوروبي- لتتجلى فيها صورته بوضوح، كمنهجية الثنائيات التي ارتضاها لمشوار نقده، ولم تكن دراسة الزمن الثقافي في حدّ ذاتها هدفاً، في نقد العقل العربي لدى الجابري، بقدر ما هي وسيلة موصلة لغاية هي الحركة في الزمن الثقافي، هذا الأمر يتطلّب وقوف البحث أولاً عند مفهوم الحركة في الزمن الثقافي وما تعنيه. الحركة في الزمن الثقافي: يأخذنا هذا العنوان إلى ثنائية داخلية، تتمثل في حركتين، هما:

أ) (حركة اعتماد) حركة الشيء في موضعه نفسه، كحركة السهم في القوس، قبل انطلاقه أي (حركة التوتر).
ب) (حركة نقلة) أي حركة الانتقال من مكان إلى آخر، من مرحلة إلى مرحلة أخرى، فلا تتجسّد المراحل الثقافية إلا بحركة (النقطة) (١٤).

ويذهب الجابري إلى إنّ الحركة في الثقافة العربية حركة (اعتماد)، قائلاً: «وأكد أقرّر أنّ الحركة في الثقافة العربية كانت وما تزال حركة اعتماد لا حركة نقلة وبالتالي فمنها مدة يعدّها السكون لا الحركة، وهذا على الرغم من جميع التحركات والاهتزازات والهزّات التي عرفتها» (١٥).

لذا كان الزمن الثقافي العربي في حاجة إلى جلاء وبيان، ولن يكون ذلك في منهجية الجابري، إلا بمقارنته بالزمن الثقافي الأوروبي؛ لأنه من منظور الجابري هو «الزمن



(التاسع عشر الميلادي)، أما العصر القديم فلا مكان له في التاريخ العربي، الأمر الذي يخلق اضطراباً تاريخياً، فالقرون الوسطى مؤرخة بالهجري، وعصر النهضة مؤرخ بالميلادي، ثم إن القرون الوسطى تفتقد إلى ما يسبقها لتخلق وسطيتها، أما ما بين الثامن الهجري (الخامس عشر الميلادي) والثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) فهي مدة تمثل حلقة مفقودة في التاريخ العربي، هكذا يظل الماضي يتناوب مع الحاضر على ساحة الوعي العربي، وقد ينافس الأول الثاني منها، ل يبدو وكأنه الحاضر عينه.

من المقارنة السابقة يتبين أن تاريخ الفكر العربي لما يكتب بعد، وأن تاريخ الثقافة العربية في حاجة إلى إعادة ترتيب، وأن الزمن الثقافي العربي لما يتم بعد تثبيته ولا تعريفه، ولا تحديده، على الرغم من أننا نفرق في المسميات بين العصور أ) العصر الجاهلي. ب) العصر الإسلامي. ج) عصر النهضة، ولكنه فصل سطحي تماماً، فنحن لا نعيشه في وعينا كمرحلة ألغت اللاحقة منها السابقة، ولا كأزمة ثقافية تتميز عن بعضها بمميزات خاصة، بل إن النظر إلى هذه الأزمنة الثلاثة لا يعدو نظراً إلى ثلاث جزر منفصلة لا يؤدي بعضها إلى بعض بوعي ثقافي (١٤).

رابعاً: ثنائية (المعقول الديني) واللامعقول العقلي):

تحضر هنا ثنائية قياسية والجة في صميم البحث في العقل العربي، كما هو جلي (المعقول واللامعقول)، بعد مشوار قطعه الجابري عرج من خلاله على تكوين العقل العربي داخل الدائرة العربية الإسلامية، أي دائرة البيان العربي كما وضع أسسه علماء اللغة والدين، متأسباً بالمنظور الأبيستيمولوجي المحض، كما يؤكده على ذلك

- الجابري - دائماً، مفسراً هذا المنظور بأنه: «آلية التفكير وطريقة الإنتاج النظري في العلوم العربية الإسلامية» (١٥).

تتناسل الثنائيات المتقابلة الداخلية، داخل الثنائيات الكبرى مرسخة إياها نهجاً قوياً في سبيل التقصي والتدقيق للمنظور المعرفي العلمي الذي يقتفيه الجابري، تفرضها خطوات نقده كل حين، قبل الخوض في تقابلها هنا، سيبدأ البحث برأي الجابري في أن الفعل المتطور للعقل العربي، كانت مهادته عبارة عن سلسلة من ردود الفعل التي تهدف إلى الدفاع عن الذات ضد خصم خارجي تارة، أو استعادة التوازن الذاتي المختل بسبب خلافات داخلية تارة أخرى، فعلى سبيل المثال: كان تقنين اللغة ردة فعل لتفشي اللحن، أي ضد لغة أو لغات، وتقنين الرأي في الفقه ردة فعل ضد تضخمه، وظهور اجتهادات تهدد بتجاوز الأصول ذاتها، وكان التشريع في علم الكلام ضد شرائع أخرى للعقل تنتمي إلى ثقافات يتصادم منطقها مع منطق البيان العربي (١٦).

يضع الجابري سؤالاً يشكّل جوابه مدخلاً لثنائيتنا التي نحن فيها ندندن، هذا التساؤل على النحو الآتي:

بماذا وكيف تتحدد المعقولية في البيان العربي و"الكلام" الإسلامي؟

فيكشف سياقه الخطابي - ضمناً - عن جواب لتساؤله، بأن البيان العربي تتجلى بدايته الفعلية في أعلى مراتبه، في النص القرآني الكتاب العربي المبين، إذن فالمعقولية في البيان العربي إنما تتحدد داخل الكلام القرآني، بالضبط في جدلية المعقول واللامعقول في خطابه، وهذه الجدلية عينها من ترسم شكل الصراع العام بإطاره الأوسع بين الشرك والتوحيد، فالمعقول في النص القرآني يتحدد باللامعقول، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (١٧)،



الكون، وبيان القرآن متساويان من حيث الدلالة؛ لأنّ نظام الكون دليل وجود الله، ودليل وحدانيته، وبيان القرآن دليل نبوة محمد، ودليل صدق رسالته، وهما معاً - مرتبطين - يؤسسان (المعقول) الديني العربي ضدّاً على (اللامعقول) العقلي، أي على مستوى الخطاب القرآني (الشرك بالله، وإنكار النبوة).

في ختام هذه الثنائية المتقابلة، يرسم الجابري للمعقول الديني، ثلاثة محددات:

الأول: القول بوجوب معرفة الله، من خلال الكون ونظامه (دلالة الشاهد على الغائب).

الثاني: القول بوحدانية الله، ونفي الشرك عنه.

الثالث: القول بالنبوة، الاتصال بالله، محمد خاتم النبيين، وبعده انقطع الاتصال بالحقيقة العليا - وحياً - لذا وجب الرجوع إلى القرآن؛ لأنه الوحيد مستودع الحقيقة (٢٠).

ثمة مقابلات ثنائية قياسية صغرى تخلّلت شرح الجابري، لثنائية (المعقول الديني واللامعقول العقلي)، مثل: (الفعل وردّ الفعل)، (علوم الأعاجم وعلوم العرب)، (علوم الأوائل وعلوم الدين)، (العلوم العقلية والعلوم النقلية)، (الصراع بين التوحيد والشرك)، (خطاب العقل مع قوم إبراهيم، ومع قوم النبي محمد)، (صراع المعقول واللامعقول على مستوى الطبيعة، وما وراء الطبيعة)، (الكون ونظامه، القرآن وبيانه)، (التأويل بالظاهر، التأويل بالباطن).

خامساً: ثنائية النظامين المعرفيين (الاستدلال والوصال):

يشرح هذان النظامان المعرفيان ذاتيهما، بوصفهما نتيجتين ناتجتين عن عقليين معرفيين، مختلفين في نظام واحد هو نظام العقل العربي الإسلامي، يعبر الجابري

فيكون بمنطق العقل نقیض (الشرك) هو (التوحيد) وهو المعقول، ومن هذا المنطلق يقدم القرآن كفاح الأنبياء بمثابة نشر لخطاب (العقل)، وترجيحاً له على خطاب (اللاعقل)، فترى القرآن يرد على المشركين بمنطق البيان العربي الذي يعتمد القياس والتشبيه والتمثيل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صَمَّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٨). ولا تختلف طبيعة خطاب العقل في الماضي (مع قوم إبراهيم)، عن طبيعة خطابه في حاضر نزوله، مع قوم نبينا محمد (عليهما صلاة الله وتسليمه)؛ لأنه خطاب يجابه (اللاعقل) بمنطق التجربة والعقل، ولكن من خلال صور بيانية قامعة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (١٩)، ويستمر صراع المعقول واللامعقول ليصل إلى الطبيعة، وما وراء الطبيعة، حيث تم تبادل الأدوار إذا كان (العقل) من قبل يتحدّى (اللاعقل)، متحكماً في ذلك إلى الحس والتجربة، ومنطق البيان القائم على التمثيل، والتشبيه (القياس: بمنظور البحث)، فإنّ (اللاعقل) يتحدّى (العقل) طالباً البرهان، الذي ليس من الطبيعة، بل من وراء الطبيعة، هذا البرهان هو الآية (المعجزة الخارقة للعادة) وهي مطلوب المكذبين دائماً، الذي قد يجاب، وقد لا يجاب لعدم إيمان المكذبين الدائم به.

يظهر دائماً الكون ونظامه، والقرآن وبيانه، عنصران رئيسان في الإطار المرجعي، الذي يستند إليه (العقل) في القرآن، خلال صراعه مع (اللاعقل)، أي مع المشركين الذين يطلبون حضور ما وراء الطبيعة في الطبيعة، فنظام



54

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

أيهما الأسبق من النظامين؟ وأيهما كان وجوده ردة فعل لوجود الآخر؟

إن تساؤلاً كهذا كفيل بأن يرسم صورة منهجية القياس لدى الجابري التي ظلت تسيطر على بحثه، الأمر الذي يلمح بفكر بياني - كما يسميه هو - يشكّل منهجية الجابري في الشرح والتحليل، صحيح أن الجابري لم يضع هذا التساؤل أعلاه لكنه، أخذ يناقش جوابه الخلق بالطرح، لم يكن (النظام العرفاني) - سواء كان في مجال التصوف أو مجال الفلسفة الإشراقية، أو على صعيد الأيديولوجيا الإسماعيلية - ردة فعل ضد تزمّت الفقهاء ولا ضدّ جفاف الاتجاه العقلي عند المتكلمين، بل إن العرفان الشيعي والكشف الصوفي معاً قد ظهرا قبل أن تتطور تشريعات الفقهاء، ونظريات المتكلمين، بل إن العكس هو الحاصل ولم تكن مخطئين إذا ما ذهبنا إلى أنّ (العقلانية العربية، والإسلامية) هي التي تبدو في بعض صورها على الأقل، رد فعل ضد الغنوص المانوي والعرفان الشيعي، إذا ما أقمنا علاقة ردة الفعل بين النظامين البياني والعرفاني (٢٢).

خلاصة البحث:

فلنترك البحث يتوقف - شرخاً - عند هذه النماذج الخمسة، على الثنائيات المتقابلة، والمنبثقة عن فكر قياسي بحث، كما برهنته الشواهد، وغيرها مما سنكتفي بذكره، من ثنائيات متقابلة وصفية كانت أو إجرائية، كمثّل: ثنائيات (التفكير بالعقل ↔ التفكير في العقل)، (الحضور ↔ الغياب)، (الزمان ↔ المكان) (العقل الإغريقي ↔ العقل العربي)، (النظرة المعيارية ↔ النظرة الموضوعية)، (التعريف الأولي ↔ التعريف الإنتاجي)، (الثوابت ↔ المتغيرات) في بنية العقل العربي، (اللاشعور

عن هذه الثنائية قائلاً: «ولما كان الفقهاء والأصوليون البيانيون قد استخرجوا من دراسة القرآن كنص لغوي. طريقة عربية بيانية لفهمه، واستنباط الأحكام منه، ولما كانت هذه الطريقة البيانية الفقهية القياسية لا تؤدي قط إلى المضامين التي صرح بها الباطنيون من الإسماعيلية والشيعية والمتصوفة بوصفها (الحقيقة) التي تقف وراء (الشرعية)، فإنهم أي الفقهاء قد اعتبروا التأويل الباطني، شيعياً كان أو صوفياً، دخيلاً على الأفق القرآني، معارضاً ومناقضاً أحياناً لظاهر النصوص، من هنا كان ذلك العداء المستحكم بين الفقهاء والمتصوفة. إنه عداء يعكس نظامين معرفيين، أحدهما يقوم على (الاستدلال) أي يربط المعرفة بـ (الحد الأوسط) الذي هو (العلة) عند الفقهاء، والآخر يقوم على (الوصال)، أي على الاتصال المباشر و (المعرفة اللدنية)» (٢١).

بما إن النظام المعرفي قد طرح نفسه بديلاً عن النظام البياني العربي في الثقافة العربية الإسلامية، جاعلاً من المعرفة اللدنية، أو (العرفان) بديلاً عن القياس، الذي يعتمد البان العربي، يطلق عليه الجابري (النظام العرفاني).

يعرّج الجابري في تحليله لثنائية (الاستدلال والوصال) على ثنائية أخرى داخلية هي (الفلسفة الإسماعيلية، والفلسفة الهرمسية)، وأنّ الفلسفة الإسماعيلية لم تكن تقف ضد الوجهة الإسلامية، وإنما كانت تقدم عنه فهماً خاصاً يعد الصورة البيانية القرآنية ظاهراً وراءه باطن، لقد انتقل الفلاسفة الإسماعيليون بالخطاب القرآني عن طريق التأويل الباطني، من مجال تداولي إلى مجال تداولي آخر، من الفهم البياني العربي الذي كان يعتمد (السلف) - بعبارة أهل السنة - إلى الفهم الفلسفي الهرمسي، الذي لا يتأتى إلا من خلال معرفة مسبقة بالأدبيات الهرمسية.



55

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

يتغيّأ خطاه، نائياً به عن الوجهة الأيديولوجية في آليه نقده، فحاول جاهداً وبذل جهداً جباراً، في سبيل تحقيق ذلك، ولكن بحثنا مثل ما تساءل حول العقل المكوّن لمنهج القياس عند الجابري، يتساءل أيضاً عن مدى التزامه بالمنهج الأبيستيمولوجي والذي يقوم على أساس الحيادية الجهوية، والأيديولوجية على وجه الخصوص، حيث يبدو للقارئ المتمعن أن القياس أو (النظام البياني) في عصر التدوين هو من يهيمن بالإجراء على عقلية النقد لدى الجابري، راسماً بعداً عميقاً من الحنين لذلك العصر وراء سياق إعلانه، فينتسل عنه خروج عن حيادية المنهج الأبيستيمولوجي، في بعض الفلئات السياقية التي تفسّر عمقاً شعورياً، ثقافياً وبيانياً، يمكن للقارئ قراءته في إعجاب الجابري الشديد بالنظام البياني -منهاجاً- ومنه فكر عصر التدوين زماناً، كما في قوله: «ألم يولد النحو العربي كاملاً مع سيويه؟ ألم تحدّد أصول الفقه عند مولدها مع الشافعي؟ ألم تولد الكتابة التاريخية في الإسلام كاملة أو شبه كاملة مع ابن إسحاق والواقدي؟ ألم يقدم الخليل بن أحمد للناس المعجم العربي والعروض العربي كاملين؟ ألم تحدّد مسائل علم الكلام مع واصل بن عطاء ومعاصريه؟ ألم يكتمل الفكر الشيعي فقهاً وكلاماً وسياسة مع جعفر الصادق؟... وأخيراً، ألم يعيش هؤلاء وأمثالهم جميعاً في عصر واحد عصر التدوين، عصر البناء الثقافي العام الذي شكّل وما يزال يشكّل الإطار المرجعي للفكر العربي والثقافة العربية إلى اليوم... ونحن نختار أوروبا؛ لأنّ الزمن الثقافي المعاصر الذي يفرض نفسه علينا في كافة المجالات فيضايق بـل يمزق فينا زمننا الخاص بنا.. زمننا الراكد الممتد» (٢٣).

المعرفي (→ الشعور المعرفي)، (تداخل الأزمنة الثقافية تداخل الأمكنة الثقافية)، تقدم الفكر العربي بين (الماضي → المستقبل)، (المنصوص → المسكوت عنه) في منهجية القراءة، (العلم الشيعي → العلم السني)، (العقل الشيعي → العقل السني)، (العقل المستقيل في الموروث القديم → العقل المستقيل في الثقافة العربية والإسلامية)، (المثقف العربي بين (اللغة العامية الثرية اللغة الفصحى المحدودة)، (المانوية → الزنادقة)، الصراع بين (الأيديولوجيا → السياسة)، منهج الشيعة يقوم على (القول بالوصية → عصمة الإمام)، الإله بين (التجسيم → المشاركة)، (الفكر العلوي → الفكر العباسي)، الصراع الأيديولوجي والسياسي بين (الشيعة الغنوص → العقل الكوني اليوناني)، (علم الكلام → علم التوحيد)... وغيرها كثير من الثنائيات.

وهو توجه رتيب يرسم معالم منهجية ثابتة، إن أسرها الجابري أو ضمّنها سياقاته النقدية، الأمر الذي يضعنا في الأخير أمام تساؤلات مهمة، هل استطاع الجابري أن يتحرّر من إعجابه بالمنهج البياني العربي الإسلامي (القياس)؟ والذي بسط البحث فيه الحديث سلفاً. فإن لم يستطع الجابري التحرّر من إعجابه بهذه المنهجية، فاصطبغت بمنهج صبغة لا تكاد تبارح سياقات نقده الحضاري، أليس ذلك بعد تأكيداً بالممارسة على أن الجابري بعيد زماناً -من حيث الإجراء- عن زمن النقد الحضاري (ما بعد الحداثة) في هذا المنحى من وجهة نقده (القياسي البياني) على الأقل؟، لعلّ الحنين إلى (النظام البياني) وقوته المهيمنة على الذاكرة التاريخية العربية والإسلامية، يمكن أن يتبدّى من خلف السطور المعبرّة عن النظام الأبيستيمولوجي الذي ظلّ الجابري يعلنه منهجاً نقدياً



56

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

العقل العربي، لشرابي ونقد نقد العقل العربي، لجورج طراييشي؟!

الهوامش:

(١) تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري: ص ١١٥، ط (٨)، ٢٠٠٢م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان.

(٢) السابق: ١٣١.

(٣) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة: (٢/ ٨٧)، ١٩٦٢م، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

(٤) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: ص ٢٠، ط (١)، ١٩٩١م، شركة القدس للنشر والتوزيع.

(٥) ينظر، تكوين العقل العربي: ٤٢-٤٤.

(٦) ينظر، السابق: ١٧.

(٧) ينظر، السابق: ١١-١٢.

(٨) ينظر، السابق: ١٣-١٥.

(٩) ينظر، السابق: ٢٩-٣٠.

(١٠) ينظر، السابق: ٤٢.

(١١) السابق: الصفحة نفسها.

(١٢) السابق: ٤٣.

(١٣) ينظر، السابق: الصفحة نفسها.

(١٤) السابق: ٤٤.

(١٥) السابق: ١٣٤.

(١٦) ينظر، السابق: الصفحة نفسها.

(١٧) الأنبياء: ٢٢.

(١٨) البقرة: ١٧١.

(١٩) الحج: ٧٣.

(٢٠) ينظر، تكوين العقل العربي: ١٣٨-١٤٠.

(٢١) السابق: ٢١٣-٢١٤.

(٢٢) ينظر، السابق: ٢١٤.

(٢٣) السابق: ٤٢-٤٣.

(٢٤) السابق: ١٣٦.

كما هو جلي من منصوص الجابري ولعه بالنظام البياني وحقبته التاريخية في بداية نصّه، فإنّ لغته كشفت عن فلتات سياقية زلت بها لسان وصفه، خارجة عن حيادية منهجه الأبيستيمولوجي الذي أعلنه نهجاً نقدياً في كتابه، كما في قوله: ونحن/ نختر/ علينا/ فينا/ زمننا/ الخاص بنا/ زمننا، فتلاحظ أنّ ناء الفاعلين التي استحوزت فاعلية على جريان الأفعال التي أسندت إليها قد أدخلت ذات الناقد إلى وجهة أو أيديولوجية، أعلن مسبقاً براءته من انتهاجها في مسيرة نقده الحضاري لتكوين العقل العربي، لكن ألم يسنّ المنظر للنقد الحضاري العربي هشام شرابي نقده على أبرز ثنائيتين هما (الأب ↔ الأبناء) أو كما يسميها النظرية البطركية؟

إضافةً إلى فصل من فصول كتابه الذي وسّمه بـ (الذات في صورة الآخر)، ألم يكتب أدونيس عن (الثابت والمتحول)؟، وكمال أبو ديب عن جدلية (الخفاء والتجلي)؟، ألا تتساق كل هذه الثنائيات مع منهجية القياس على مثال سابق لدى الجابري قائلاً: «فالمعقول في النص القرآني يتحدّد باللامعقول...» (٢٤)، تلك التساؤلات توصلنا إلى سؤال أكثر تعميماً: هل يعيش المثقف العربي - نفسه - بشكل عام حالة افتراق زمانية بين أسس نظيره وسلوكيات تنصيبه التي تكشف آلية التقصي عن (أيديولوجياتها الباطنية)؟ ومنه نختم بتساؤل طرحه عبدالله الغدامي: هل الحداثة العربية حادثة رجعية؟!

يا ترى هل أجوبة تلك التساؤلات تكون أسئلة أخرى تبحث وتفتش، في الجهد العربي المبذول للنقد الحضاري؟ لذلك نرى ثنائيات تأليفية في هذا المجال من مثل (نقد



57

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

دور الحضارم في صناعة السفن الخشبية بميناء عدن، والموانئ الجنوبية، والملاحة عليها

من منتصف القرن التاسع عشر إلى الربع الأخير من القرن العشرين



المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوْحَيْنَا...﴾ [المؤمنون: ٢٧]، والصلاة
والسلام على رسول الله صل الله عليه
وسلم القائل للمهاجرين إلى الحبشة:
(وَلَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّيْفَةِ هِجْرَتَانِ) (١).
تمثل هجرة الحضارم إلى عدن جزءاً لا
يمكن فصله عن ظاهرة الهجرة
الحضرية بأنماطها المختلفة الخارجية
والعائدة والداخلية، وبأبعادها المختلفة
التاريخية والثقافية والاجتماعية (٢).

والاقتصادية، وهي انعكاس لتلك العلاقات المتينة بين سكان حضرموت وعدن على مدى التاريخ.

وباحتلال بريطانيا لعدن في مستهل عام ١٨٣٩ م، لم تكن عدن سوى قرية كبيرة أو مدينة جار عليها الزمن، تقوم على
حرفة صيد السمك، والتبادل التجاري المحدود بينها وبين القرى المتناثرة حولها، أو بينها وبين بعض السلطنات
المجاورة لها (٣)، وكانت بريطانيا قد شجعت المستثمرين والأيدي العاملة من مختلف الجنسيات على الهجرة إلى عدن
والاستيطان فيها للعمل، أو لإقامة المشاريع الاستثمارية المربحة ذات الصلة بحركة الميناء الملاحية والتجارية. ولذلك
بادرت بتأسيس شركات تجارية ووكالات ملاحية مهمتها خدمة السفن والحركة الملاحية والتجارية (٤). كما ألغت
حكومة بومباي في سنة ١٨٥٠ م الرسوم الجمركية، وجعلت عدن سوقاً للتجارة الحرة (٥)، ومنذ عام ١٩٣٧ م تغيرت سياسة
بريطانيا، إذ بدأت تحد من استقدام الهنود إلى عدن، وتستقدم بدلاً منهم العرب من المحميات ومن اليمن (٦). فسارع
إليها التجار من كل مكان، وبخاصة من حضرموت، وزاد بعد ذلك النشاط التجاري. وبلانتعاش ميناء عدن انتعشت موانئ
حضرموت وبقية موانئ اليمن، وخلال أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، أصبحت عدن أحد أكثر موانئ العالم
نشاطاً، بل كانت الثانية في الترتيب بعد نيويورك (٧).

أهمية صناعة السفن الخشبية بميناء عدن وموانئ الجنوب العربي:

تعد السفن من أهم مقومات النشاط التجاري البحري،
ومن أكثر وسائل النقل أهمية بالنسبة للتجارة العالمية في جميع
الأزمان، وصناعتها ترتبط عادة بحجم التجارة، ونوعيتها
وطبيعة المياه التي تعمل فيها تلك السفن (٨). ومن أهم أسباب
ازدهار هذه الصناعة في ميناء عدن خاصة، وموانئ الجنوب
العربي عامة في منتصف القرن التاسع عشر الأسباب الآتية:



طاهر ناصر المشطي



المعلا مركز صناعة السفن ١٩٥٠م تثبيت أضلاع أحد السفن الخشبية

صناعة قديمة عرفتها عدن منذ آلاف السنين، وكان يقوم بهذه الصناعة الحضارم، وبشهادة النجارين من آل بن ربيد الذين عملوا في صناعة السفن والذين قالوا: (إن صناعة السفن قديمة جداً في تاريخ المنطقة، ولا نعرف تحديداً بدايتها وكيف بدأت) (١٣)، وتشبه السفن الشراعية التي كانت تبنى في المعلا سفن الفينيقيين. وفي الطريق الغربي من المعلا (قرب جولة حفيف) يوجد مكان يستخدم لإصلاح السفن اسمه (الرشة)... (١٤).



جانب من ميناء المعلا مركز صناعة السفن الشراعية العملاقة

في عام ١٨٥٥م قام بعض التجار من الهنود والعرب وبنوا (دكة المعلا) (١٥). ويشير المؤرخ عبدالله محيرز إلى أن المعلا نمت خلال القرن التاسع عشر كميناء ومرسى للسفن الشراعية، ثم السفن البخارية الصغيرة، وشيدت فيها عدد من مخازن البضائع والأرصدة، وتمتد المعلا الحالية من قرب حفيف إلى باب عدن (١٦). وبذلك باتت موانئ عدن من أهم الموانئ في المنطقة العربية آنذاك (١٧). فقد كان ميناء عدن

١. حاجة التجار لمزيد من السفن لنقل بضائعهم من وإلى ميناء عدن، وذلك نتيجةً لانتعاش الحركة التجارية بالميناء مما جعل التجار والوكالات التجارية تسعى لإنتاج مزيد من السفن الخشبية، الأمر الذي أدى إلى ازدياد إنتاج هذه الصناعة وازدهارها.

٢. التنافس التجاري الشديد بين كبار ملاك هذه السفن أمثال: آل بازرة، باشنفر، باسودان، وشركة البس، آل بوسبعة، آل باشر اهيل وغيرهم، على خطوط الملاحة بين الهند والقرن الإفريقي وشرق إفريقيا كان له أثر بالغ على المنطقة الحرة بعدن آنذاك. وفي هذا النشاط التجاري أدى

الحضارم دوراً بارزاً على الصعيد الإقليمي في قيادة تلك السفن الشراعية وصناعتها (٩). فكانت هذه السفن تنقل البن من عدن والمخا إلى الهند وإفريقيا والخليج العربي، وتنقل التمور من البصرة ومسقط، واللبن والجلود من ظفار إلى حضرموت وعدن وشرق إفريقيا، كما تحمل الأرز والبهارات من بومباي، والأخشاب من كاليكوت إلى عدن وحضرموت، ومن إفريقيا تجلب خشب المنجروف وغيره،

ومن حضرموت تحمل الصيفة (زيت السمك) والأسماك المجففة وأحجار البراق إلى الخليج وشرق إفريقيا والهند (١٠). وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أدى توسع التجارة بعد أن أصبحت عدن المركز الرئيس في الطريق بين الشرق والغرب إلى خلق الفرص الكثيرة للعمل (١١).

٣. ارتفاع أعداد المهاجرين الحضارم المؤهلين، ولا سيما في مجال صناعة السفن والملاحة البحرية إلى عدن، وتوفر فرص للعمل.

المعلا المركز الرئيس لصناعة السفن الخشبية الحضرمية: (موقع الصناعة)

تعد منطقة المعلا المركز الرئيس لصناعة السفن الخشبية وذلك لطبيعتها الساحلية، حيث ترفع السفن في مكان عال عن البحر، لذلك سُميت بالمعلا، وتعني المكان العالي حسب ما قاله المؤرخ حمزة لقمان (١٢)، وصناعة السفن هي



المعلا مركز صناعة السفن الشراعية ١٩٦٢م

الموانئ. بل هاجر بعض آل بن ربيد إلى الساحل الصومالي وانصهروا هناك مع السكان المحليين، وقاموا بهذه الصناعة، ويعرفون اليوم بآل باربيد (٢٠)، كما تمت هذه الصناعة الحضرية أيضاً في بعض موانئ الخليج وبخاصة ميناء دبي، فقد قام المعلم سعد عوض سالم بن ربيد بصناعة سفن عدة (بوشندة) في ميناء دبي في السبعينيات لأحد التجار الإماراتيين، كما يظهر في الصورة المرفقة.

ومن أهم مقومات نجاح صناعة السفن الحضرية:

١. **توفر رأس المال:** ويتمثل بالتجار الحضارم الداعمين لهذه الصناعة وبخاصة آل بازرة، وباشنفر، وباطويل، وباسودان، وبارحيم، وباراحيل، وأبو سبعة وغيرهم. وكذلك التاجر الفرنسي انتوني بس.

٢. الأيدي العاملة الخبيرة:

وتتمثل في معاملة بناء السفن ومعاونيهم من أسرة آل بن ربيد، وآل بازيراد، والمحافظ، ومن الأسر الأخرى الذين شيدوا معظم السفن الخشبية بساحلي المعلا والمكلا، وبقية السواحل العربية الجنوبية، بل والخليج العربي وسواحل القرن الإفريقي.

٣. انتعاش الحركة التجارية بميناء عدن:

والتي شجعت على الاستثمار في هذا المجال، ووفرت سوقاً استوعب إنتاج هذه الصناعة.

٤. سيطرة تجار عدن على تجارة الأخشاب:

معظم الأخشاب التي تدخل في هذه الصناعة يتم استيرادها من الهند، وبخاصة من ميناء كاليكوت، ومن جملة مصدري الأخشاب هناك عائلة (بارامي) الحضرية، وهم الوكلاء لآل بازرة (٢١)

(المعلا) ينافس الموانئ العالمية في أمريكا، وأروبا حيث تفوق في الخمسينيات على ميناء نيويورك، وميناء ليفربول بفضل قوانين الملاحة البحرية التي وضعتها بريطانيا إبان الوصاية على عدن ومحماها. وتعد السنوات (١٩٥٥ - ١٩٦٧ م)، السنوات الذهبية لميناء عدن، فقد تطورت عدن تطوراً كبيراً، بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي والعوامل الطبيعية الجغرافية التي يتميز بها ميناء عدن عن غيره من موانئ العالم.

هناك عوامل أساسية كانت السبب الرئيس في ازدهاره في الخمسينيات (١٨). ولأن المعلا هي المرسى الرئيس لمثل هذه السفن الشراعية، فإن مجموع ما يرسو منها في الميناء كان يصل إلى حوالي (١٤٠٠) سفينة في العام (١٩).

وعلى طول هذا الساحل تم بناء العشرات بل المئات من سفن الصيد وقواربه بمختلف الأحجام من قبل أمهر صنّاع السفن وأفضلهم في المنطقة، وكانت هذه الصناعة تتم بطريقة يدوية وبأدوات بدائية، وهي من أصعب الصناعات لما لها من مقاييس ومسافات وحسابات تأخذ بالمليمتر، وبدقة متناهية وذلك للحفاظ على توازن السفينة على سطح المياه.

مرسى للسفن الشراعية في المعلا
نزل كميات من كباش مستوردة من الصومال

بالإضافة إلى ميناء المعلا المركز الرئيس لصناعة السفن الخشبية الحضرية، كانت تتم صناعة السفن الخشبية الحضرية أيضاً على طول الساحل الجنوبي لليمن في كل من المكلا والشحر والحامي وبروم والقرن وقصيعر وغيرها من

يتم تصنيعها محلياً، من هذه المسامير (البرونيات) (٢٧) تستخدم في صك أعواد الهنّام والسّمكة وإلصاقها بالهيراب (٢٨)، ومسامير (الرش)، التي تستخدم في كل من الشلمان (الأضلع) والمالك واللواشك (٢٩) وجدار السفينة السفلي والحزمات التي تربط جدار السفينة من الداخل بما يسمى المناشير، ومسامير (القاطرة)، التي تستخدم في جدار السفينة العلوي، وتستخدم فوق الأضلع المسماة بـ (الهداريس)، التي تأتي في مضايق السفينة الداخلية في المقدمة والمؤخرة (٣٠)، كما يتم تصنيع صفائح من حديد على شكل هلال ليربط كل من عود الهنّام والسّمكة بالهيراب، كما يتم تصنيع المرساة بأنواعها البروصي والباورة بأحجامها المختلفة.

أبناء الديس الشرقية رواد العصر الذهبي في صناعة السفن الخشبية بموانئ عدن وحضر موت:

ازدهرت صناعة السفن الخشبية بميناء عدن مع بدايات التغرية الديسية (هجرة أبناء الديس الشرقية) إلى بندر عدن، حيث كانت عدن تمثل المهجر الرئيس لأبناء الديس الشرقية.

دور آل بحاح في خدمة الوافدين إلى عدن وخاصة أبناء الديس الشرقية:

كان لآل بحاح نفوذ كبير في ميناء المعلا حيث كانوا يملكون حتى بداية الستينيات من القرن الماضي ثلاث سفن (زعايم)، سفينتان تسميان باسم (السهالة) أحدهما صغيرة تستعمل كعبارة لنقل البضائع من المراكب الكبيرة الراسية في الميناء (التواهي) إلى رصيف الميناء (المعلا)، والأخرى كبيرة تستعمل لنقل البضائع والركاب بين موانئ سواحل اليمن وأفريقيا، بالإضافة إلى عبارة صغيرة تسمى (الضانة) تعمل داخل الميناء. وكان لديهم بخّار في منطقة المعلا دكة بعدن، والمشهور بـ (بخّار بحاح)، وصاحبه رجل من أهالي الديس الشرقية المخلصين، يدعى صالح عوض بحاح،

(علي ومحمد وعبدالرحمن آل بازرعة)، وهؤلاء هم المستوردون للأخشاب بعدن في العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، ولديهم فروع في كل من المكلا والحديدة، وهم الذين يمتلكون أكثر السفن الشراعية بعدن (٢٢)، ومن مستوردي الأخشاب بعدن في تلك المدة هما: المسيو (أنطوني بيس) Monsieur Antonin Besse (٢٣)، والذي يمتلك أكثر من ١٣ سفينة شراعية، وآخر يدعى (برجي) وهو أحد طائفة الهندوس - الهندوس - ويمتلك سفناً عدة (٢٤). وهكذا نرى أن مستوردي الأخشاب بميناء عدن هم الذين يمتلكون أكثر السفن الخشبية، ويقومون ببنائها بمساعدة نجاري حضر موت. وأهم الأخشاب التي تدخل في صناعة السفن هي: الساج، والزنقلي (الجتقلي)، والفيني، والبونتيك، والفنص، والفن، والميطي (٢٥).

٥. توفر الأدوات الحديدية اللازمة لصناعة السفن:

ترتبط صناعة السفن بحرفة الحدادة، فهناك محلان للحدادة على ساحل المعلا لآل محروس (الصيعري)، وهم أيضاً من أبناء مدينة الديس الشرقية، المحل الأول لـ: سالم ومبارك أبناء عمر صالح مبارك محروس اللذان استقرّا في عدن وتوفيا فيها، والمحل الآخر صاحبه سالم صالح مبارك محروس، وهم الذين يقومون بصناعة متطلبات السفن الخشبية من الأدوات الحديدية المختلفة (٢٦)، كما توجد أسواق للحدادين بمدينة المكلا والشحر والديس الشرقية وغيرها، إذ تحتاج هذه الصناعة إلى مسامير بأحجام مختلفة





61

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

أسرة آل بن ربيد تحتل المرتبة الأولى في صناعة السفن الخشبية على مستوى الساحل اليمني الجنوبي:

تعد عائلة آل بن ربيد الساكنة بقرية (الغريفة) بالديس الشرقية هي صاحبة الريادة في وشارة السفن الشراعية على مستوى الساحل اليمني الجنوبي، وقد ورثت هذه المهنة عن الآباء والأجداد، وقد أدى هؤلاء المعاملة المهرة في صناعة هذه السفن دوراً كبيراً في تاريخ الملاحة البحرية، أمثال: سالم عبيد بن ربيد، عوض سالم بن ربيد، سالم خيس بن محمد بن ربيد، مبارك بن محفوظ بن ربيد، فرج سالمين بن ربيد، محمد سالم بن ربيد، سعيد عوض بن ربيد (٣٣) وغيرهم، حيث أصبحت صناعة السفن الشراعية في الساحل الجنوبي العربي حكراً على أسرة آل بن ربيد (٣٤)، وكانوا يشكلون نسبة ٩٦٪ من صنّاع السفن (٣٥). إلا أن النزر اليسير من الأسر الأخرى سواء كان في الغريفة أو الديس نفسها، فهناك أسرة آل بازباد وآل باراشد وآل الصيعري (٣٦)، حيث كان الأسطول البحري الكبير الذي يمتلكه تجار مدينة عدن إبان الاستعمار البريطاني للمدينة، ومن بعدهم جمعية النقل البحري معظمه صناعة ديسية إن لم يكن كله من إبداعات نجاري الديس الشرقية (٣٧).



المعلم سعد عوض سالم بن ربيد مع أحد الإماراتيين الذي صنع عدة سفن بو شندة في ميناء دبي في السبعينيات

هذا البخار يعد بمثابة سفارة وملتقى لأهالي الديس الشرقية الموجودين في عدن، قدّم هذا البخار وصاحبه خدمات جليلة للمغتربين من أبناء الديس الشرقية في بندر عدن، ومن هذه الخدمات هي:

(١) توفير السكن المجاني: حيث إنهم يسمحون لجميع أهالي الديس الموجودين في عدن والذين ليس لهم سكن خاص بالسكن معهم بغير مقابل، مع تقديم لهم الوجبات الغذائية مجاناً، ومن الأشخاص الذين أقاموا في هذا البخار ردحاً من الزمن: عدد من التجارين الذين كانوا يعملون في صناعة السفن الشراعية، وبعضهم أقاموا فيه أباً عن جد.

(٢) توفير فرص عمل: كان عدد كبير من أبناء الديس يسافرون إلى عدن لتوفر فرص العمل بها عن طريق البحر عبر ميناء القرن أو عبر موانئ المكلا أو بروم، وكان ميناء عدن يستقبل هؤلاء الوافدين، ويعد هذا البخار استراحة لمن يأتي من الديس بحثاً عن عمل، ويقوم الوالد صالح عوض بحاح رحمه الله، باستقبالهم وإكرامهم وكسوتهم أحياناً، والبحث لهم عن أعمال مناسبة وذلك بحكم معرفته بالتجار في مدينة عدن.

(٣) دخول أبناء الديس إلى عدن بغير جوازات ولا رسوم: كان أصحاب حضرموت يعدون أجانب في مستعمرة عدن الواقعة تحت الاستعمار البريطاني، وكان الشخص الذي يرغب في الدخول إلى عدن لا بد أن يحمل معه جواز سفر أو ورقة دخول، وكان عدد كبير من أبناء الديس يسافرون إلى عدن عن طريق ميناء القرن (٣١) وهم لا يحملون جوازات ولا أوراقاً رسمية تسمح لهم بالدخول إلى عدن، وعندما يصلون إلى عدن يسألهم القائمون على الميناء من أين أنتم؟ وإلى عند من قادمون؟ فيقولون نحن من حضرموت وقادمون عند بحاح فيغضوا الطرف عنهم ويسمحوا لهم بدخول عدن، وهكذا يتم دخولهم وخروجهم من وإلى عدن بغير جواز ولا ورقة مرور، والأهم من ذلك بغير رسوم والتي تبلغ ستة شلنات، وذلك نتيجة لعلاقة صالح عوض بحاح بالتجار والوجهاء بمدينة عدن (٣٢).



هذا وقد أحصى الباحث المرحوم محمد قاسم شائف الكلدي في كتابه (السفينة ما قبل المكنية) عدد (١١٧) من صنّاع السفن ومساعدتهم من أبناء مدينة الديس الشرقية (٣٨)، في حين سجل لنا المرحوم عمر عبدالرحمن المقدسي أسماء نجاري السفن من أهالي الديس الشرقية الذين عملوا في صناعة السفن الشراعية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين في كشافين، يضم الكشف الأول

الجنوبية (٤٠). وكان من بين أشهر الأسر التي اضطلعت بصناعة السفن في حضر موت أيضاً أسرة المحافظين في المكلا (٤١)، ومنهم عبدالله أحمد ومحمد أحمد المحافظ اللذين شاركا المعلم صالح عوض بن ربيد في وشارة السفينة (كلكتا) (٤٢)، إلا أنهم كانوا يوشرون إلى حد العبارة والعباري، ولم يصلوا إلى درجة وشارة السفن الكبيرة (٤٣).

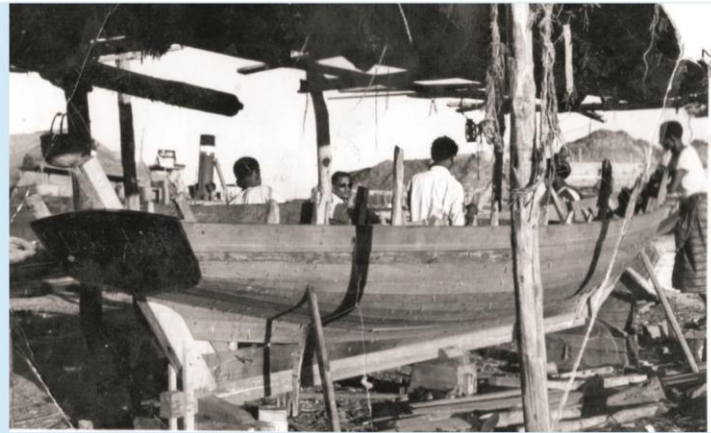
وقد ورث أبناء هذه الأسر حب هذه المهنة عن آبائهم وأجدادهم حول طريقة هذه الصناعة، على الرغم من أن هؤلاء الصنّاع ليس لديهم مخططات هندسية جاهزة لتنفيذها بل يتبعون حدسهم الهندسي في ذلك، مستخدمين مهاراتهم في التصنيع.

كما يوجد بعض المنافسين للحضارم في صناعة السفن الخشبية بعدن من المناطق الشمالية من اليمن وأشهرهم عبدالله بلال (٤٤)، وقائد أنعم العبيسي (٤٥)، الذي قام بصناعة أكثر سفن الخواجا انطوني البس،

وهو منافس قوي لفرج سالمين بن ربيد (٤٦).

الأدوات المستخدمة في صناعة السفن:

والأدوات المستخدمة في هذه الصناعة هي الأدوات التقليدية المستخدمة في النجارة مع بعض الأدوات الخاصة بالقياس، ولمعرفة هذه الأدوات عن قرب قمنا بزيارة إلى منزل الأخ العزيز عوض مبارك بن ربيد، وذلك يوم الجمعة الموافق ١٠ / يناير / ٢٠٢٠م بصحبة المصور عبدالعزيز علي التميمي، والأخ عفيف مصاقع. ويعد الأخ عوض مبارك بن ربيد البقية الباقية لهذه الصناعة، حيث ما زال الأخ عوض محتفظاً بعدة هذه الصناعة والتي ورثها عن أبيه المعلم مبارك عبدالله سالم عبيد بن ربيد، ولديه خبرة فنية واسعة بمراحل تصنيع السفينة، ابتداءً من مد عود الهيراب وانتهاءً بتكوير السفينة إلى البحر، ويقوم حالياً بصناعة بعض النماذج لهذه السفن تخليداً لذلك العصر الزاهر، كالنموذج المرفق. وأهم هذه الأدوات هي:



زعيمة من صنع المعلم مبارك عبدالله سالم عبيد بن ربيد لأحد الإنجليز لسباق القوارب في ميناء عدن في الخمسينيات الذي وشر السفينة فلسطين عدن

النجارين من آل بن ربيد الذين بلغ عددهم تسعة وسبعين نجاراً، ويحتوي الكشف الثاني على أسماء سبعة وأربعين نجاراً من غير آل بن ربيد منهم ستة وعشرون نجاراً من آل بازباد، وواحد وعشرون نجاراً من عائلات وأسر مختلفة من أهالي الديس عملوا في صناعة السفن الشراعية على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية الممتد من المهرة وحتى عدن، وكانت أبرز مواقع عملهم في صناعة السفن تقع في ساحل بازرة وساحل باسودان في المعلا في عدن (٣٩). وبذلك يصبح إجمالي النجارين من أهل الديس الشرقية الذين عملوا في صناعة السفن والقوارب المختلفة مائة وستة وعشرين نجاراً، وهذا العدد إذا ما قيس بعدد النجارين الذين عملوا في صناعة السفن الخشبية على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية من المهرة وحتى عدن كان يشكل النسبة الأكبر، ويبرز دور أهل الديس في صناعة السفن والقوارب المختلفة على طول السواحل اليمنية



63

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

الأدوات المستخدمة في صناعة السفن



منشار أبو نفرين



منشار قعادة



منشار جرة



البطة



مطرقة



الدواة



مناقب متنوعة



جرميت



صبرة لخلع المسامير



الخلخال



الكلبة أو كماشة



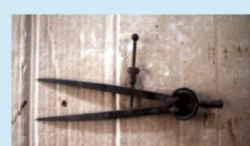
ماكري



مقدح



البُلد وميزان رمي السفينة



بيكار



الكونا أو الزاوية



فوت

١. المطارق بأنواعها وأحجامها المختلفة: منها المخلع، وهي أدوات تستخدم لطرق المسامير في الأخشاب.
 ٢. الخلخال: عبارة عن مقدح يقوم بخلخلة الأخشاب وثقبها، لإدخال الجزء الرفيع من المسمار في هذا الثقب مخلخلًا، وعند طرق المسمار، يدخل الجزء الرفيع من المسمار في الخشب تدريجيًا، ويمتلئ الفراغ الذي بالثقب المخلخل بالجزء العريض من المسمار.
 ٣. المقدح: منها المجدح أبو قوس: وهو أداة تستخدم لثقب الأخشاب بوساطة القوس لكي يسهل على العامل عملية إدخال المسامير فيها وطرقها، وهو ما يعرف في الوقت الحالي بـ (الدريل).
 ٤. البُلد (الشاقول): وهي آلة تستخدم لضبط ألواح السفينة في أثناء البناء رأسياً، تتكون من خيط وبه ثقل في أحد طرفيه، يجعل الخيط مستقيماً من أعلى إلى أسفل.
 ٥. ميزان رمي السفينة: وتستخدم لضبط درجة الميل وميزان السفينة، وهي عبارة قطعة خشبية أو معدنية مثلثة الشكل مدرجة ومقسمة إلى علامات تدرج وبها ثقب يتدلى منه حبل رفيع في نهايته ثقل.
 ٦. البطة والقلم: وهو أداة تستخدم لسحت الأخشاب ونحتها.
 ٧. الجرمة: وهو أداة حديدية حلزونية تستخدم لثقب الأخشاب.
 ٨. المناشير بمختلف أحجامها وأنواعها: أكبرها المنشار (أبو قعاده)، الذي يستخدمه اثنان من النجارين،
 ٩. المناقب: بمختلف أحجامها.
 ١٠. الكلبة (كماشة).
 ١١. البيكار: وهو الفر جال.
 ١٢. الفوت. ١٣. الكونا: الزاوية.
 ١٤. الدواة والقلم: وتستخدم لأخذ قياس ربط الألواح.
 ١٥. الخرمة: وتستخدم لقياس أضلاع السفينة.
 ١٦. ماكري: ويستخدم لضبط الألواح فوق بعضها البعض.
 ١٧. كوبار: ويستخدم لفك الألواح أو رفعها.
 ١٨. الفارة: وتستخدم لعملية تنعيم الخشب.
- وغيرها من الأدوات البسيطة.



64

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م

مميزات السفينة الحضرية: السنبوق (الشندة):

لقد تحدث المؤرخون والرحالة اليونانيون القدامى عن السفن الحضرية القديمة ووصفوها بأنها سنايق صغيرة الحجم (٤٧). أما السفن والمراكب اليمنية التي عرفت في القرن

السادس عشر الميلادي فكانت (الجلبة)، و(الغراب)، و(الطراد)، و(السنبوق العدني)، و(العبري)، و(العبري سنبوق) و(الطليلة) (٤٨)، وقد ذكرت هذه السفن والمراكب ضمن الحملة البرية والبحرية التي شنّها السلطان بدر أبو طويرق على المشقاص (المهرة) في القرن العاشر الهجري. حيث كانت الجلبة مخصصة لنقل البضائع والجمال والركاب، وقد انقرضت الجلبة منذ زمن بعيد. ويعد السنبوق العدني خليفة الجلبة في البحر الأحمر (٤٩).

لذا فإن السفينة (أبو شندة) (٥٠) ظهرت في مدة متأخرة، حيث نجحت أسرة آل بن ربيد في ابتكار صناعة خاصة بحضرموت وبحرفية عالية دون التأثير أو الأخذ من نماذج صناعات السفن الخشبية للبلدان الأخرى كـ(البغلة) الهندية، و(البوم) أو (الكوتية) الكويتية، و(الغنجة) العمانية على سبيل المثال، فكل منطقة لها وشارتها المستقلة عن الأخرى (٥١).

ولا يعرف بالتحديد متى قام هؤلاء النجارون المهرة بصناعة السفينة الحضرية (أبو شندة) بمقدمتها المنخفضة وجدارها الخلفي العالي الذي ميزها عن غيرها من السفن التجارية الأخرى، حيث إنه لم يرد ذكرها ضمن السفن



سفينة المحمدي من صناعة المعلم المول فرج سالمين بن ربيد وهي أكبر السفن الخشبية حمولة على امتداد شبه الجزيرة العربية والخليج تمت وشارتها سنة ١٩٤٥م

الحضرية القديمة أو تلك التي عرفت في العصور الوسطى (٥٢). وكما يبدو فإن النجارين الحضارم المهرة قاموا بتطوير العبري التجاري الحضرمي، الذي كان يستخدم في النقل التجاري بين سواحل حضرموت والسواحل الأخرى، ليتلاءم مع حاجة أصحاب السفن والتجار الحضارم إلى سفن كبيرة تنافس السفن الأجنبية التي دخلت ميدان المنافسة في النطاق الجغرافي التقليدي الخاص بهم، وأطلقوا

على سفنهم الجديدة (الساعية أبو شندة) (٥٣)، التي استخدمها الملاحون الحضارم وغيرهم من أهل الساحل اليمني الجنوبي في النقل التجاري، بالإضافة إلى (العبري) الذي كان يستخدم في النقل التجاري قبل تحويله إلى سفينة صيد (٥٤). وأيضاً (الساعية) وهي عبارة عن سفن تستخدم لنقل الحمول من البواخر إلى الميناء.



سفينة توماس، كان ناخوذة بها عبدالله عبد الرحيم باوزير



السّمك، تُدشن في البحر، ويُذبح لها رأس من الكباش أو الماعز ليأكله بَنّاءوها، وذلك حتى لا تكون السفينة سبباً في قتل ركبها إذا ما تعرضت لعواصف البحار ومخاطره في المستقبل (٥٩).

ومن أهم التجار الداعمين لصناعة السفن الخشبية بميناء عدن:

أولاً: المشايخ آل بازرة:

الذين امتلكوا أسطولاً كبيراً من السفن الخشبية التي تمت صناعتها في عدن خصيصاً لهم (٦٠) من قبل آل بن ربيد ونجاري الديس الشرقية. حسب الآتي:

أ- الشيخ محمد عمر بازرة: قام بوشارة عدد من السفن الخشبية غير أن أهمها سفينة (النصر)، التي تسمى أيضاً (المحمدي)، وسفينة (الزاهر)، و(المستهل)، التي شرهن المعلم المرحوم فرج سالمين بن ربيد، وغيرها من السفن.

ب- الشيخ علي بن محمد بازرة: أول مجموعة من السفن الشراعية الخاصة به تمت وشارتهن من قبل آل بن ربيد، مثل: سنبوق (جراد)، و(تونس)، و(تناصور)، و(الطائف)، و(فتح الباري)، و(المروة)، و(الصفاء)، بالإضافة إلى (نور البحر)، و(الديس)، هذه المجموعة تمت وشارتها في ساحل المعلا من قبل المعلم فرج سالمين بن ربيد، وسعيد عوض بن ربيد. أما (الخرطوم) وشره فرج سالمين بن ربيد، ومحمد سالم بن ربيد من أبناء الديس الشرقية (٦١).



بحارة السفينة الفضل ملك بازرة
يتوسطهم الناخوذة عبدالله عبد الرحيم باوزير

وكانت السفن في البداية تعتمد على قوة الرياح للدفع بها من خلال الأشعة، والتي حلت محلها مكائن الديزل في الفترات المتأخرة، وكان السيد أنطوني بس أول من وضع ماكينه ديزل على السفن الشراعية في عام ١٩٣٦م في مدينة عدن (٥٥). ويعد الشيخ علي بن محمد بازرة من أوائل التجار أيضاً -بعد شركة البس الفرنسية- الذين أدخلوا المكائن لتسيير سفنهم الشراعية في جنوب الجزيرة العربية، ومن هذه السفن سفينة (النصر) وناخوذتها عمر ياسين من مدينة الديس الشرقية، وسفينة (المروة) وناخوذتها السيد عمر حسين عديد، والسفينة المسماة بـ(الديس)، وقد اختصرت تلك المكائن المسافة، فبدلاً أن كانت المسافة بين عدن والمكلا تقطع خلال ١٢ يوماً، صارت تقطعها في ثلاثة أيام (٥٦).

دور تجار عدن وحضرموت في بناء (وشارة) السفن الخشبية:

إن الاتفاق على صناعة السفينة كان يجري حسب ضوابط وثابت معينة، وكانت السفن فيما سبق تبني لحساب التجار، ويختار هؤلاء التجار من سيتولى الإشراف عنهم لصناعة السفينة المطلوبة، ويقدمون له المواصفات المطلوبة من حيث نوع السفينة وحجمها، كما يطلبون من التاجر إحضار الأخشاب والمسامير والعمال اللازمين، وتحديد الأجر اليومي لهم، فإذا تم الاتفاق على كل شيء تحتاجه

عملية صنع السفينة وحسب طلبات التاجر أولاً والمشرف المسئول على بناء السفينة (المعلم) هذا من جانب الاتفاق، أما من جانب صنع السفينة فتكون ضمن أقسام متعددة ولكل قسم مهرة وعمال وصناع معينين (٥٧).

إن صناعة السفن الخشبية الكبيرة عادة ما تستغرق عامين من الزمن تظل طوال هذه المدة معرضة لأشعة الشمس حتى تلتحم ألواح الخشب التي تثبت بدورها بالأبوال الحديدية (٥٨)، وكانت هذه الصناعة تنتج حوالي سبع سفن في العام.

وبعد الانتهاء من صنع السفينة وطلائها ببعض زيوت

ج- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بازرة: وشرت له سفن عدة هي كالآتي: (الفضل) وشره محمد سالم بن ربيد، أما السفن (المنصور)، و(حصن الفرع)، و(العلوي)، و(الجبر)، و(السهالة)، و(نور البحر)، و(فتح السلام) تمت وشارتهن على يد المعلم محمد سالم بن ربيد (٦٢).

وسعيد عبدالله بن ربيد، ومبارك عبدالله بن ربيد، وسنبوق (غويري)، ويسمى (أبو مرايا)، وشره أهل اللحية، وتم تجديده وشارته في ساحل المعلا على يد المعلم سعيد عبدالله بن ربيد، وصالح باسلامة، وسالمين باسلامة، وسنبوق (الرياض)، وشره صالح عوض بن ربيد. أما سنبوق (ززم) فوشره المعلم فرج سالمين بن ربيد، وسنبوق (السعيد)، الذي تمت وشارته على يد المعلم سعيد عوض بن ربيد (٦٣).

نماذج لأشهر السفن الخشبية التي تم صناعتها بأيادي نجاري الديس الشرقية ومناطق وشارتهن:

١. النصر الأول: وشره المعلم مبارك بن محفوظ بن ربيد، في القرن التاسع عشر الميلادي في مدينة الشحر منطقة المجرف، لأحد التجار من آل بصعر في عهد الدولة الكسادية، وتسمى أولاً بـ (المجرف) تبعاً للمكان الذي صنع فيه، ثم اشتراه الشيخ محمد عمر بازرة، وأطلق عليه اسمه الذي اشتهر به (النصر)، ثم نعت به (الأول) تمييزاً له عن مركب شراعي آخر سُمي بالنصر أيضاً. وآخر ربان للنصر الأول هو مبارك نصيب جمعان، الذي له مغامرة مع النصر، فقد صار النصر في أيامه الأخيرة مشدوداً بالحبال، وهي حالة تجعله غير صالح للإبحار، ولكن الربان (جمعان) أبحر به من كاليكوت بالهند محملاً بالأخشاب وهو في الحالة المذكورة وأوصله سالماً إلى عدن (المعلا). وكانت هذه آخر رحلاته (٦٤).

٢. سفينة النصر: الملقبة (المحمدي): ملكية الشيخ محمد عمر بازرة، تمت وشارتها عام ١٩٤٥م، على يد المعلم المرحوم فرج سالمين بن ربيد بساحل بازرة منطقة المعلا - عدن، وهي من أكبر السفن التي وشرها نجارو الديس الشرقية، وهي أيضاً من أكبر السفن الخشبية حولة على امتداد شبه الجزيرة العربية والخليج آنذاك، تبلغ حمولتها ما بين ٧٠٠٠ - ٨٠٠٠ كيس (٦٥)، وفي وقت لاحق اشتراها باشنفر (٦٦).



بحارة سفينة الهاشمي الملقبة شنجم ملك بازرة يتوسطهم الناخوذة محمد عمر الكسادي

ثانياً: الشيوخ آل باشنفر:

وهم محمد وسالم باشنفر، وكانت أول سفينة شرعية لهم هي (المبشر)، ثم شراؤها من المشايخ آل حوري، وأول وشارة لها كانت في ميناء القرن بالديس الشرقية على يد المعلم فرج سالمين بن ربيد، وتم تجديده في ساحل المعلا على يد المعلم سعيد عوض بن ربيد، وسالمين عوض بن ربيد،



صورة على السنبوق السعيد ملك آل باشنفر الناخوذة سعيد عمر حوري بتاريخ ١ فبراير ١٩٦٥م



67

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

المعلم سعد عوض بن ريد الملقب بالسوري
من أهم السفن الذي قام بشارتها
سفينة الخرطوم ملك آل بازعة



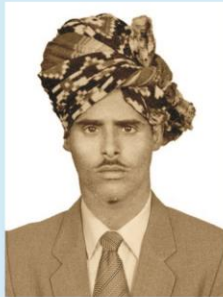
المعلم المول فرج خميس بن ريد
قام بوشارة معظم سفن الأسطول البحري



المعلم سعيد عوض سالمين بن ريد
قام بوشارة عدة سفن أشهرها
سفينة السعيد لال باشنفر



المعلم سعيد عبدالله سالم بن ريد
قام بنقض زعيمة المنشية



المعلم مبارك عبدالله سالم عبيد بن ريد
صانع سفينة فلسطين



المعلم صالح عوض عبدالله بن ريد
قام بوشارة عدد من الصنابير لـ باوارث وباجرش
ومن أشهر ما وشر صنوبر الرياض لباشنفر



خميس فرج سالمين بن ريد
شارك مع والده في صناعة عدد
من السفن الشراعية مثل المروعة
وفلسطين وصنع أول فرمة فيبرجلاس
في مصنع الجرو كانت على يده



المعلم محمد سالم عبيد بن ريد
صانع سفينة الواكد

٣. **القادري:** وهو من أشهر السفن الخشبية الشراعية، قام بوشارته المعلم المرحوم سالم عبيد بن ريد، وتمت وشارته في مدينة الشحر بمنطقة المجرف بالقرب من الجمرك، وذلك في عهد السلطان عمر بن عوض القسبي (٦٧)، وهو للمالك باشر اصيل من أهالي الشحر، وقد كانت حولة القادري حوالي ٧٥٠٠ كيس، ومن المعاملة الذين تتلمذوا على يد المعلم سالم عبيد وساعدوه في وشارة القادري: عبدالله سالم عبيد بن ريد ابن المعلم، وفرج سالمين بن ريد، ومحمد سالم بن ريد، وعبدالله عوض بن ريد، وعوض سالم بن ريد ابن المعلم، والبرك عبيد بازباد، وعبدالله أحمد بازباد (٦٨). وآخر ناخوذة عليه كان مبارك نصيب جمعان، وقد غرق القادري في بحر الهند بكاليكوت في رصيف الميناء وهو محمل بالأخشاب (٦٩).

وقد تغنى فيه الشاعر سالم رزق الله، قائلاً:

حرام القادري مزقول، منش معقول

لا لا تهملوناه وابتحنوا له عن سلب معقول

٤. **الصرك:** قام بوشارته المعلم المرحوم عوض سالم عبيد بن ريد بالقرب من جامع البلاد على الساحل، بجانب منزل علي حميد من أهالي المكلا، وتذكر الروايات أن تسمية السفينة بـ (الصرك) جاءت حينما سأل المعلم مالك السفينة، وهو من آل أبو سبعة من أهالي المكلا عن تحديد الطول المراد للسفينة، رد قائلاً: أريدها من الصرك إلى الصرك الآخر. وهكذا ثبتت التسمية حيث إن الحمولة التي يستوعبها الصرك تقدر بحوالي ٧٠٠٠ كيس. وقد شارك في وشارة (الصرك) المعاملة: فرج سالمين بن ريد، وعوض عبدالله بن ريد، ومحمد سالم بن ريد، وعوض سالم بن ريد، وعبدالله سالم بن ريد، وصالح سالم عميران، وعبدالرحمن أحمد بازباد، عوض عبدالرحيم، وشخص يدعى (فليحان) لم تتسن لنا معرفته (٧٠). هذا وقد تغنى الشاعر الكبير حسين المحضار بسفييتي (القادري) و(الصرك) قائلاً:

عدى زمان القادري والصرك عدى زمان الليف والكمبار
وتنبهوا يا قابضين الدرك شوذي مراكب طارحات كبار
والموج يا ستار بين الخن والقارب يلاطم
ونا سالم بعون الله والجزوة ومال الناس سالم



68

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م

٥. **الهاشمي: الملقبة (شجيم):** من أملاك الشيخ عبدالرحمن محمد عمر بازرة، وهي من أكبر ما قام بوشارته المعلم المرحوم محمد سالم بن ربيد (مريوح) على ساحل بازرة منطقة المعلا - عدن، وتتسع لحمولة قدرها (٤٠٠٠ كيس)، ومن المعاملة المشاركين في الوشارة: عبدالله سالم بن ربيد (أخو المعلم)، وسعيد عبدالله بن ربيد، وسعيد أبوبكر باغويطة، وأحمد سعيد بازرياد، ومبارك عبيد بازرياد، ومبارك سالم بن ربيد.

٦. **الفضل الأول:** وشرة فرج سالمين بن ربيد في مدينة الشحر عند ثلاجة الأسماك، وربانه شيخ عامر بن إسحاق.

٧. **فلك المحضار:** وشرة محمد سالمين مريوح بن ربيد، ومالكة الشيخ عمر بافضل، وربانه العم علي حمدين أبو لوزة.

٨. **الزاهر:** وشرة سالم خميس محمد بن ربيد في القرن التاسع عشر في مدينة المكلا بين الغلة ومسجد الجامع القديم، وأول ربان للزاهر هو العم عبدالرحيم عمر حوري (٧١).

٩. **الشاذلي:** قام بوشارته المعلم محمد سالم عبيد بن ربيد على ساحل باسودان منطقة المعلا عدن.

١٠. **الرياض:** من أملاك سالم ومحمد أبناء محمد باشنفر (٧٢)، قام بوشارته المعلم صالح عوض بن ربيد على ساحل بازرة منطقة المعلا عدن (٧٣)، ومن معاملته: أحمد فرج بن ربيد، وأحمد صالح بن ربيد، وسعيد محمد بن ربيد (أبو صالح)، ومحمد سعيد الغيلي، الطيب سالم من أهالي الصومال، وتبلغ حمولته (٣٥٠٠ كيس) (٧٤).

١١. **السعيد:** من أملاك محمد وسالم أبناء محمد باشنفر (٧٥)، قام بوشارته المعلم سعيد عوض سالمين بن ربيد في عام ١٩٥٣م على ساحل جزيرة العبيد، جزيرة العمال حالياً، وهو من أشهر وشارته، ومن معاملته: مبارك عبدالله بن ربيد، وأحمد عوض الدنكلي، ومبارك سالم بن ربيد، وعبدالله سالم بن ربيد، وعوض سالم بن ربيد، وسعيد سالم باراشد، وصالح سالم عميران، وسعيد باعشن، وأبو عابد من أهالي المكلا، وعمر باطري من أهالي المكلا، وتبلغ حمولته (٣٠٠٠ كيس) (٧٦). واستغرق العمل في إنجازه خمسة أشهر، وأبحر في بداية مشواره بالشرع، ومن ثم رُكبت عليه مكينة بعد سنوبق الرياض (٧٧). وأول ربان فيه العم سعيد عمر حوري، واستمر فيه من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٦٧م، ثم خلفه الربان عبدالله عبدالرحيم حوري من ١٩٦٧م إلى عام ١٩٧٧م (٧٨).

١٢. **الخرطوم:** من أملاك الشيخ علي محمد بازرة (٧٩)، قام بوشارته المعلم سعد عوض بن ربيد (السويني)، وذلك في سنة ١٩٤٧م على ساحل باسودان منطقة المعلا - عدن، وهي أشهر وشارة له، وحمولتها (٦٠٠٠ كيس) (٨٠).

١٣. **المروة:** وشرة فرج سالمين بن ربيد لآل بازرة، وأول ربان فيه محفوظ عوض ياسين.

١٤. **فتح الباري:** وهي من أملاك الشيخ علي محمد بازرة (٨١)، قام بوشارته المعلم محمد عبدالله بازرياد على ساحل باسودان منطقة المعلا عدن (٨٢).



انتظار المهاجرين القادمين على سفينة خشبية



69

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م



رسو سفينة خشبية بميناء المكلا في منتصف القرن الماضي

١٥. المنشية: من أملاك حسن

فائز من أهالي جدة بالمملكة العربية السعودية، وهي من أشهر ما وشره المعلم المرحوم سعيد عبدالله بن ربيد في سنة ١٩٤٩م، وحولتها تقدر (٢٥٠٠ كيس)، ومن المشاركين في الوشارة: مبارك عبدالله بن ربيد (أخو المعلم)، وأحمد عبدالله بن ربيد (أخو المعلم)، وأحمد عوض الدنكلي،

وعوض علي بن عروة من أهالي المقد (٨٣). تمت وشارتها على ساحل باسودان منطقة الملا عدن (٨٤).

١٦. فلسطين: وهي من أملاك أحمد عبدالله باشنفر وإخوانه (٨٥)،

وهي آخر سفينة تمت وشارتها من سفن الشحن الكبير على يد المعلم المرحوم مبارك عبدالله بن ربيد، وهي أشهر ما وشره ما بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٥٩م، وتبلغ حولتها (٣٠٠٠ كيس)، ومعالمتها المشاركون في الوشارة هم: المرحوم خميس فرج بن ربيد، وأحمد عوض الدنكلي، وأحمد عبدالله بن ربيد (أخو المعلم)، وعوض علي بن عروة من أهالي المقد، وسبتي أحمد عيوري، وعوض فرج بايمن، علي باعيقه من أهالي المكلا، وراجح أحمد من أهالي الشمال (٨٦)، تمت وشارتها على ساحل باسودان بمنطقة الملا عدن (٨٧). وغيرها الكثير من السفن.

النواخذ الحصارمة على السفن الخشبية:

ترتبط صناعة السفن ارتباطاً مباشراً وثيقاً بالملاحة البحرية، حيث إنها يكملان بعضهما البعض فعندما تتطور صناعة السفن تزدهر الملاحة البحرية بوجود تلك الأعداد الكبيرة من السفن، والتي تحتاج أيضاً إلى أعداد كبيرة من نواخذ وبحارة خبروا البحر وأهواله وعرفوا فنونه وعلومه، وقد قاد تلك السفن التي صنعت بساحل الملا ربانة أفذاذ ورجال

أكفاء من نواخذة وبحارة من مناطق الساحل الحضرمي من المكلا، والشحر، والحامي، والديس الشرقية وغيرها. وقعت بين أيدينا ثلاث إحصاءات لنواخذ السفن الخشبية لهذه المناطق وبها تباين بسيط، وقد قام المرحوم محمد قاسم شائف الكلدي، بالاطلاع على إحصاء المرحوم عمر عبدالرحمن المقدي (أبو هند)، وكذا إحصاء باعمر من كتاب: (نواخذ السفن الشراعية في حضرموت والمهرة)، لذا يعد إحصاء الكلدي أدق هذه الإحصاءات، إلا أننا استأنسنا بجميع هذه الإحصاءات، وأخذنا المتوسط الحسابي لها ليعطينا صورة عن أعداد هؤلاء النواخذ، وهي كالآتي:

المنطقة	عدد النواخذ حسب			
	إحصاء الكلدي (٨٨)	إحصاء باعمر (٨٩)	إحصاء المقدي (٩٠)	المتوسط الحسابي
المكلا	٧	١٤	٦	٩
بروم	٣	؟؟	٢	٣
الشحر	١٩	٢٠	٨	١٦
الحامي والمقد	١٢٩	١٠٠	٥١	٩٤
الديس	١٦٧	٥٣	١٦٨	١٣٠
قصيعر	٧	١٧	١٨	١٤

من خلال الجدول فإننا نلاحظ وجود أهل الديس الشرقية بين الملاحين ورجال البحر الحصارم كبيراً، بحيث يمكن

البحر ومعظمها لا يوجد عليها سراجات ولا فانارات ترشد السائر فيه لتجنب الخطورة (٩٣)، والعجيب أن هذه الكوكبة ليس لديهم شهادات يحملونها إنما هي الخبرة التي اكتسبوها من الممارسة العملية مما جعلهم في مصاف حاملي الشهادات العليا في علوم أعالي البحار وبخاصة البحار التي ارتادوها منذ الصغر من بداية العمل على ظهر السفن الشراعية بدءاً

القول إنهم كانوا أكثر عدداً من كل أهل الساحل الحضرمي وجوداً في الملاحة البحرية (٩١). كما هو مبين من إحصاء الكلدي والمقدي، وهذا العدد يعد كبيراً مقارنة بأعداد النواخذ ومعالجة البحر القدامى المسجلين من أهل الحامي الأكثر شهرة في ميدان الملاحة البحرية، وتتضاءل أمامه أعداد النواخذ ومعالجة البحر من أهالي الشحر وقصيعر



نموذج خشبي مصغر للسفينة الحضرمية الشندة
من أعمال النحات عوض مبارك بن ربيد



الفنان التشكيلي عوض مبارك بن ربيد
البقية الباقية لصناعة السفن الخشبية

من أول السلم الوظيفي وحتى النهاية، ويتكون السلم الوظيفي من سبع مراحل، وهي على النحو الآتي حسب الوظيفة والتسمية:

(١) صغير شربة، (٢) صغير درك، (٣) بحار، (٤) مساعد قابض سكان، (٥) سكاني، (٦) صرنج (رئيس بحارة)، (٧) نوخذة.

وكل مرحلة يتطلب البقاء فيها من ثلاث سنوات إلى أربع، وقد تطول إلى خمس سنوات، وليس كل من تجاوز السلم الوظيفي يكون نوخذة، إنما هناك معايير عدة وهي اكتساب الخبرة والقدرة على قيادة السفينة، إضافة إلى الاستقامة وقوة الشخصية (٩٤).

والمكلا وبروم المعروفين الذين عملوا خلال المدة نفسها (٩٢) هؤلاء الكوكبة من النواخذ لا يجود الزمان بمثلهم أبداً، وأيم والله إنهم ليستحقون منا الثناء والتقدير كيف لا وهم الذين حملوا أرواحهم على أكفهم، وحملوا أكفانهم في حلهم وترحالهم، وغامروا بحياتهم عبر لجج البحار التي ارتادوها على ظهر سفنهم الشراعية؛ انطلاقاً من مياهنا الإقليمية مروراً بالبحر العربي والخليج وساحل بر فارس وصولاً إلى شواطئ الهند وشرق أفريقيا وانتهاءً بالبحر الأحمر بما فيه العربي والإفريقي، هذه البحار لم تكن يوماً مفروشة بالورود بل تشكل قمة الخطورة لما فيها من صخور وشعاب مرجانية وجزر ترابية وصخرية ورؤوس جبال مطلة على



أما آخر سفينة من الأسطول التجاري الحضرمي ظلت تقاوم من أجل البقاء في ميناء عدن هي سنبيق (السعيد)، وكان آخر ناخوذة عليها هو الناخوذة عبدالله عبدالرحيم حوري من ١٩٦٧م إلى نوفمبر ١٩٧٧م، وقد تم غرقه في مياه بحر عدن قبالة جزيرة صيرة فقد صدمته باخرة روسية كبيرة كانت خارجة من الميناء، عندما كان السعيد داخلاً إلى الميناء، ونتج عن هذا الصدام غرق السعيد. وقد لطف الله إذ نجى البحارة من موت محقق، وذلك في ٢٧ نوفمبر من عام ١٩٧٧م. وبهذه الحادثة أغلقت آخر صفحة من صفحات السفن الشراعية بميناء عدن والمتمثلة في سنبيق السعيد (٩٧). أما في الساحل الشرقي من جنوب الجزيرة العربية فقد ظلت بعض السفن الخشبية تعمل إلى مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وبحسب آخر التحريات فإن الزعيمة المسماة بد (الدمغة) كانت تعمل في هذه المدة، وكان الناخوذة عليها المرحوم عبدالعزيز صالح الشقري (٩٨).

المصادر والهوامش:

- (١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر وأهله وأهل سفينتهم (٢٥٠٢-٢٥٠٣).
- (٢) بن عزون، سليمان فرج، هجرة الحضارم إلى عدن (دراسة ميدانية لصلتهم بموطنهم الأصلي وعلاقتهم الاجتماعية)، بحث منشور في حولية مجلة كلية الآداب - جامعة عدن، العدد (٢)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، نوفمبر ٢٠٠٢م.
- (٣) د. أمين علي محمد حسن (مدينة عدن دراسة ديموغرافية تحليلية)، مركز عدن للبحوث الاستراتيجية والإحصاء ص ٦، ٧.
- (٤) باوزير، خالد سالم (ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة) أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، إشراف د. علي المحجوبي، ص ٤.
- (٥) شهاب، حسن صالح (عدن فرضة اليمن)، ط ٢، ص ٢٢٢.
- (٦) البار، محمد علي (عدن لؤلؤة اليمن، ج ٣)، مكتبة كنوز المعرفة جلد ١٢، ص ٨٦.
- (٧) <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D9%86>
- (٨) الكعبي، عبدالرحيم غنتاب (صناعة السفن التجارية ..)، مجلة البلقاء للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (٨)، العدد (١)، ٢٠٠١م، ص ٣٧.

النواخذ الحضارمة على أسطول بازرة التجاري:

وكان عدد من أبناء الساحل الحضرمي يعملون كنواخذ وبحارة على الأسطول التجاري لآل بازرة. ولقد عدّ الباحث محمد علوي باهارون ٣٢ ناخوذة يعملون فقط على أسطول بازرة التجاري، مع ذكر بلدانهم والسفن التي قادوها (٩٥)، حيث يشكل نواخذ الديس الشرقية ١٦ ناخوذة، بنسبة ٥٠٪ وهي أعلى نسبة، ثم يليهم نواخذ الحامي، وعددهم ١٠ ناخذ، بنسبة ٣٢٪، ثم يأتي نواخذ المكلا والشحر بنسبة ٧٪ تقريباً لكل منهما، وفي المرتبة الأخيرة نواخذ بروم، وعددهم ١ بنسبة حوالي ٣٪، كما هو مبين بالشكل الآتي:

أسباب توقف هذه الصناعة واندثارها:

توقفت صناعة السفن الخشبية في النصف الأول من عام ١٩٦٥م، للأسباب الآتية:

١. تراجع الحركة التجارية عن سابق عهدها لعوامل عدة، من بينها إعادة فتح قناة السويس، التي من خلالها تعامل التجار مع الشركات التي تمتلك السفن البخارية لشحن بضائعهم على تلك البواخر لضمان سلامتها وسرعة وصولها.. هذا العامل أدّى إلى شل حركة السفن الشراعية مع إن معظم السفن أدخلت عليها محركات الديزل ومالكوها يحذوهم الأمل لتشغيلها من جديد وتتم عليها الصيانة بين فترة وأخرى غير أنه لم يكن لهم ذلك الأمل.
٢. الاستيلاء على السفن بالكامل عبر الانتفاضة التي حدثت في شهر مايو عام ١٩٧١م، ومن خلال تلك الانتفاضة تم تأسيس الجمعية التعاونية للنقل البحري، غير أنها لم تستمر طويلاً حيث صدر بشأنها قرار من مجلس الوزراء بدمج الجمعية بإحدى الشركات التي تمتلك ثلاث بوادر متهالكة ومنتهية أعمارها، وأصبحت الجمعية تحت اسم خطوط اليمن البحرية من عام ١٩٨٠م غير أن إدارة الشركة تنقصها الخبرة لتشغيل هذه السفن حتى إنها أهملت وأصبحت لا وجود لها نهائياً (٩٦).



72

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

- (٣٠) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكنية)، ص ١٩.
- (٣١) ميناء القرن هو أحد موانئ السلطنة القميطة، يبعد عن مدينة الدير الشرقية حوالي ٨ كم.
- (٣٢) مقابلة أجراها الباحث مع المرحوم علي محمد بحاح قبل وفاته سنة ٢٠١٠م.
- (٣٣) البسيري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الدير الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.
- (٣٤) أسرة آل بن ربيد: أسرة آل بن ربيد قدمت من منطقة سيحوت محافظة المهرة إلى الدير الشرقية في القرن السابع عشر الميلادي.
- (٣٥) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكنية)، ص ١٣.
- (٣٦) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة)، مجلة شرفة العدد (السابع)، أكتوبر ٢٠١٨م، ص ٦.
- (٣٧) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (وشارة السفن بالدير الشرقية)، ص ١.
- (٣٨) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكنية)، ص ١٢١ إلى ١٢٣.
- (٣٩) محروس، محمد عوض (مكانة أهل الدير في الملاحة والتجارة البحرية في ساحل حضر موت)، مجلة خلفه العدد (الثالث) مايو ٢٠٠٩م، ص ٢٠.
- (٤٠) المرجع السابق.
- (٤١) باريسا، عوض محمد، المالك والمدير لوكالة معاملات الشحن والتصدير البحري، المكلا، (مقابلة نشرت في صحيفة الجمهورية، يوم ١٨ / ٨ / ٢٠٠٨م).
- (٤٢) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (وشارة السفن بالدير الشرقية)، ص ٣.
- (٤٣) مراسلة مع الأستاذ حسن سالمين عميران بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ٢٠١٩م.
- (٤٤) عبدالله بلال قام بصناعة السفينة المساة (هنتارة) على ساحل باسودان بمنطقة المعلا - عدن.
- (٤٥) قائد أنعم العبسي من أشهر صناعته سفينة (القائد)، وشراها على ساحل البس في منطقة المعلا عدن.
- (٤٦) الكلدي، محمد قاسم، مرجع سابق، ص ٢١.
- (٤٧) شهاب، حسن صالح (أضواء على تاريخ اليمن البحري)، ص ٣٣.
- (٤٨) المصدر السابق، ص ٣٤٠.
- (٤٩) محروس، محمد عوض (مكانة أهل الدير في الملاحة والتجارة البحرية في ساحل حضر موت)، ص ٢٠.
- (٥٠) الشنودة: هي الجدار الخلفي للساعية الذي يميزها عن غيرها من السفن.
- (٥١) باريسا، عوض محمد، المالك والمدير لوكالة معاملات الشحن والتصدير البحري، المكلا، (مقابلة نشرت في صحيفة الجمهورية، يوم ١٨ / ٨ / ٢٠٠٨م).
- (٥٢) محروس، محمد عوض (مكانة أهل الدير في الملاحة والتجارة)، ص ٢١.
- (٥٣) المرجع السابق، ص ٢١.
- (٥٤) محروس، محمد عوض (البحر في تراث حضر موت)، مجلة آفاق التراث الشعبي العدد (الأول)، يناير - يونيو ٢٠٠٧م، ص ٧٣.

- (٩) البسيري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الدير الشرقية في الملاحة البحرية)، مجلة خلفه العدد (الثالث)، مايو ٢٠٠٩م، ص ٢٣.
- (١٠) باهارون، محمد علوي (الشيخ محمد عمر بازرة ودوره في تجارة المحيط الهندي)، دار الحامي، حضر موت، ٢٠١٣م، ص ٤٩، ٥٠.
- (١١) سلطان ناجي (عدن عبر التاريخ)، مجلة الإكليل العددان (الثاني والثالث)، السنة الثانية، ١٩٨٣م.
- (١٢) بيانات المديرية وفقاً للتقسيم الإداري لعام ١٩٩٤م (المركز الوطني للمعلومات - اليمن)، ص ١٧.
- (١٣) المقدي، عمر عبد الرحمن، فصل في صناعة السفن الخشبية الشراعية، ص ٣، (بحث مخطوط).
- (١٤) سلطان ناجي (عدن عبر التاريخ).
- (١٥) المرجع السابق.
- (١٦) بيانات المديرية وفقاً للتقسيم الإداري لعام ١٩٩٤م (المركز الوطني للمعلومات - اليمن)، ص ١٧.
- (١٧) المرجع السابق، ص ٥.
- (١٨) <http://golden.news/articles/13980>
- (١٩) سلطان ناجي (عدن عبر التاريخ).
- (٢٠) عبدالعزيز عبدالله قريح (مراسلة خاصة).
- (٢١) آل بازرة من أعرق الأسر الحضرمية الكريمة، ينتهي نسبها إلى قبيلة الصدف من كندة. هاجر عدد منهم إلى مصر، ومن مآثرهم بمصر (وكالة بالزرة)، ومن أبرز مآثرهم بعدن مدرسة بازرة الخيرية بكريت، وللأسرة دور ملاحي وتجاري في حوض المحيط الهندي عقوداً من الزمن.
- (٢٢) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكنية)، ص ١٧.
- (٢٣) المسيو أنطوني بيس Monsieur Antonin Besse، من كبار تجار عدن في عهد الاستعمار البريطاني، من مواليد العام ١٨٧٧ في مدينة كاراكسون الفرنسية، توفي في ٢ يوليو ١٩٥١م عن عمر يناهز ٧٤ عاماً.
- (٢٤) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكنية).
- (٢٥) لمعرفة مميزات هذه الأخشاب، ومواقع استخدامها في أجزاء السفينة، راجع الفصل الأول من الباب الأول من كتاب (السفينة ما قبل المكنية)، مصدر سابق.
- (٢٦) مقابلة أجراها الباحث مع الوالد المرحوم عمر عوض محروس بتاريخ ١٥ / ٢ / ٢٠١٠م.
- (٢٧) البرونيات: اسم مسامير خاصة تصنع محلياً، والواحد منها يسمى (بروني)، ويترأع طول المسامير بين ١٨ و ٢٥ إنش فأكثر، وقطره بين إنش وإنش ونصف، وهذه المسامير تعد أكبر مسامير حديدية تستعمل في السفن. (القاموس البحري، للملاح بدر الكسادي، ص ٢٨).
- (٢٨) الهتّام: هو عود مقدمة السفينة، السمكة: عود مؤخرة السفينة، الهيراب: هو عود بمثابة العمود الفقري للسفينة
- (٢٩) اللواشك: هي أخشاب مستطيلة تثبت فوق الأضلع من الداخل.



73

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

(٧٥) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٧٦) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة)، ص ٨.

(٧٧) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٧٨) البصري، محفوظ سعد، من مقابلة أجراها مع المعلم سعيد عوض بن ربيد قبل وفاته.

(٧٩) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية).

(٨٠) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة).

(٨١) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية).

(٨٢) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ٢١.
(٨٣) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة).

(٨٤) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ٢١.
(٨٥) المقدي، عمر عبدالرحمن (كشف مخطوط بأسماء عدد من السفن الشراعية ونواخذها ومالكها).

(٨٦) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة).

(٨٧) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ٢١.
(٨٨) مصدر الإحصاء كتاب (السفينة ما قبل المكينة).

(٨٩) مصدر الإحصاء كتاب (نواخذ السفن الشراعية في حضر موت والمهرة).
(٩٠) مصدر الإحصاء بحث مخطوط للمرحوم عمر عبدالرحمن المقدي.

(٩١) محروس، محمد عوض (مكانة أهل الديس في الملاحة والتجارة البحرية في ساحل حضر موت)، ص ١٩.

(٩٢) محروس، محمد عوض (مكانة أهل الديس في الملاحة والتجارة البحرية في ساحل حضر موت)، ص ١٩.

(٩٣) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ١١٥.
(٩٤) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ١١٦، ١١٥.

(٩٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: باهارون، محمد علوي (الشيخ محمد عمر بازرة ودوره في تجارة المحيط الهندي، الصفحات من ٥٩ إلى ٦١).

(٩٦) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ١٣.
(٩٧) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٩٨) مراسلة مع الأستاذ حسن سالمين عميران بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ٢٠١٩م.

(٥٥) أكحلي، علي محمد سعيد (أنطونسي بيس.. الرجل الأسطورة..).
صحيفة الأيام، الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٩م

://www.alayyam.info/news/٣NM٨٤QO٠-LGRX٢F

(٥٦) باهارون، محمد علوي (الشيخ بازرة ودوره في تجارة المحيط الهندي)، ص ١٠٠، نقلاً عن الكسادي، عادل أحمد (نواخذة من الكويت وحضر موت في رحلات السندباد)، مجلة الساعية، العدد (١٢) يوليو ٢٠٠٩م، ص ٩.

(٥٧) العمري، جميل عبد حمزة (صناعة السفن في الخليج العربي دراسة في الجغرافية التاريخية)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (٨)، العدد (٤)، ٢٠٠٩م، ص ١٧٩ بتصرف.

(٥٨) باريسا، عوض محمد، المالك والمدير لوكالة معاملات الشحن والتصدير البحري، المكلا، (مقابلة نشرت في صحيفة الجمهورية، يوم ١٨ / ٨ / ٢٠٠٨م).

(٥٩) سلطان ناجي (عدن عبر التاريخ).

(٦٠) باهارون، محمد علوي (الشيخ بازرة ودوره في تجارة المحيط الهندي)، ص ٩٤.

(٦١) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٦٢) المرجع السابق.

(٦٣) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣ بتصرف.

(٦٤) البصري، محفوظ سعد، من مقابلة أجراها مع المعلم سعيد عوض بن ربيد قبل وفاته.

(٦٥) الكيس يعادل ١٠٠ كيلو جرام.

(٦٦) لقاء مع عوض مبارك بن ربيد والشيخ أحمد محمد باوزير بتاريخ ٣١ / ١ / ٢٠١٩م.

(٦٧) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٦٨) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (وشارة السفن بالديس الشرقية)، ص ١.

(٦٩) البصري، محفوظ سعد (الدور الإقليمي لمدينة الديس الشرقية في الملاحة البحرية)، ص ٢٣.

(٧٠) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (وشارة السفن بالديس الشرقية)، ص ٥.

(٧١) البصري، محفوظ سعد، من مقابلة أجراها مع المعلم سعيد عوض بن ربيد قبل وفاته.

(٧٢) المقدي، عمر عبدالرحمن، جدول مخطوط لنواخذ السفن الشراعية.
(٧٣) الكلدي، محمد قاسم (السفينة ما قبل المكينة)، ص ٢١.

(٧٤) بن ربيد، عوض مبارك وعميران، حسن سالمين (آل بن ربيد والبحر والوشارة)، ص ٨.



الحلقة الثالثة

بيوض التي تخصب بيضها داخل بطنها ثم تلد، يقال عنها ولود، مثل عائلة حيتان القرش، وعائلة حيتان الدولفين، وأما التي تضع بيضها وتخصبه خارجاً يقال عنها صنون، وغالبها ترمي بيضها في باطن حفر عميقة، مثل الساردين (العيدة)، وأسماك الصخور ترمي بيضها وسط مغارات وشقوق آمنة، والقليل تحفظه وسط فمها، وأما القشريات مثل السرطانات والشروخ فتلصق بيضها أسفل بطنها جوار صدرها، باستثناء الربيان فلها كيس خارجي، يلحق الذكر أثنائه بوساطة جهازه التناسلي (رجله الثامنة) عبر حوض تناسلي في الرجل السادسة للأُنثى، وفيه يتكون البيض في الناحية الظهرية حتى فترة نضوجه تقذف الأُنثى بيضها، والذكر يقذف حيوانه المنوي في جحور مظلة حتى تعور عيناه (الذكر والأُنثى) وتنفق، وبعد مرور ثلاثة أيام من مدة التخصيب يفقس البيض بصغار الربيان البحري الأحمر، وأما ربيان الأحواض والعيق^(١) فيفقس البيض بعد مرور يومين بصغار الربيان بحكم زيادة نسبة الأملاح ولونه وغالباً ما يكون شفافاً ضارباً للاخضرار، وأما عوائل الرخويات وخاصة أنواع

أ. عمر خميس بامتيرف



فصائل وعوائل الأحياء البحرية:

الأحياء البحرية تنقسم إلى ست فصائل متعددة العوائل والأسماء والألوان والأشكال، وكل منها يعيش في بيته الخاص، ومنها القشريات، مثل (الشروخ، والباحشي، والسرطانات (الحلُقم)، وأبو مقص (قبقوب)، وقمل البحر)، والمخلوقات البحرية نوعان، منها الولود، والآخر





ألبا فقاريات

الفصيلة الأولى القشريات

75

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م

القشريات أنواع متعددة مثل الشروخ والقفيعة (الجمبري) أو (الريان) الباحشي والحلقم (السرطانات) أو (أبو مقص) والقمل، ويتكون جسم الشروخ والريان من ثلاثة أجزاء رئيسية:

١- الجزء الأول: الأرجل والأطراف.

٢- والجزء الثاني: البطن والذيل.

٣- والجزء الثالث: الرأس والصدر.

وأما القشريات الساحلية والصخرية مثل الباحشي، والحلقم، والقمل، تتكون من ثلاثة أجزاء، وهي:

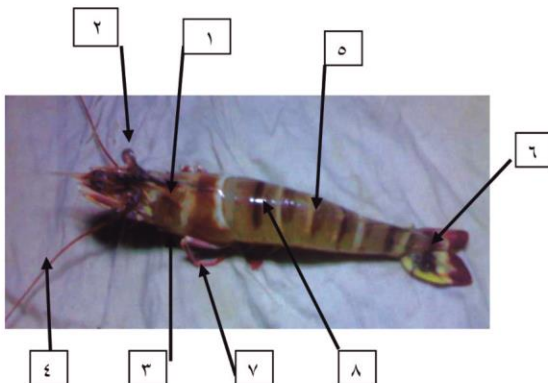
١- الأرجل والأذرع المفصلة المرتبطة بالجسم.

٢- العينان والظهر. ٣- الرأس والصدر.

ويتميز ذكر الشروخ عن الأنثى أن الذكر له مخالب في الأرجل الخلفية، أما الأنثى فبغير مخالب وبيضها ملاصق بالقشرة التحتية الخارجية تحت الصدر، ومدة وضع الأنثى بيضها والذكر مادته المنوية حتى تعور إحدى عينيها، ويموت (الذكر والأنثى)، والبيض يظل في أماكن مظلمة وسط غيران (كهوف) أو شقوق لجحور صخرية بعيدة عن أشعة الشمس حتى يستكمل ليفرخ بالآلاف، والشروخ ستة أنواع، والقفيعة سبعة أنواع، والحلقم سبعة أنواع وفيما يأتي ذلك:

وأما مكونات الأحياء القشرية كالريان مثلاً: فتتكون من:

١- الرأس، ٢- العينين، ٣- الصدر، ٤- قرنيات الاستشعار، ٥- البطن، ٦- الذيل، ٧- الأرجل، ٨- الظهر.



الحبار مثل (العزير، والتربح، والصال)، والأخطبوط (التربح)، فإنها تضع بيضها وتلصقه بأجسام قوية مثل الحبال والصخور المتفرعة المشبكة والأشجار القوية جذورها ووسائل الأقفاس حتى تصل بحجم عناقيد العنب، ويتميز الحبار بالتمويه بألوان جسمها حسب طبيعة الموقع الموجود فيه، أو في حالة استشعارها بالخطر فترة استهدافها تقذف مادة الحبر الأسود للتمويه لحماية نفسها، وفي كل الأحوال عند كل الكائنات البحرية فترة عملية المغازلة (المصاحبة)، فذكر الحبار يظهر بألوانه الجذابة ليكون سيد الموقف أمام الذكور والإناث الأخرى، ولمشاهدي لموقف ومعني الأستاذ عبدالرحيم محمد باخيس راقبتنا حالات عدة عن عملية التزاوج بين حبارين (ذكر وأنثى) ونحن داخل مارينة فندق هولدي إن (رمادا حالياً) بعد مصاحبة شرسة تواجه (تقابل) رأس الذكر برأس الأنثى وتقاوضن بالأذرع، والذكر هو الذي يمتلك القبضة ويدفع بقوة وتستلم الأنثى لمدة معينة حتى يصل إلى عملية التلقيح عندها يربض الزوجان في قاع البحر حتى تنتهي شهوتهما يبتعد الذكر منها، والأنثى تنفث بماء ممزوج بمادة بيضاء، ويفترقان بمسافة بسيطة بين المياه ومن فوقهما عدد من إناث الحبار، وفي النهاية يصطحبان ويغادران الموقع معاً، وبعد مرور المدة المقررة تضع الأنثى بيضها عبر فتحة في مقدمة الرأس، في حين يقوم الذكر بفرز مادة بروتينية مخاطية بيضاء (المني)، وتلصقه في أماكن متفرعة مثل الحبال والأشجار القوية تضمن تماسكه (بقاءه)، وبعد استكمال العملية يموت الذكر والأنثى بعد مرور مدة حضانة البيض عند الأنثى لسبعة أيام، والتي تقدر بمئات الآلاف ولا يبقى منه إلا المئات بسبب الهجوم الذي تتعرض له من قبل صغار الأسماك، ويستكمل نضج ما بقي في الخارج لمدة أسبوعين إلى أربعة أسابيع معدودة، ومن بعدها يفرخ بصغار حديثي العهد لتتغذى على العوالق الدقيقة الواصلة عبر عوامل التيارات البحرية.

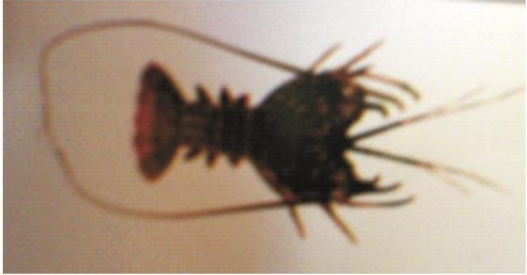
عائلة الشروخ



شروخ ذكر shurukh أنثى الشروخ حامل البيض



سيد شروخ الأعماق الصخرية



شروخ صخري الأعماق

النوع الثاني: سيد الشروخ:

وبداية نشأته في الأعماق وينمو في موقع معين وطوله لا يتجاوز ١٠ - ١٦ سم حتى يصل إلى حجمه الرفيع ٢٥ سم، ويستقر في مختلف الأعماق حتى يبلغ طوله ٥٠ سم، وله زوجان من الأشواك الرئيسية في مقدمة الرأس مع أشواك كبيرة منتشرة بعدها، وذيله عليه حلقات مرصوفة ولونه أحمر، وأحياناً يتشكل على ألوان الموقع نفسه الذي يوجد فيه، ويُعد من أهم أنواع الشروخ تجارياً.

النوع الثالث: شروخ صخري الأعماق:

ويتدرج في النمو حتى يصل طوله لا يتجاوز عن ٥٠ سم، ويتواجد أحياناً في الأعماق المتوسطة من ١٧ - ٣٠ باعاً، ويتميز بقصر أشواكه، وصدره العريض، وله أرجل بدون مخالب، ولونه غامق مائل للسواد، وأحياناً يتكيف مع طبيعة المواقع التي يكون فيها، وله قرنان متفرعان للاستشعار طولها يزيد عن طول حجمه.



سلطان الشرو

شيخ الشروخ

من ميزة القشريات (الشروخ) أنه يسلم جلدته في الثلاثة الأشهر الأولى من الطور اليافع، وهي السنة الأولى من عمره في سن البلوغ الجنسي، ومن بعد ذلك يخلس جلدته ثلاث مرات مدة وجوده حتى نهاية عمره الذي لا يزيد عن ١٥ سنة تقريباً، وبطنه عبارة عن خيط يمتد من عند الرأس حتى قرب الذيل تحت القشرة الظهرية، إضافة لما يحمله من لحم في الجزء الأخير من جسمه، كما يوجد ما يفيد من لحم في جذور الأرجل والرأس والمفاصل العريضة القريبة من الصدر الذي يحمل مادة من العصائر المرجانية وذوقه منعش ولذيذ، ويفضل نضج القشريات بالفحم حتى لا يفقد كل ما تحتويه من فوائد ومرضها أفضل، أو كبسة مطفية بالفلافل، وكل أنواع الشروخ تفقس بيضها بعد مرور أسبوعين من يوم وضعه، والشروخ تسمى في دول الخليج (أم الربيان) (٢).

النوع الأول: الشروخ الساحلي:

وبداية نشأته من بعد الشهرين، طولها لا يزيد عن ٧ سم حتى يصل إلى ٢٠ سم، وله زوجان من الأشواك الرئيسية، في مقدمة الرأس قرنان للاستشعار مع أشواك صغيرة منتشرة بعدها، وذيله عليه حلقات مرصوفة، وتتميز الأنثى بأرجلها الخلفية الصغيرة مع وجود بيضها الملاصق بالقشرة التحتية الخارجية حتى يستكمل لتفرخ بالآلاف، ويتشكل لونها على الموقع نفسه الذي تعيش فيه، وغالباً ما تكون بين شقوق الصخور الشاطئية، وتكبر في الأعماق ليصل طولها من ٢٣ إلى ٥٠ سم.

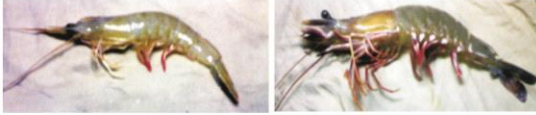


77

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

عند الرأس حتى قرب الذيل تحت القشرة الظهرية، والريان يمر بمرحلة إفراز عصبي من العين في موسم عدم التكاثر، وهو عبارة عن هرمون طبيعي وله تأثير قوي فترة حفظ البيض حتى يستكمل نضجه لتفرخه بعشرات الألواف من الفتحة التناسلية في القدم السادسة، وهي عبارة عن كيس في الجزء العلوي، والذكر بجوارها مهمته ضخ مادة المني اللزج (البروتين) من القدم الثامنة ليلتصق بالبيض ليشكل سلسلة شفافة، وما بين البيضة والأخرى فاصل فراغ يساعد على النضج والتخصيب والتفقيس خلال مدة ٧٢ ساعة تقريباً في أماكن مظلمة وسط غيران (كهوف) أو تحت رفوف صخرية بعيدة عن أشعة الشمس، وتتم عملية وضع البيض والبروتين بقذف الذكر والأنثى تقذف في وقت واحد حتى تعور مما يتسبب إلى استئصال إحدى عينيها (الذكر والأنثى) وتموت، ويفضل طهي القفيع (الريان) كبسة مطوية بعد غليها، وتسمى في عدن زنجاء، وفي جمهورية مصر جمبري، وفي دولة الكويت ربيان.



قفيعة البحر kufeya

قفيعة نازحة من العيق إلى البحر

القفيعة الأولى بحرية: وبداية خلقها لونها أحمر، وطولها يزيد عن ١٨ سم، وتنمو حتى يصل طولها إلى الألف يزيد عن ٣٠ سم، ويتحول لون جسمها إلى أبيض مصبوغ بلون أخضر مائل للبني ومخضب بلون أحمر برتقالي، وأهم ما يميز هذا النوع هو عرض غطاء الصدر بالمقارنة مع طول الصدر، وعينه في الزاوية الخارجية للغطاء، وللذكر شاربان طويلان وأرجل تزيد على الأنثى وتتوافر في حوض ما بين روكب وشحير، ولها أماكن أخرى غرب ميفع، وشرق الشحر، وشرحات ويروب بالمهرة.

القفيعة الثانية، وتسمى جمبري أو ربيان النازحة من العيق وتستقر في البحر طولها لا يزيد عن ١٨ سم، ولون

النوع الرابع: شيخ الشروخ:

طوله لا يتجاوز ٥٠ سم، ولون ظهره أسمر وبين شقوقه لون أخضر، وأرجله الخضراء، وعليها تقطعات بيضاء، وله زوجان من الأشواك الرئيسية، وذيله أملس لونه برتقالي، وأطرافه بيضاء، وأرجله بدون مخالب، ولونها باهت، وعليها بقع غامقة.

النوع الخامس: سلطان الشروخ:

طوله لا يتجاوز ٦٠ سم، ولونه حسب المواقع التي يوجد فيها، وغالبه وردي مائل للاحمرار مع قشرة الرأس والصدر، وبداية الذيل عليها خطوط بيضاء متعرجة.

النوع السادس: شروخ قرمبع:

ويسمى أم الربيان، طوله لا يزيد عن ٢٥ سم من صنف الشروخ، ويسمى في عدن قفيعة، وفي دولة الكويت (أم الربيان)، ولكنه يختلف في حجمه، وتصاميم شكله ما بين أنواع الشروخ، وقليل ما ينطبق مع أوصاف القفيعة، وخاصة من ناحية البطن والظهر والأطراف، أي منتصف جسمه حتى الذيل، وله قرنان قصيران للاستشعار، وتعد كل عائلة الشروخ الغذاء المفضل للطرناك والحدره والبازية والشمدة وثعابين البحر والدولفين.



(قرمبع)

عائلة الربيان (القفيعة)

القفيعة: تعد مصدر غذاء أساسي لكل أنواع الأسماك، وهي سبعة أشكال، وتقات (تتغذى) على جزئيات الأتربة الدقيقة وأهمها مخلفات طفل السيول، والأشجار المرجانية المشعبة وترسبات الأتربة النقية والطحالب (سرجس)، وتخالقها في المياه الأكثر ملوحة (العيق)، وعلى العشبية الضحلة (الخوبة)، والأماكن الصخرية ذات الرفوف والجحور المظلمة، وبطنه عبارة عن خيط يمتد من



يتحول إلى اخضرار بلون بني مائل للغاسي، رأسها بدون منقار، ولها شاربان قصيران، وأطراف قصيرة لونها أصفر مائل للاحمرار يوجد على قشرة الرأس والصدر، وبداية الذيل خطوط بيضاء متعرجة، والأنثى تلصق بيضها في الجزء الأسفل من جسمها القريب من الذيل حتى وقت خصوبته ترميه في حفر قاعية رملية والذكر يرمي ما عنده من مواد يلتصق بالبيض حتى يستكمل يفقس ويرقات قادرة على الحركة داخل الحفر في قاع المياه، وتنمو لتنتقل أفواج سباحة في المياه.



جراد البحر

خال القفيلة

النوع السادس خال القفيلة (جراد البحر): وهي نوعان الأول خال القفيلة طوله لا يزيد عن ٢٠ سم لونه أبيض مصبوغ بلون اخضر مائل للبنّي، ولها مخلبان، وشاربان قصيران، وتتوافر في مختلف الأعماق، وخاصةً بين الصخور لتتقاتل على الأتربة المترسبة في السليل المتشعب بالأشجار والطحالب (سرجس) وسط أعماق البحر، النوع الثاني خال القفيلة طوله لا يزيد عن ٢٠ سم لونه أحمر غامق، ولها مخلبان وشاربان قصيران، وتربى في المناطق الصخرية الشاطئية حتى تنمو تنتقل إلى الأعماق.

النوع السابع جراد البحر: طوله لا يزيد عن ١٥ سم لها لونها أحمر غامق، وجسمها عبارة عن قشور لينة ونحيلة بدون لحم، وخيوط رقيقة، وأهم ما يميز هذا النوع هو طول المخالب، وطول الأطراف الاستشعارية بالمقارنة مع قصر الصدر، ولها شاربان متوسطان وتوجد في الأعماق بين الصخور المرجانية، وباقي مواصفاتها تماثل الربيان الصخري، وتُعد الغذاء المفضل لجميع أنواع الأسماك.

جسمها أخضر فاتح مصبوغ بلون أزرق فاتح، وتعيش في أحواض تجمع الطفل الراقِد في البحر (خوبة البحر) وغالبًا ما تتوافر على مراقد وادي حجر وما بين وادي بويش ووادي حجر، وعلى وادي عمر بمقرة ووادي المسيلة بالمهرة.



قفيلة العيق kufea قفيلة العيق الصخرية

القفيلة الثالثة طولها لا يزيد عن ٢٥ سم، وتربى في العيق بعد تجمع الطفل الراقِد من مخلفات السيول، منقارها طويل ذو وضعية أفقية، وقشورها شفافة ولون لحمها أبيض ولها شاربان طويلان، وأطرافها الخارجية قصيرة، وتتوافر في أحواض نسبة ملوحتها تزيد على مياه البحر، وغالبًا ما تكون على مصب السيول مرقد مادة الطفل.

النوع الرابع قفيلة (جمبري) أو ربيان طولها لا يزيد عن ١٨ سم، وتوجد بين الأشجار والصخور وسط العيق (الخور)، وهذه النوعية قليلة الظهور لكونها تفضل العمق البارد بين المياه، ثم تنتقل في موسم السيول إلى البحر، منقارها قصير ذو وضعية أفقية بني مائل للحمرة وله خطوط كريمية اللون، وزوائد خارجية في الأطراف، وشاربان متوسطان.



أنثى قفيلة الأعماق ذكر قفيلة الأعماق

النوع الخامس قفيلة الأعماق: طولها لا يزيد عن ١٥ سم، وتسمى في عدن، وجمهورية مصر (جمبري)، تربى وتعيش في حفر رملية على حمية الصخور، وتظهر سباحة في مختلف أعماق البحر، وأحيانًا في أحواض الموانئ تنجذب بالضوء، والذكر يتميز بألوانه المتعددة الزاهية فترة التزاوج ويزيد في أطرافه الأكثر طولاً من الأنثى التي جسمها أبيض، ثم



79

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

النوع الأول حلقيم صخري بحري طوله لا يزيد عن ٣٠ سم، ولونه بني ضارب للسمر، وأرجله عليها خطوط رمادية وصفراء، وظهره صلب، النوع الثاني حلقيم بحري ضحل، طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، ولونه أسمر وعليه بقع زرقاء، وأرجله زرقاء وعليها خطوط صفراء، وظهره صلب.



حلقيم صخري ساحلي حلقيم صخري (قشار) ساحلي

الحلقيم الساحلي أنواع عدة:

النوع الأول حلقيم قشار ساحلي: طوله لا يزيد عن ٨ سم، لونه أحمر ضارب للسواد وإلى الأسمر، وظهره لين مسطح متعرج وعليه زوائد على جانبي غطاء الصدر والبطن، وأرجل ومخالب لينة، وهذا النوع يعد من أفضل الطعم في صيادة الأسماك القاعية، وخاصة الرابعة والبعور والمري، ويعيش على أطراف السواحل الصخرية يتميز بالاختفاء من خصمه بين الشقوق الصخرية.

النوع الثاني حلقيم قشار ساحلي: طوله لا يزيد عن ١٠ سم، لونه أسمر ضارب للسواد، وظهره مسطح متعرج وصلب، وعليه زوائد شوكية على جانبي غطاء الصدر والبطن، ويعيش على أطراف السواحل الصخرية، وتتميز بالاختفاء السريع من خصمها بين الشقوق الصخرية، وكل منه له ثماني أرجل.



حلقيم صخري حلقيم العيق الطيني

النوع الثالث أبو مقص صخري شاطئ: طوله لا يزيد عن ٥ سم حتى ينمو ينتقل إلى الأعماق، يصل طوله إلى ١٢ سم لونه أحمر، وأطرافه غبراء ضاربة للسواد والسمر، وظهره مسطح متعرج وصلب، وعليه زوائد شوكية على جانبي غطاء الصدر والبطن، وله نابان عريضان، ويوجد بين الصخور الضحلة وعندما يكبر ينتقل إلى الأعماق.

عائلة الحلقيم الرملية والصخري (شنقاب) والسرطانات



حلقيم أنثى

حلقيم ذكر

تتميز أنثى الشنقاب والسرطان من خلال وضع بيضها على قشرة صدرها محميًا بغطاء ملاصق بالصدر حتى يستكمل نضجه يتفكك، ويلتصق بالصخور، أو الأشجار المجاورة، ويفقس بيرقات، وتكبر حتى تصل إلى كائن متكامل، وكل أنواع الحلقيم تسمى أبو مقص، وهي أنواع عدة، وتعد من الأحياء السرطانية السباحة، والرابضة كما تسمى (شنقاب)، ولها ثماني أرجل، وتعيش في الأماكن الصخرية الضحلة، وخصوصاً التي يدخل في تركيب رواسيها القاعية الوحل والطيني، وهي مواقع متعددة، وخاصة في البحر والعيق، وتضع بيضها في الأماكن الصخرية الضحلة، وكل أنواع الحلقيم (أبو مقص)، تسمى في دول الخليج (قبقب شتيوب)، وتسمى (السرطعون)، وتسمى في دول أخرى (الكلب)، وفي مصر بـ (الكابوريا).



أنثى حلقيم صخري رملي بحري (أبو مقص)



ذكر حلقيم بحري ضحل (أبو مقص)



80

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

ممارسة حياته الطبيعية، وتوجد هذه الأنواع بين كاسر الأمواج والمغن الساحلية.

باحيشي (سرطان) ويتميز بالاختباء من خصمه وسط حفر الكثيب التي بناها، أو باللجوء إلى أطراف البحر من أي عدو يقترب منه، وفي هذه الحالة يكون فريسة لحوت القرقور المتوافر في السواحل على أطراف كاسر الموج، ظهره مسطح متعرج وهش، ويعيش الباحيشي على أطراف الرمال القريبة مباشرة من السواحل البحرية، ومن ميزة هذه الكائنات أنها تستطيع التحرك في ثلاثة اتجاهات إذا شعرت بالخطر، ويُعد من أنواع السرطانات، وله أرجل متعددة، وعينان بارزتان لها طرفان للاستشعار، وكما تتميز الأنثى بوجود بيضها على قشرة صدرها محمياً بغطاء ملاصق بالصدر حتى يستكمل نضجه فتضعه على أطراف السواحل الرملية في مخابئ (حفر) رملية، ويفقس إلى كائن متكامل قادر على ممارسة حياته الطبيعية للفترة من شهرين إلى ثلاثة أشهر، وكل أنواع الباحيشي تغذى على مخلفات الأسماك ومحصول العنبر ما يجعلها تحتوي على مواد مفيدة في علاج الربو والسعال، ولحمها ومرقها يعطيك حمية.



قمل البحر

قمل البحر الصخري: طوله لا يزيد عن ٥ سم، لونه أسمر ضارب للسواد، وجسمه عليه شوك، وقشور قوية متعرجة، وله ثمان أرجل محمية بمخالب وأشواك، ونابان حادان، ويتميز القمل بسرعة الاختفاء في الأماكن الصخرية الشاطئية الضحلة المشبعة بالطحالب، وقد عثرت على هذا النوع من القمل ما بين الصخور الشاطئية الضحلة، ويرافقني مشاهدة هذا الكائن الأستاذ علي سالم بن الشيخ أبوبكر في بحر مدينة الحامي الواقعة شرق مدينة الشحر بمسافة تقدر بـ (٥ أميال بحرية تقريباً).

النوع الرابع حلقم العيق الطيني: طوله لا يزيد عن ٣٠ سم من القشريات السرطانية السباحة، لونه أسمر فاتح ضارب للبصلي، وظهره مسطح متعرج وصلب، وعليه زوائد شوكية على جانبي غطاء الصدر والبطن، وله نابان عريضان، وأطراف أرجله صفراء، ويتواجد في وسط التربة الطينية المخلوطة بالرمال.



حلقم (أبو مقص) الأعماق

النوع الخامس حلقم الأعماق المتوسطة، وهو نوعان الأول: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، والنوع الآخر: طوله لا يزيد عن ٢٠ سم لونها أحمر ضارب للسمرة، وظهره مسطح متعرج وصلب ضارب للسواد، والذكر عليه زوائد شوكية على جانبي غطاء الصدر والبطن، ويوجد بين شقوق الصخور، وينتقل إلى المواقع الرملية المجاورة وتعد من الأحياء التي تسبب أكثر ضرراً على وسائل الاصطياد لأنها تأكل الأسماك الحانبة في شباكها.



باحيشي (سرطان) ساحلي

حلقم ساحلي رملي

النوع الثاني حلقم ساحلي رملي: طوله لا يزيد عن ٨ سم من أنواع القشريات السرطانية يتميز بالاختفاء من خلال تداخل أرجله، كما يختفي من خصمه وسط الكثيب المشابه له، وظهره مسطح متعرج وصلب، وعليه شوكة في الجانب الأيمن وأخرى في الأيسر، وتتميز الأنثى من خلال وضع بيضها على القشرة الخارجية الملاصقة بالصدر حتى يستكمل نضجه تضعه في مخابئ آمنة (مغن) محمياً بمادة لزجة يفرزها ذكر الحلقم ويلتصق بحبات من الرمل حتى يفقس إلى يرقات صغيرة، ثم إلى كائن متكامل قادر على



81

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

م 2020

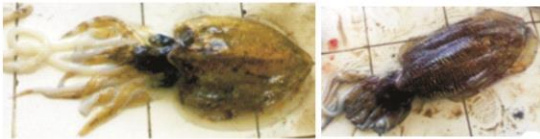
عائلة العزيز والترباخة والصال والترج



عزيز Azyz حبار

العزيز الفاخر نوعان:

النوع الأول: طوله لا يتجاوز ٥٠ سم، جسمه مستطيل من أعلاه، محمي بعظم جيري (قرحاف) قوي غني بالكالسيوم، وله زعانف على طول جسمه متوسطة الطول، ولها عشرة أذرع عليها ممصات بارزة، ومن بين أحشائه كيس يحتوي على مادة سائلة لونها أسود غامق ويسمى (مداداً)، ومهمته عندما يتعرض لحالة خطر سرعان ما تنفث هذه المادة ويختفي ليضمن سلامته، وله ذكر وأنثى، وغالباً ما يكون لون الجسم العلوي للأنثى أسمرًا داكنًا، وجسم الذكر عليه خطوط عرضية رمادية فاتحة شبيهة بالنمر، والبطن بيضاء وعليها نقط منتشرة صغيرة، ويفضل اصطيد الحبار خلال مدة ستة أشهر، ويحضر اصطيداً خلال الستة أشهر الأخرى من كل عام.



حبار ذكر Azyz حبار أنثى

النوع الثاني: طوله لا يتجاوز ٤٠ سم، جسمه أسمر داكن وعريض وزعانفه أقصر، ودائماً تكون الأنثى أقصر من الذكر، ولها أذرع عليها ممصات وعظم جيري (قرحاف) غني بالكالسيوم، ومن بين أحشائه كيس يحتوي على مادة سائلة لونها أسود غامق ويسمى (مداداً)، ومهمته عندما يتعرض لحالة خطر سرعان ما تنفث هذه المادة ويختفي ليضمن سلامته، وله ذكر وأنثى، ويسمى في عدن (بنجيز)، وفي دول الخليج (خناق).

الفصيلة الثانية: عائلة الرخويات

الرخويات:

تأتي أنواع الرخويات على رتب متعددة كما إنها تُعد من المجموعات الاقتصادية المهمة المطلوبة في الأسواق العالمية نظراً للقيمة الغذائية التي تتوافر فيها، وهناك أربع عائلات من الرخويات:

العائلة الأولى: الحبار (عزيز)، المميز بعظم أبيض جيري قوي (قرحاف)، وجسمه عريض على شكل كيس، والعزيز نوعان: صنف منه مميز بأطرافه وزعانفه وألوانه المختلفة بعضها عن البعض وآخر أسمر قاتم، ويسمى علمياً (حبار)، وفي دول أخرى بأسماء متعددة سنبيط.

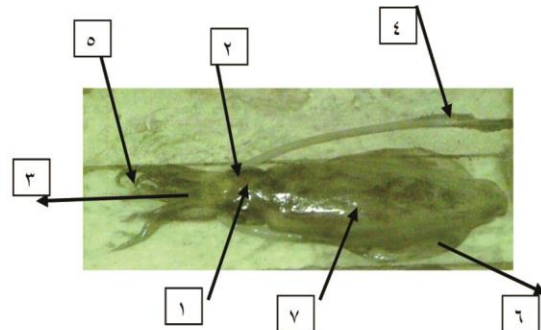
العائلة الثانية: ترباخة (صاله) وهي نوعان، ولها عظم غضروفي لين شفاف، وجسمها أسطواني، ولها زعنفتان صغيرتان مرتبطتان بنواحي الجسم، وأخرى مرتبطة بمؤخرة الجسم، ولونها قاتم.

العائلة الثالثة: التريج (الأخطبوط)، وهي نوعان وتتميز بأذرعها المصاصة الطويلة، وكيسها دائري وليس لها عظم (قرحاف).

العائلة الرابعة: خيار البحر، والدود هذان النوعان ليس لهما زعانف ولا خيشوم، وعيناهما صغيرتان، وأخرى تراهما بالمنظار.

وجميع عوائل هذه الكائنات يموت ذكرها وأنثاها بعد وضع بيضها مباشرة.

مكونات الحبار (العزيز): ١- الرأس ٢- العينان ٣- الفم ٤- الممصات اللاقطة ٥- المجسمات الماصة ٦- الأذرع (الجناحين) ٧- العظم الجيري.



العائلة الثانية: الترباخة والصال



ترباخة *Azyz trabikha*

الترباخة نوعان: الأول ترباخة طولها لا يزيد عن ٤٠ سم، جسمه مستدير وطويل ولونه شفاف، وعليه طهوه بنية، وله زوجان من العظام اللينة الشفافة، ولها عشرة أذرع؛ اثنان طويلان وكلها عليها ماصات، وجناحين تأتي إلى مؤخرة الجسم، وتوجد أحياناً مع الأسماك السطحية وبخاصة مع الساردين والجذب في مختلف الأعماق، وهي النوع الرفيع، وتُعد أفضل وجبة للدولفين (حمار البحر).



ترباخة



ترباخة حمراء من الأعلى الذكر ومن الأسفل الأنثى

النوع الثاني: ترباخة حمراء طولها لا يزيد عن ٣٠ سم، جسمه عريض ولكنه مستدير، وينتشر عليه لون أسمر مع كثير من النقط الداكنة الصغيرة، ولها زوجان من العظام اللينة الشفافة، ولها عشرة أذرع؛ اثنان طويلان عليها ماصات، وجناحان تأتيان في مؤخرة الجسم، وتوجد أحياناً مع الأسماك السطحية وبخاصة مع الساردين والجذب في مختلف الأعماق، وتُعد أفضل وجبة للدولفين.



حبار (صال) الغبة

الصال نوعان: الأول أم العيون الزرقاء؛ طولها لا يزيد عن ٧٠ سم، وخاصة الذكر المميز بطول الزعانف الممتدة على طول الجسم الداكن، وينتشر عليه خطوط ونقط غامقة يستخدمها فترة المغازلة، وله عظم لين شفاف، وعيناه زرقاوان وكبيرتان، ولها عشرة أذرع؛ اثنان طويلان عليها ماصات، والأنثى لونها أسمر غامق مع انتشار نقط وخطوط على الزعنفتين الجانبيتين من الجسم، وتوجد في الأعماق، وتُعد أفضل وجبة للدولفين.



حبار (صال) الشواطئ

النوع الثاني: طولها لا يزيد عن ٩٠ سم، وخاصة الذكر المميز بطول الزعانف الممتدة على طول الجسم الشفاف وعليه نقط، وله عظم لين شفاف، ويتشكل بألوان عدة في مدة المغازلة من منتصف فصل الربيع حتى منتصف الصيف، لونها أحمر ضارب للأسمر الغامق مع انتشار نقط وخطوط على الزعنفتين الجانبيتين من الجسم، وعيناه بيضاوان كبيرتان، وأطراف أقل من الذكر، ولها عشرة أذرع؛ اثنان طويلان وكلها عليها ماصات، وتُعد أفضل وجبة للدولفين وسمك الثمد، وتسمى في عدن (صوامع).

العائلة الثالثة: تربح/ الأخطبوط



تربح أنثى *tarbh*



تربح ذكر



83

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م

في الأعماق عملاق طوله يتجاوز ١٥ مترًا ويقتات عليها حوت العنبر.

العائلة الرابعة: خيار البحر



ذكر البحر

ذكر البحر الأسود

الخيار أربعة أنواع: النوع الأول: ذكر البحر (العنبر الأسود): طوله لا يزيد عن ٥٠ سم، ويعيش بين الصخور والقيعان الرملية الساحلية الصخرية، وجسمه أسود مستدير لين (رخوي) ولزج، ولونه أسود قاتم، وقيمته الغذائية قليلة.

النوع الثاني: لونه مائل للغة ويسمى (ذكر البحر): طوله لا يزيد عن ٣٠ سم لونه أسمر قاتم، وبطنه سمراء، وله فتحتان.

وهذان النوعان يعدان قليلي الجودة، ويوجدان في مواقع عدة مختلفة صخرية ضحلة قريبة من السواحل الرملية، ويتوافران وبكميات كبيرة في غالب مناطق شواطئ حضر موت خاصة في بحر بروم، وفوة، وخلف المكلا، والحامي، والقرن، وقصير، وأرخيل سقطري.



ذكر البحر Khaiair ذكر البحر الحلمي المرجاني

النوع الثالث: ذكر البحر: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، ولونه مائل للغة، وتوجد علامات صفراء على الجانب العلوي، أما الجانب السفلي مختلط ببقع سوداء.

النوع الرابع: ذكر البحر ويسمى (الحلمي المرجاني): ويتوافر في المواقع الصخرية الضحلة، ويتميز بنقط ظهرية سوداء، طوله لا يزيد عن ٦٠ سم، لونه أبيض، والآخر أغبر، ويتوافر في القيعان الرملية الضحلة عمق ١-١٢ باعًا، وبكميات كبيرة في اتجاه مناطق بروم، وحلة،

الترنج ويسمى (أم الصباع) وتسمى في عدن (أخطبوط)، يبلغ طوله حوالي ٧٠ سم، وأكبر أنواعه يسمى (حداد) يصل طوله ٢٥٠ سم أو أكثر، جسمه أملس ولونه يتغير مع طبيعة الصخور التي يوجد فيها، كما يختلف عن الرخويات الأخرى لكونه عديم الصدف التي تحميه من الأخطار، وله ثمانية أذرع عليها ماصات تختلف أحجام بعضها عن بعض، وكل منها له صفاته مما يجعله سريع الحركة، لعبه يخدر به فريسته قبل التقاطها بأذرع وتزيقها بفكيه، ومن صفاته أنه يتحكم في تغيير شكله، وبنسبته، ولونه أيضًا، وقيمته الغذائية تتركز في أذرع وممصاته (الكلايب)، ولا يقدر أي نوع من الأسماك على مقارعة، وبإمكانه أن يضغط جسمه ليدخل في أصغر جحر يجده أمامه، وله ثلاثة قلوب، وكثير من المزايا المحيرة، ويوجد بين الصخور الساحلية، والأعماق المتوسطة، وقد يصل طول أذرع في المزارع البحرية أمتارًا عدة تقريبًا، ويتميز ذكر الترنج عن الأنثى بقصر الذراع الثامن عنده وحجمه عريض، ويموت الذكر بعد التزاوج والتلقيح ووضع السائل المنوي، وأنثى الأخطبوط تكون أكثر حرصًا على صغارها بعد وضع بيضها، الذي يقدر من ٥٠ ألف بيضة إلى ١٠٠ ألف بيضة تظل في حراسته لمدة ستة أشهر ومن بعدها تموت (٣).

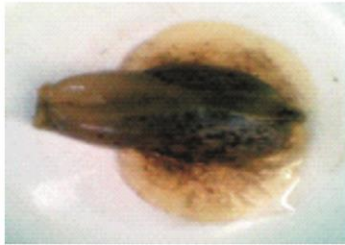
ملحوظة:

أفضل طريقة لاصطياد الحبار بوساطة قفص القرش مصنوع من عود الخمر والجعبور، وأما أقفاص السخاوي (القراقير) فهي مضرّة لكونها تبعث بصوت فترة شدة التيار البحري وقاتلة للأسماك، ولكن إذا تطلب الأمر استخدام وسيلة السخاوي عليك بوضع شجرة الببانة أو شجرة العلق في داخل السخوة حتى تضمن سلامة بيض الحبار الملائق بالشجرة، وفي السنوات الأخيرة تمكن بعض الصيادين من اصطياد حبار الأعماق العملاق عبر الشباك العائمة مدة التصببية ليلاً. يصل طوله أكثر من ٧ أمتار من آخر جسمه حتى نهاية أذرع، ويقال هناك حبار



طريقة التلقيح عند أبو خرقيين

أبو خرقيين مدة المغازلة



هذا كائن رخوي في طريقه للبحث عن معلومات وافية وكافية عنه

الدود البحري



دودة

دودة

حواتة

الدود ثلاثة أنواع: وغالبه ذو اللون الأحمر والأسود والأصفر الضارب للسود، ويوجد غالبه في المناطق الرملية والدحس الساحلي، وله جهاز عصبي لا يتجمع في الرأس لكونه في كل قطعة من جسمها جهاز عصبي كامل قادر على الحياة كونه منتشرًا في كل حلقة على شكل مفاصل متداخلة بعضها في بعض مما يسهل حركتها، أو عقدة عصبية، ويمثل دماغًا خاصًا بالحلقة، وأحيانًا إذا فصل جزء من دودة أو قطعتا قطعتين فإن كل جزء أو قطعة تبقى حية ولا تموت، وتستطيع مثل هذه الحلقة أن تكمل جسمها الناقص، وأن تصنع لنفسها رأسًا جديدًا بعكس الدود الحرش أبو الأطراف الاستشعارية، وتمثل الديدان نسبة كبيرة كغذاء للأسماك والقشريات البحرية، وتتميز الديدان بطول جسمها المطاطي وليس لها عمود فقري، وهي ثلاثة أنواع منها التي تتغذى على الأجزاء النباتية الدقيقة الأصغر منها، والنوع الثاني الديدان اللاحمة وتتغذى على سوائل القشريات والرخويات والأسماك، والنوع الثالث الديدان العائمة وتتغذى على فتات الأعشاب البحرية، وجميعها يتوافر في الأماكن الشاطئية

والحامي، ومحية شرمه، والقرن، وأرخبيل سقطرى حتى المهرة شرقًا، وهذان النوعان يعدان من أعلى أنواع الخيار.



أبو خرقيين

سويلج

لب باصباع صخري

النوع الأول: لب باصباع: طوله لا يزيد عن ٣٠ سم، لونه ذهبي، وله فتحة من الأمام وأخرى من الخلف، وله قرنان، وأصابع وأقدام أنبوبية، ويوجد في أعماق الخيص على تجمعات الرمل المتوفرة حول الصخور المتوسطة، والمتوفرة بالأشجار المرجانية الميتة المتداخلة بقشار باصباع وبالرمل والوحل والطحالب الكلسية ما بين ١ - ٢٥ باعًا (ما يعادل عمق ٣ - ٣٠ مترًا تقريبًا).

النوع الثاني: سويلج ويسمى علميًا كيتون (chiton): ويتدرج في النمو الأول طوله لا يزيد عن ١٠ سم، يتوفر على أطراف كاسر موج البحر الملاصق بالصخور البحرية (القشار).

النوع الثالث: أبو خرقيين لون ظهره بني، وعليه خرقان (فتحتان)، وحبيبات من ترسبات الرمل تغطي جسمه العلوي، وبطنه حمراء ضاربة للبرتقالي، وله قرنان، وعينان زرقاوان صغيران، ويوجد بين الأحجار الشاطئية، وطوله ما لا يزيد عن ٢٥ سم. مدة حالة المغازلة اكتشفت طريقة حالة التلقيح عند أبو خرقيين من خلال متابعتي لهذا الكائن عند تواجدي أنا والأستاذ عبدالرحيم محمد باخميس داخل حوض مارينة فندق رمادا ما بين خلف المكلا وروكب، واستغرقت مدة متابعتي لهذا الكائن أكثر من ساعتين وأنا في انتظار ومراقبة الوقت الذي استقرت المياه في مرقد الحفر (المغن الصخرية) والبحر في أفضل حالاته ما بين حالة الجزر والشوار التام كان ذلك في منتصف أيام نجم الزبان من فصل الصيف سنة ٢٠١٥ م.



85

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

وبعض المناطق الساحلية بالمهرة وبخاصة جدوة ويروب حتى الفيدمي، ولحمها وبيضها يؤكل، ويفيد كعلاج لأمراض الصدر، ومرارتها كعلاج لمرضى الصرع.

أما النوع الثاني: سلحفاء قارط: وتسمى في عدن (السلحفاة الرمانية)، طولها لا يزيد عن ١٨٠ سم، وتعد من أكبر أنواع السلاحف، وظهرها مقسم على شكل مربعات، وتضع بيضها في حفر على الشواطئ الساحلية، وتتكاثر في أرخبيل سقطرى.

النوع الثالث: السلحفاة الهيرابية: وتسمى في عدن وسقطرى (النملة)، طولها لا يزيد عن ١٢٠ سم، ويصعب الحصول عليها، وتضع بيضها في حفر على سواحل الرمال القريبة من أحواض الثغور العشبية والأشجار الكثيفة.

النوع الرابع: سلحفاة منقارية: وتسمى في عدن (سلاحف شعب نار)، وفي سقطرى والمهرة تسمى (عبد رهن)، طولها لا يزيد عن ١٠٠ سم، ويندر وجودها إلا في الجزر، وتتوافر بكميات كبيرة في أرخبيل سقطرى، وتضع بيضها في حفر قريبة من المياه الحلوة، ويوجد فيها عرق سام مرتبط بالرأس، وقد يؤدي تناوله إلى التسمم، وهيكلها دائماً ما يعرض في المتاحف، وكل أنواع السلاحف تقتات على العشب والأشجار المرجانية.

الفصيلة الثانية من الرخويات

القواقع والأصداف والخرف والمحار والنبات البحري تعد صدفة السويلح (الكيتون) والصفيلح من الرخويات لتضم حيوانات بحرية كثيرة ذات أشكال بيضاوية، وتتكون صدفة الحيوان من ثنائي صفائح ظهرية، تنتظم الواحدة منها خلف الأخرى، ولهذا تسمح للحيوان بتغيير شكله، وهذا يتكرر عند بقية أناث الأصداف، ويعد ذلك إلى كون صفائح الأصداف متماسكة في جسم واحد، وأخرى ملاصقة بغشاء قوي غير منفصلة من بعضها لتحميها من الافتراس والأمواج التي تصطدم بها.

بين الأحجار والدحس الرملي الراخي، وأحياناً في المناطق الساحلية موسم تكاثر الأسماك.

النوع الأول: دود أسود ويسمى (حواتة): جسمه أملس، ولونه أسود، طول له لا يزيد عن ١٥ سم.

النوع الثاني: دود أسمر رملي: يتوافر بين الصخور جسمه أملس، ولونه أسمر، طول له لا يزيد عن ١٠ سم، وعليه خطوط غبراء عرضية في كل جسمه، وأحياناً طول له لا يزيد عن ٢٥ سم.

النوع الثالث: دود أحمر رملي ساحلي: جسمه أملس، ولونه أحمر، وطوله لا يزيد عن ٥٠ سم.

النوع الرابع: وهو ثلاثة أشكال، الأول: طول له لا يزيد عن ٢ سم، ويُعد أصغر أنواع الدود الحشري، ويوجد على الصخور المغلفة الضحلة المتداخلة بين الشقوق الصخرية الساحلية. الشكل الثاني: متوسط الحجم، وطوله لا يزيد عن ٢٥ سم، يوجد بين مياه الأشجار المرجانية الميتة المتداخلة بقشار باصابع، وبالرمل، والوحل، والطحالب، والشكل الثالث: عريض الحجم، وطوله لا يزيد عن ١٠ سم، وهذان الشكلان أجسامهما حرشة ومفصلة، ولهما أطراف للاستشعار كثيرة شبيهة بأبام الأربعة والأربعين.

الفصيلة الثالثة: الرخايف البحرية

عائلة السلاحف

السلاحف أربعة أنواع: النوع الأول والثاني: يتميز بقشور الذراع وقشور فوق العين وقشور الجوانب، أما النوع الثالث بدون قشور، وأما النوع الرابع بالمنقار، وكلها من الرخايف البحرية، وتضع بيضها بأكثر من ١٢٠ بيضة، طول الواحدة لا يزيد عن ٥ سم تقريباً، ولحمها وبيضها يؤكل.

النوع الأول: واسمها الشعبي (حمسة): وتسمى في عدن بـ(علة السلحفاة الخضراء)، طولها ١٢٠ سم، وتتوافر وبكميات كبيرة في محمية شرمة، وقليل منها في يثمون، وأحياناً في محمية بروم، وكانت تتوافر ما بين ساحل روكب حتى شحير، وفي ذمبات ما بعد رأس باغشوة،

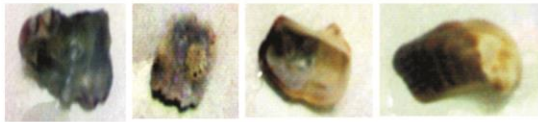


كركر ساحلي

الأصداف



صدف الأعماق الصخري



صدف صخرية



بقار (محار) صخري رملي



بقار (محار) صخري رملي



بقار (محار) رملي ساحلي



بقار رملي

بقار صخري ساحلي



حديبة صخرية

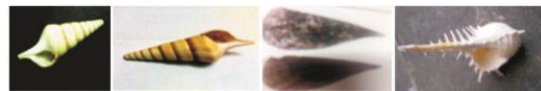
رضاض صخري

نجوم البحر

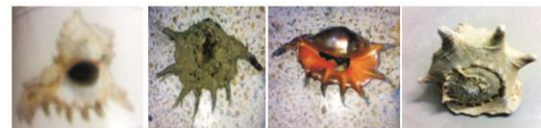
عبارة عن كائنات حية مختلفة الأشكال، فمنها القرصية والنجمية والسطحسية والكروية، وتوجد في الأماكن الشاطئية الرملية الضحلة، وأخرى في المناطق الساحلية الرملية، وغالبها في مختلف الأعماق على الرمل الطيني،



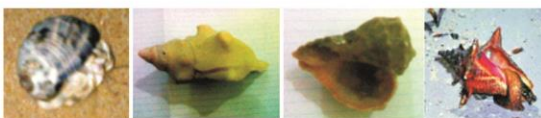
مع وجبة المحار (البقار) سنة ٢٠٠٨م من اليمين أ. خالد محمد باخميس وفي الوسط أ. عمر خميس بامتيرف وأ. عبد الرحيم محمد باخميس، ومن اليسار الصياد حسين سالم باخميس (رحمه الله)



قواقع ظفرية أبو شوكة (الرمحي)



قواقع ذو الأصابع القواقع الظفري المجنح قواقع العمامة



نيشي ساحلي



نيشي الأعماق



حيم ساحلي



87

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

الرمل، ٤ و ٥ النجمة السطحية الأولى عبارة عن قرص مشقوق أبو فتحة واحدة، النجمة الثالثة عبارة عن قرص مسطح مكتمل وله فتحتان، وجميعها لها مصاصات تتغذى من خلالها على الأحياء الصغيرة والهوائم الدقيقة، وعندما تشعر بالخطر تختبئ وسط الرمل، أما النجمة الكروية فلم تتمكن من العثور عليها، وعندما انعدمت هذه الأحياء هاجرت كثير من الأسماك التي تتغذى عليها، وتعد وجبة رئيسة عند حوت الحيم والقرقور والقطقططة وسمكة الغودة والدكية والصليل والمري وغيرها.



زعار أسود zair

قنفذ البحر

زعار أبيض

الزعار ثلاثة أنواع: أبيض وأسود وأحمر، ويُعد من الأحياء البحرية الموجودة في الأماكن الصخرية الساحلية، جسمه دائري، ولونه يتكيف مع طبيعة المواقع التي يوجد فيها، الأبيض والأحمر جسمه مغطى بقليل من الشوك الصغير وهو بدون أطراف، وعيناه صغيرتان تقعان في الجزء العلوي من جسمه، ويوجد بكميات قليلة، الزعار الأسود جسمه مغطى بشوك حاد شبيه بحيوان بري يسمى (قنفذ)، وهو بدون أطراف، وعيناه صغيرتان تقعان في الجزء العلوي من الجسم، وله فم صغير وسط دائرة رخوية، ويقع في منتصف الجزء الأسفل من الجسم، ويقع على الدود والطحالب ومخلفات الأعشاب الدقيقة.

الفصيلة الرابعة: قناديل البحر

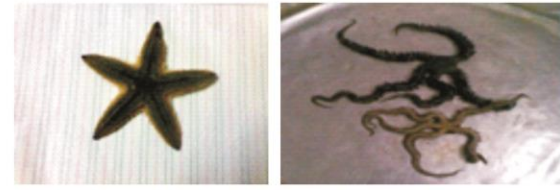
قناديل البحر اسم علمي واسمها الشعبي المتداول على مستوى ساحل حضرموت (سليط أو عملي)، وهي عبارة عن كائنات مائية حية شفافة متعدد الأشكال والأنواع توجد في أماكن مختلفة، وغالبها في مختلف الأعماق، وهي الأنواع المستوطنة في غرب المحيط الهندي، وفي مياه بحر العرب وبخاصة بحر عُمان، وتُعد من الأحياء المجردة من

ومفترسة لصغار المحار عن طريق أذرعها لتلتصق فريستها بالأقدام الأنبوبية التي تستخدمها في الحركة عن بعضها ثم تفتح نتيجة تراخي عضلات المحارة.



نجم ساحلي أسود ٢

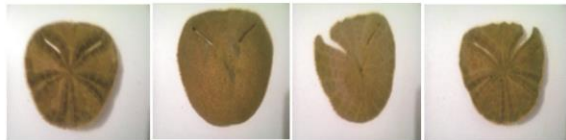
نجم ساحلي أحمر ١



٣ نجمة ساحلية رملية

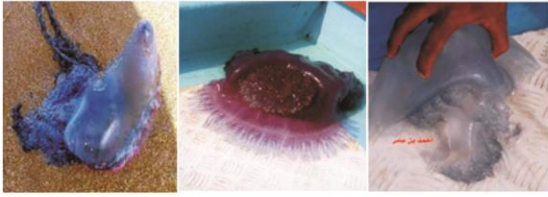
نجمتان يتجاوزان

وعندئذ تبرز المعدة خارج الفم لتحيط بالفريسة، ثم تعود المعدة إلى الجسم بواسطة انقباض عضلاتها لفرائسها، وتُعد من الأحياء التي بدون زعانف مما يجعلها بطيئة الحركة، النوعان قرصية ١ ذو اللون الأحمر، ٢ لونه أسود، ولكل منهما خمسة أذرع قابلة للانشاء سريعة الالتواء حول قرص وسطي بحيث لا يمكن تمييزها، وفي الجهة السفلية للأذرع تحتوي على أنابيب دقيقة تستخدم للحركة والالتصاق على هيئة صفيين في كل ذراع وهي الأقدام التي تستعملها عند الحركة، ولكل قدم أنبوب ينتهي في طرفه بمصاصة يمكن دفعها إلى الخارج للثبث بها، وهي قادرة على الاختفاء، وعندما تشعر بالخطر تفصل بعض أذرعها ثم تنمو من جديد، وتتغذى على الأحياء الصغيرة مثل الدود، والهوائم الدقيقة الرخوة مثل مخلفات الشعاب المرجانية والأصداف والمحار.



٤ نجمة ساحلية مجاورة لصخور ٥ نجمة ساحلية رملية

٣ نجمة خماسية الشكل ومن الجوانب والشق الأسفل كثير من المصاصات والأقدام التي تساعد على الاختباء وسط



قناديل البحر وأخطرها النوعان الزرقاوان

تعد القناديل من الأحياء البحرية البيوض، وتقدر عدد أنواع قناديل البحر أكثر من سبعة أنواع شهدها ساحل حضرموت والمهرة وشبوة، ومن صفاتها عندما تتكاثر في موقع معين تتوافر فيه الأسماك القاعية تسبب لها حالة الاختناق (الموت)، لتتغذى على الأحياء الصغيرة مثل الدود، والهوائم الدقيقة الرخوة، وقناديل البحر مفترسة عن طريق أذرعها لتلتصق فريستها بالأذرع التي تستخدمها في الحركة، وأخطرها السليط الصغير أزرق اللون الدائري المسطح ذو الأطراف الطويلة.

الفصيلة الخامسة:

الطحالب والشعاب والأشجار المرجانية



قطمر - قطمير

النوع الأول: الأشجار والأعشاب المرجانية: قطمر، لويسك، سمطيط.

النوع الثاني: الغلّف، والطحالب (الغلّف عبارة عن مكونات نباتية دقيقة تلتصق بالصخور الجانية)، و(الطحالب عبارة عن ترسبات تجمعت لمخلفات نباتية دقيقة تلتصق بقاع الصخور، ودائماً ما تحتمي بها كثير من الأحياء، وبخاصة الدود وأنواع الحلقم (السرطانات) بداية الخلق).



موقع زراعي على الصخور الشاطئية

زعانف مما يجعلها تعوم بطيئة الحركة، ولها أذرع إضافية وكثيرة اللوامس والمجسمات الحسية تتحرك حركة حرة باستخدام جسمها ولوامسها بمساعدة التيارات المائية، وهي قابلة للالتواء تستعملها عند الحركة أو الدفاع عن نفسها يمكن دفعها تجاه جسم الآخرين بمادة سامة لاسعة، ومؤذية يظهر تأثيرها بعد ٢٠ دقيقة، تسبب الرشح، والغثيان، والتقيؤ.



قنديل البحر على شاطئ شوران بمنطقة بئر علي

يقول الربان محمد عمر بن قرمان بأنه في ستينيات القرن الماضي الميلادي كانت قناديل البحر تنفق على فدغة (ساحل) روكب وبأحجام مختلفة، وبخاصة في فصل الخريف وفصل الشتاء وبكميات كبيرة، ومنها نوع حجمه كبير يصل وزنه أكثر من ٢٥ كيلو، وهذا ما أكده الربان حسن محمد باحميسون بأن يوم الأربعاء تاريخ ٨ يناير ٢٠٢٠م تحصلنا على هذا القنديل (السليط) ولأول مرة نشاهده بهذا الشكل، وعندما أمسكنا به عبر وسيلة المصعد وضعناه في وسط صندوق (ديش) سعودي وسعته ٥٠ كيلو مما جعلني أقدر وزن القنديل أكثر من ٢٥ كيلو تقريباً، ويخرج من داخله أنواع صغيرة من القناديل، وهذا النوع وجدناه في شوران بئر علي ساحل شبوة، والذي يعد جزءاً من بحر العرب، وقد أشارت الكثير من الدراسات إلى ظهور هذه الكائنات لثلاثة أسباب رئيسة، وهي:

- التغير المناخي والتلوث البيئي لها والإفراط في التغذية من قبل الأسماك التي تهاجمها واستهداف مواقعها من قبل بواخر الجرف العملاقة الخاطئة.

- يلعب التغير المناخي في غالب حالاته في توفير العوامل البيئية المحفزة لازدهارها وتكاثرها.

- ارتفاع نسبة درجة حرارة المياه مع تغير مستوى الملوحة وأثره على المياه.



89

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

وتعد الطحالب والأعشاب والأشجار المرجانية مصدر غذاء مباشر لكل أنواع الأسماك العظمية والأحياء البحرية، وبخاصة صيد الزرية (صافية)، والثان بأنواعه، والدقان بأنواعه، والبشت بأنواعه (عراوس)، ومن القشريات الشروخ، والقفيعة (الربيان)، والسرطانات، والزعار (القنافذ)، ومن الرخويات الزر بأنواعه (خيار البحر)، والأصداف والمحار وللزواحف السلاحف بأنواعها.

القطمر (القرمط): وأنواعه متعددة، وبمختلف الأشكال والألوان، وبداية تكوينه من نهاية فصل الصيف والخريف كله، ويظهر من بداية فصل الشتاء، والربيع كله، ويتوفر غالبه على مدار العام كونه أوراقاً وأجزاء من الأشجار الصغيرة، وبعضه من الأعشاب المرجانية، وهو المصدر الرئيس في غذاء كل الأسماك العظمية الصخرية خاصةً بداية الخلق كما أنه غذاء رئيس، وخاصةً لصيد ثمان لمة، وثمان تلبة، وثمان ثناد، والزرية، والدقان، والبشت، والريدو، والشروخ، والسلاحف، وغيرها.

لويكسك: (سيلك) وهو العشب الذي ينبت في قاع البحر العميق على المواقع الرملية الضحلة، وهضاب الجبال الرملية الخفية، ويزرع على بعض المناطق الشاطئية الصلبة، وينتقل على شكل خيوط متلاصقة في نهاية فصل الشتاء، ويظهر بكميات كبيرة في فصل الربيع، وتحتمي به الأسماك الصغيرة من الأسماك الكبيرة، وبخاصة أنواع الساردين وغيره، وفي نهايته ينعدم، ويظهر بعده القطمر.



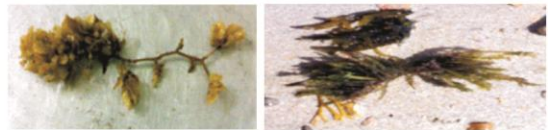
القواقع والأصداف والمحار

تعد الطحالب، والأعشاب، والأشجار المرجانية مصدر غذاء لكل أنواع الأسماك العظمية والأحياء البحرية، ومنها مردود كبير؛ إذ تتوفر منها نسبة كبيرة من الفوائد المستهلكة على المستوى العالمي، وتعد مياه البحار مصدراً لهذه المكونات التي تستخدم في صناعة بعض الأغذية، والأدوية، وصناعة الورق، والأقلام، والجلود، والنسيج، ومستحضرات التجميل، ومعاجين الأسنان، وتبييضها، وتعد مضاداً حيوياً، ومسكناً للأوجاع الباطنية، وآلام الظهر، والمفاصل، وخاصةً النقرس، والروماتيزم، وتساعد في تنشيط جهاز المناعة، وتستطيع مشاهدتها (رؤيتها) عند حالة جزر البحر وتغطيتها المياه في حالة المد أي خروج مياه البحر من اليابسة، وأهمها كلما اتجهت نحو مواقع العمق، وفي منتصف فصل الصيف تصل بذور بعضها على المناطق الشاطئية، وتلتصق بالصخور لتزرع محصولاً جديداً عند قوة التيارات البحرية وشدتها، وبخاصة في فصل الخريف.



مخلفات عشب اللويكس والقطمر والطحالب الدقيقة

وبعضها تزرع على مدار العام، وتفضل هذه الحشائش والأشجار البحرية النمو في أعماق ضحلة، ومن المواقع التي انتهت منها الطحالب موقع مطاحيس خيصة المكلا، ومواقع أخرى على طريق الانتهاء إذا ما هناك عناية بها، مثل مطاحيس شاطئ الشحر، ومطاحيس شاطئ الحامي، ومطاحيس شاطئ القرن وغيرها، ومن الأسباب التي أدت إلى تدمير الأعشاب والطحالب والأشجار المرجانية ردم المواقع المهمة والغنية بهذه الثروة المتوافرة على الشواطئ الساحلية.



لويكسك

قطمر أعماق

كما أن الإضاءة المنتشرة على الشواطئ أثرت على نمو هذه الثروة، والقضاء على العوالق الدقيقة المرافقة للحشائش،

الفصيلة السادسة

الفصيلة السادسة وبها ثلاثة أنواع

النوع الأول: مادة العنبر:

يستخرج محصول العنبر من حوت خاص يسمى (الشوحت)، ويُعد من الحيتان العظمية الولودة بمولود واحد، ومكانه المحيطات، ودائماً يخزن في أحشائه أو بين فكيه مادة العنبر لكونه المحصول الراقي له.



بعد تبطين حوت العنبر وتفتيشه من قبل بحارة البواخر التي تجول المحيطات بحثاً عن محصول حوت العنبر يصبح يوم الجمعة ٢٨ أبريل ٢٠٠٨م راسياً برائحته الكريهة على ساحل روكب، وبعد مرور أكثر من أسبوع يظهر محصول العنبر ليكون من نصيب من أهداه الله لهم

والحوت نوعان: النوع الأول: طوله أكثر من ٢٥ متراً تقريباً، والنوع الثاني: طوله أقل من ٢٠ متراً تقريباً، ويتميز هذان النوعان عن بقية الحيتان بالحدبة الظهرية الصغيرة، والأذنان قصيرتان جداً، ومحصول العنبر ثلاثة أنواع، والممتاز منه الأبيض يصل سعر الأوقية (٤٠٠٠ ريال سعودي) بمعدل قيمة الكيلو الواحد (٨٠٠٠٠ ريال سعودي).



من مخلفات الشعاب المرجانية (مرين مخلوط مع سميتط)

مرين: كلمة مرين صفة لماء البحر، وهي الحالة التي يكون فيها ماء البحر معكراً من بقايا الطحالب المفتتة بفعل حركة التيارات والأمواج العاتية ولونه ترابي مائل للاحمرار، وتضفي الحالة على ماء البحر لوناً أصفر شبيهاً بماء (خوبة الحناء)، ومثل هذه الظاهرة تظهر بحالتين، الأولى: إذا ظهر احمرار البحر قرب السواحل أي قرب الشواطئ فهو سميتط، ويخلف بعده قطعاً من الطحالب الطافية (السر جس)، ويفسر ذلك بكثرة الحوت، وهي العيدة وتوابعها والأسماك الأخرى، وتحدث هذه الحالة بسبب احتكاك بقاع البحر، وما فيه من تربة وحشائش فيظهر ذلك الغبار من قاع البحر في لون أغبر مائل للاصفرار، وكذلك الحالة الثانية: وجود التيارات المنبعثة من الأعماق يحصل فيها احمرار البحر بسبب زيادة الهوائيم والعوالق المنقولة مع التيارات الباردة، ويقول الصيادون الحوت مرة هنا، ومرة هناك، وتختفي هذه الظاهرة في نجم الدلو.



عنبر أبيض رقم ١ عنبر أغبر رقم ٢ عنبر أسود رقم ٣



باصباع



91

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

وأكثرها تنتقل من العيق، أما غالب السرطانات دائماً ما يكون في المناطق الصخرية، والرملية الساحلية لتقتات على كل ما يقذفه البحر من الأسماك والأحياء البحرية، وغيرها، ويفضل نضجها بالفحم أو غليها بالماء.

فوائد الزواحف البرمائية البحرية

السلاحف كائنات بحرية مهاجرة، مطلوب حمايتها والحفاظ عليها في مواقع المحميات (شرمة، يثمون، بروم) من الكلاب الضالة والطيور وسرطانات البحر التي تلتقط صغارها قبل خروجها للبحر، ومنع العبث بها والمسئولية تقع من مهمة خفر السواحل والجهات القائمة برعايتها وحمايتها في منطقة الاختصاص (الديس الشرقية) وهم المعنيون بهذا الدور وتقديم الفائدة عند الضرورة للعلاج المجاني للمرضى من مادة الصيفة التي يخزنها الكبد والشحوم المفيدة في علاج ضعف النظر وأمراض الصدر وخاصة الربو والسعال، وبيضها يعطيك قوة بدنية ومفيد للنساء الحوامل، ويؤخر تساقط الشعر، ومرارتها تعالج مرضى الصرع ومنها اليود والفسفور والمغنيسيوم والحديد والكالسيوم، كما تفيد في ترميم أنسجة الجسم وبنائها، وضبط نسبة السكر، ويقوي الذاكرة، وذكرها يعالج الفتور الجنسي وإحياء المنويات، والله سبحانه وتعالى أعلم وأقدر.

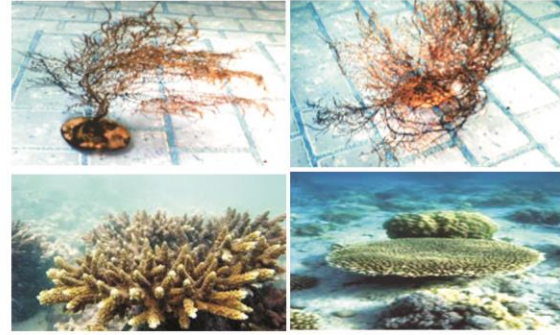
الهوامش:

(١) العيقة: عبارة عن خور يتوفر ماؤها من مياه السيول لتختلط بماء البحر الواصل إليها فترات المد وبكميات تزيد نسبة المنسوب إلى المالح، ويزيد نسبة ملحها عندما تنفصل عن البحر بالمرمل (حبي).

(٢) إلا أنني أنصح الإخوة الصيادين الاهتمام بهذه الثروة من خلال التزامهم بمنع اصطيادها للفترة من شهر أبريل حتى نهاية شهر سبتمبر من كل عام، وهذه الفترة تعد مهمة وبخاصة مرحلة التزاوج والتلقيح ووضع البيض، ومن بداية شهر أكتوبر حتى نهاية شهر مارس يسمح اصطيادها مع مراعاة الشرخ حديثي العهد لتكون ثروة متجددة وإنتاجها يعود بمروده لصالحكم في كل عام جديد.

(٣) ونصيحتي لإخواني الصيادين الاهتمام بهذه الثروة والتزامهم بمنع اصطيادها من شهر أبريل حتى نهاية شهر سبتمبر من كل عام، وهذه المدة تعد مهمة وبخاصة في مرحلة التزاوج والتلقيح ووضع البيض، ويسمح اصطيادها من بداية شهر أكتوبر حتى نهاية شهر مارس من كل عام لتكون ثروة متجددة وإنتاجها يعود بمروده لصالحكم في كل عام جديد.

النوع الثاني: مادة شحم البحر:



الأشجار المرجانية

المرجان: عبارة عن أشجار نباتية متعددة الألوان، وبعضها تتشكل وكأنها أحياء مائية صخرية متعددة الأنواع، والأصول، وتعد من الجواهر السابقة، ويقوم لها مقام الهيكل العظمي ويتم عرضه زينة في المعارض والمتاحف، وأفضلها يميل لونه للأحمر، وتتوافر في قيعان البحر.

النوع الثالث: اللؤلؤ والمرجان:



فوائد عوائل الرخويات والمحار والأصداف البحرية والقشريات:

الرخويات: وهي كل أنواع العزير (الحبار) والتربح (الأخطبوط)، وأما المحار والأصداف والقواقع فيوجد غالبها في المناطق الشاطئية الصخرية والرملية الساحلية، والمحار والأصداف لا تختلف كثيراً من بعضها في التكوين كونها تحتوي على مخزون كبير من اليود والدهون والحديد والبروتين والكالسيوم، ولكن يتطلب منك التعاطي معها بوجبات منتظمة؛ لأن الرخويات والمحار والأصداف تحتوي على نسب متفاوتة عكس القشريات إذا أفرط الإنسان في تناولها فإن بعض موادها المركزة ستعرضك لكثير من المشاكل، (ما زاد عن حده صار ضده)، بدرجة أنها تحتوي نسبة كبيرة من الكولسترول، والقشريات هي الشرخ، والريان، والحلقيم (الشنقاب) السرطان البايثي فهي تنتقل بين المناطق الصخرية والرملية وخاصة الأماكن الضحلة لتعيش على الطفيليات والهوائيم والعوالق النباتية

المصباح الذي لم ينطفئ ضوءه في أرياف المكلا

الشاعر الراحل /

عوض باموسى الرحباني

قدر كبير من الحيرة انتابتني عند التفكير في الكتابة عن نجم حكايتنا، لست وحدي شعر بها، وإنما كل من التقيته ممن جمعتهم بالمرحوم ذكرى لقاء أو لحظة في ذلكم الزمن الجميل...

لست أدري من أين أبدأ الحديث عمن أسميه مدرسة الشعر الأولى في أرياف المكلا والمصباح الذي لم ينطفئ بعد. هل أبدأ من منطقة اللبيب مسقط رأس نجم حكايتنا التي كانت أشهر من نار على علم في زمانه.. أو من كفاح المرحوم في موطنه ثم مهجره. أو من شعره الجميل! أو من تفرده في الخطابة!! أو من استمرارية ضوء مصباح شعره برغم رحيله عن دنيانا الفانية منذ أكثر من عشرين عاماً..

قال لي واحد ممن كانت له معه ذكريات:

أكتب عنه مدرسة الشعر الأولى في أرياف المكلا وكفى... وقال ثان كان متفرداً عن بني جيله من الشعراء بكونه مثقفاً وعلى درجة عالية من المعرفة والاطلاع في مجالات متعددة منها الفقه الديني إذ كان خطيباً في مسجد اللبيب.. وقال ثالث: كان ملماً بالفن بمعناه العام فقد كان عازفاً جيداً على آلة العود، وملحنًا مبدعاً أو مريباً لبعض الأهازيج لجعلها أصوات غناء غياضي، لم يلتزم بنوع محدد أو مجال محدد من مجالات الشعر بل أبدع في معظمها كالسياسي والاجتماعي والعاطفي.. قال رابع: كان فكاهياً من الدرجة الأولى، لذا يحظى مجلسه بعدد من رواد النكتة الساخرة، في زمن البساطة والعفوية. فمن هو نجم حكايتنا؟؟!!

(١)

إنه الشاعر عوض عبيد باموسى الرحباني الحسني الملقب بـ(باعمان)، المولود في سنة ١٩٣٠م في منطقة اللبيب بأرياف المكلا، اشتغل منذ باكورة شبابه بالزراعة كما كان جالاً ينقل البضائع من منطقة إلى أخرى.

لم يطب له المقام كثيراً في مهنة الزراعة والجمالة في منطقة اللبيب، إذ اتجه إلى مجال ومسار آخر متمثلاً بطريق الهجرة والعمل بالتجارة، متنقلاً في دول الساحل الأفريقي



محمد حسن الحسني



الشاعر الراحل / عوض باموسى الرحباني

كما يسكن اللبيب أسر أبرزها: باحويرث، وبافرج،
وباحريز، وبارميم، وباقادر، والحداد، وبانصر، وباغطاء
وغيرهم.

وكذلك من (المتخرفين) الذين يطلعون في أيام خريف
النخل فقط مثل: القاقا، وباخيس، وباعجاج،
وباحيسون، وبامندود، وباعيس، وبازياد، وبامتيرف،
وبامحفي وغيرهم.

من أبرز الشخصيات الاجتماعية في المنطقة: المقدم حسن
عبيد الرحباني، والمقدم عبدالله حسين باحسين، والمقدم
محمد عمر باحسين، وغيرهم كثير...

ومن الشعراء: الشاعر عوض عبيد باموسى الرحباني
نجم حكايتنا لهذا اليوم، والشاعر عوض سالم باغطاء،
رحمة الله عليهم أجمعين. وآخرون...

كتنزانيا وكينيا وأثيوبيا وغيرها من الدول الأفريقية،
حيث مكث فيها نحو ثلاثين عاماً، قبل أن يمل الغربية
ويعود إلى مسقط رأسه في أواخر الستينيات، ثم غادرها في
هجرة داخلية إلى منطقة روكب في بداية التسعينيات،
وبعد أكثر من ثماني سنوات قضاها في روكب المدينة
الساحلية - تحديداً حي العوسجة - التي يرتبط أهلها
بروابط متعددة مع أبناء وادي عوج عمومًا واللبيب
بدرجة رئيسة، غادر دنيا الفانية تحديداً في العام ١٩٩٩م
عن عمر ناهز ٦٩ عاماً.

(٢)

ارتبط الشاعر الرحباني بمسقط رأسه اللبيب ارتباطاً
وثيقاً، فيها عاش وبها تعلق، منها انطلق في كفاح لم يتوقف
حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، بداياته مع الشعر كان فيها،
كان خطيباً في مسجد القرية التي كانت في عهد مضي
عاصمة الأرياف، كما كانت تهدي المكلا حاضرة المحافظة
سلة غذاء متكاملة وبخاصة في وقت الخريف...
طالما الأمر كذلك هلاً حدثني عن منطقة اللبيب!!
(صوت قادم من صديق عزيز)..
حسناً:

منطقة اللبيب يا صاح:

تتكون من شقين أو صفتين (شق اللبيب + شق بني
حسن)، وهي ملتقى الوادين (وادي عوج ووادي حم).
قال فيها أحد الشعراء:

يا سلامي على أم المدن يا حضارة

عاصمة ملتقى الوديان شبه الإمارة

كان عدد سكانها تقريباً آنذاك نحو ٨٠٠ نسمة.

يسكن اللبيب من قبيلة بني حسن من فخذ الرحباني
(باموسى وباقاسم وبن العدل)، وكذلك من فخذ باقديم
(باحسين).



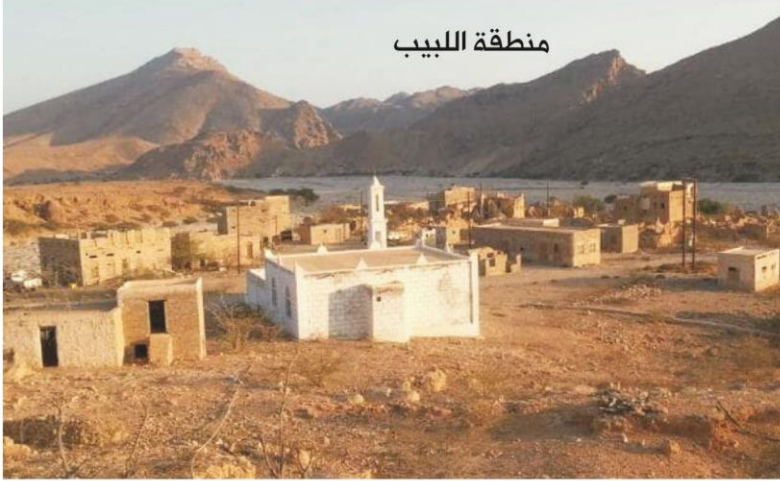
94

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م



منطقة اللبيب

فيها مدرسة اللبيب للتعليم الأساسي، التي تعد من أوائل المدارس الحكومية تأسيساً في أرياف المكلا؛ إذ تأسست في عام ١٩٦٩م. كان فيها تعاونية استهلاكية، وفيها مطعم ومقهية، وعدد ٣ دكاكين، ومصوغة للفضة، وعدد ٢ من الطواحين،

ومحادة. كان فيها مشروع لماء الشرب (أهلي)، وكان فيها مشروع كهرباء (أهلي).

كانت اللبيب من أفضل المناطق الزراعية حيث يزرع فيها الموز، والباباي، والبسباس، والبطاطا، والذرة، والدخن، والمسيبي، وكثير من الخضار والفواكه والمحاصيل الزراعية، إضافة إلى النخيل والكراب.

هكذا كانت اللبيب، لكن لن أحدثكم الآن كيف أصبحت، ربما في حكاية أخرى...

بقي أن أشير بأن الهجرة بشكل كبير جداً بدأت من منطقة اللبيب بعد عام ٢٠٠٨م عندما جرفت السيول كل الأراضي الزراعية ولم يبق منها إلا أقل القليل. عندها صارت اللبيب منطقة أخرى وحكاية أخرى....

لكن ماذا عن شعر الراحل باعماي أو عوض الرجباني موضوع حكايتنا...

(٣)

دعونا نبدأ بهذه القصيدة لشاعرنا الراحل التي أطربت البعض وأبكت البعض الآخر وما زال يرددونها الكثيرون حتى اليوم، وقد قيلت هذه القصيدة في زواج في قرية الهوتة - إحدى قرى أرياف مدينة المكلا -.

يقول - رحمه الله - مخاطباً آل باكردة الحامدين - لأن

الزواج لأحد أبنائهم - وهو يعتز بهم كل الاعتزاز:

نفرح بواجبكم إذا جانا كتاب

من صدق يا ذري النمارة والأسود

لما نشوف الحصن ذي له ألف باب

يتكدر خاطر ولا جانا رقود

ذي كان ساكن فيه مفتول الشناب

إذا اعتكت حاجة يفككها قيود

الحصن المقصود: بيت المقدم الشهير سالم باحميد

الحامدي (بو المناقيد)، وهو خال الشاعر المرحوم عوض

عبيد الرجباني.

من أشعاره أيضاً:

ما با صرف قرشي خماسي بايره

كل من صرف قرشه تحمّلها الخماسي البائرات

والراعيه في الشرح قمرها ولا هي داريه

وخواتها من سمح قمرهن ولا هن داريات

.....

الخماسي: عملة نقدية كانت متداولة قبل العانة والبيسة.

(٤)

في قرية (الحوطة) إحدى قرى أرياف مدينة المكلا وفي

أحد الأعراس التقى شاعرنا الراحل عوض عبيد

الرجباني والشاعر صالح بحلص العكبري - رحمه الله

تعالى - ودارت بينهما هذه المساجلة الشعرية.



95

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

حيد النويمه جار وتجبور على ثلة باعمر

يا الحيد قر، والله معانا ناس لك متجبورين

يا خار والله ميل دي نتخ وسط غبة قمر

وسطه ثن عشر ألف جندي والقباطن أربعين

ريته تفضل شل باموسى وعازم عا السفر

وبغيت في خنّه على اليسره وساعه ع اليمين

رد عليه المرحوم بحلص:

من ذي ذكر حيد النويمه، حيد دوبه مشتهر

صيته وصل وسط الإذاعة لبلاد الدردبين

يا محسن الراحه تخلي الحال دوبه معتمر

لا يا عوض هت لي خبارك ع اليساري واليمين

الموتر الملعون لقا له ضرب من فوق الكفر

والكلمة الزينة تقرب يا عوض لاكل زين

(٦)

في قرية اللبيب - إحدى قرى أرياف مدينة المكلا - وفي

زواج عمر حسن عمر باحسين الحسني، التقى في زامل

الغسة الشاعران: الشاعر عوض باموسى الرحباني،

والشاعر عوض سالم باعطاء - رحمهما الله تعالى - في

سجال ساخن على موضوع كان بينهما، وكانت الزوامل

القديمة لا تتقيّد بربط، ولكن أهم شيء الجواب، وهذا

بعض مما دار بينهما من سجال.. والذي كان في سبعينيات

القرن الماضي.

قال الرحباني:

يا ذري بو مسعود ضيعت الفلك

ومسيت غارق في غيب تلطم لطيم

ضيعت اسم الدار وانضيع سمك

عوذ من الشيطان وابليس الرجيم

وانك تشوفه زين ومناسب معك

تقرر المضوى إلى نار الجحيم

قال الرحباني:

أيش من نشوء روح عالمفارع يدقمل

والذي في بحور الهند سمعوا رعوته

والمكوده من الحراث ما طاع يعمل

كل من هو في المجرى يمكّن سدوده

عاده با تقع زينه عسى الله يجمل

كل من هو ولي با يتهري من جدوده

والذي قدم الدعوه جنيهات يبذل

والحكم صار خاين ونكروا به شهوده

قال بحلص:

من بغى مال بالعدوان ما با يحصل

حكم مرفوض قط من تحت باب الشريعة

لا تمثل لنا، من سمح قدني ممثل

يا عوض خو حسن ما شي مثيل القناعه

قال الرحباني:

قل لبو محسن الشاعر عجبني كلامك

يوم بينت لي موضوع قدني بغيته

يوم تعرف قلم يدي ونعرف كتابك

رينك إلا سعي في خساره وفيده

عطلوها على الأمة وعملوا صحابك

والذي عندنا عملوا وفي كل ريده

لامتى بسقي أرضي وتشرب بلادك

ساهن الزحي بيحي من مطارح بعیده

قال بحلص:

يا عوض ودّ باموسى كلامك منقش

يصلح النقش فوق الباب محلى نقوشه

والذي داخل المطبخ طعامه مجرش

خل من بيجرش قلّه يدقق جروشه

(٥)

وفي مساجله شعرية مع بحلص أيضاً وفي منطقة الهوتة:

قال شاعرنا الراحل عوض باموسى الرحباني رحمه الله عليه:



96

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

قال باغطاء:

ذا سنة عيشة البدوان كوره بلم
والطهف والذره والدخن بايسعرونه
خلنا بين سودان العكف باتكلم
خلنا يا عوض ما حد يدخرس عيونه
قال الرجباني:

تستاهل الدخراس لا يا الهاشمي
يومك تحب العيف ذي سعره رخيص
من سمح نا حاذرك والله والنبي
لكن شوف الحلو بايرجع بصيص
قال باغطاء:

سوستها لا يا عوض وبنييت
وطلعتها زين القبالي
من بعد ما قدها غرف حليت
يا ذري بو زيد الهلالي
قال الرجباني:

وفراط ما بين الجداعه والجرب
وفراط ما بين الثريا والنجوم
يا باغطاء ما دام فوق الناس رب
ما شي قيامه فوق راسي باتقوم
قال باغطاء:

شفنا حمر عا الطول والهاجس حمر
يا باعماني وفر كريبها والليف
والا من اسطمبول بيجيك الخبر
بتشوف بن يحيى وبن عبداللطيف
قال الرجباني:

لنته حمر يا باغطاء شفنا سود
لا قد قبصتك ما لحقت الراقي
بالصدق بتكلم ولا بي شي قهد
وان جات شدة ما حسبت الباقي

(٧)

ذلكم غيض من فيض أشعار المرحوم بإذن الله تعالى
شاعرنا الذي خاض في مختلف مجالات الشعر السياسي
منها والاجتماعي والعاطفي، والرثاء وغيرها، وعاصر
عدداً من بني جيله أبرزهم رفقاء دربه الرباعي عوض
سالم باغطاء، ومحمد أحمد باسلوم، وأحمد حمدون العمودي،
وصالح بخلص العكبري عليهم رحمة الله، وآخرون.
أشعاره الموجودة لا تتعدى ١٠٪ من الأشعار والقصائد
التي صدح بها في جلسات الدان وفي الزوامل وجلسات
السمر والمواقف العابرة.

(٨)

في أواخر العام ١٩٨٩م ولد عبداللطيف عوض الرجباني
الابن الوحيد لشاعرنا.
عبداللطيف حمل مشعل الشعر، وسار على درب والده
مع فارق أن الأب تألق في مسار الشعر الشعبي بينما الابن
يتخذ من الشعر الفصيح ملعباً يبرز فيه مواهبه، وإذا كان
الأب ضاعت نحو ٩٠٪ من أشعاره مع رياح عدم
الاهتمام بتدوين الشعر، ورحيل من كان لهم اهتمام لحفظ
أشعار الشعراء القدامى وأغلبهم لا يجيدون القراءة ولا
الكتابة، يحرص الابن على نشر أشعاره في صفحته على
الفيسبوك التي أصبحت ساحة يعرض فيها كل جميل
وغزير من معاني الشعر والكلم الجزيل.

لقد أصبح عبداللطيف -أطال الله في عمره- بمثابة
ضوء يواصل نشر أشعته لنبصر بها بعضاً من ملامح
مدرسة الشعر الأول في أرياف المكلا ممثلة في والده
الذي نسأل الله جل شأنه أن يجعل قبره روضة من
رياض الجنان.



97

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

هَيْفَاءَ كَحَلَاءِ الْمَحَاجِرِ لَو رَنْتُ

سَلَبْتُ شِعَافَ النَّاسِكِ الْمُتَعَبِّدِ

وَضَاحَةُ الْخَدَّيْنِ مَا إِنْ أُسْفِرَتْ

شَبَّتْ لَهَيْبٍ مُتِمِّمٍ مُتَنَهِّدِ

هَامَتْ بِصُورَتِهَا النَّفُوسُ وَأُضْنِيَتْ

وَطَوَتْ لَهَا الْأَنْفَاسُ عَرْضَ الْفَدَفِدِ

كَمَلَتْ بِهَا آيَ الْأَنْوْثَةِ وَاکْتَسَتْ

آيَ الْحَيَاءِ وَمَكْرَمَاتِ الْمُحْتَدِ

نَظَرَاتٍ وَاثِقَةٍ وَمَنْطِقَ حِكْمَةٍ

وَحَيَاءُ خَادِرَةٍ وَمَشْيَةُ سَيِّدِ

تَالَلَهُ لَوْ لَمَحَ الْمُلُوحُ حُسْنَهَا

أَزْرَى بَلِيلِي فِي قَنَاعَةِ زُهْدِ

حَيْرَانَ مُسْتَطِرِّ الْجَوَانِحِ وَالْبَهَاءِ

يَقِظُ الْبَصِيرَةَ مُوَلِّعٌ لَمْ يَرْقُدِ

مَالَتْ بِبَرْقِعِهَا فَخَلَتْ جَبِينَهَا

بَدْرًا تَلَالُأً فِي الظَّلَامِ الْأَسْوَدِ

وَعَشَتْ حَشَايَ مِنَ الرِّوَائِعِ هَزَّةً

حَتَّى ظَنَنْتُ الْقَلْبَ أَسْقَطَ فِي يَدِي

فَكَأَنَّمَا الْأَبْصَارُ بَيْنَ خَمَائِلِ

خَضِرٍ مُرْمَعَةٍ وَعَذَبٍ أَبْرَدِ

وَمَرَأَشْفٍ لِعُسٍّ كَأَنَّ لِعَابَهَا

شَهِدٌ إِذَا مَا ذَقْتَهُ، قَلْتُ: أَزْدَدِ

صُورٌ مِنَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ فَرِيدَةٍ

مَا يَنْتَهِي الْإِعْجَابُ مِنْهَا.. يَبْتَدِي

تَجْرِي مُحَاسِنُهَا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ

مَجْرَى السَّلَافَةِ فِي عَقُولِ الرُّشْدِ

خُودٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِيمٍ صَانِعِ

سُبْحَانَ بَارِيهَا الْبَدِيعِ الْأَوْحَدِ

سُعْدَى! وَمَا سُعْدَى؟: بَقِيَّةُ بَابِلِ

وَعَظِيمُ آيَاتٍ وَسِرٍّ سِرْمَدِي

وَنَعِيمٌ لَذَاتٍ وَعَالَمٌ صَبُوءِ

وَحَدَائِقُ غُلْبٍ وَفِرْدَوْسٍ نَدِي

أَمْسَى غَرَامُكَ فِي الْفُؤَادِ مُخَلَّدًا

وَهَوَاكَ يَا سُعْدَى أَجَلَ الْمَقْصَدِ



عبد اللطيف عوض باموسى الرحباني

ابن الشاعر

(٩)

وفي الختام نهدىكم آخر أشعار الابن عبد اللطيف عوض
باموسى الرحباني (سُعْدَى.. الْفَرْقَدُ الْمُسْتَنِيرُ).

مَدَّ الزَّمَانُ إِلَيَّ كَفًّا تَوَدَّدِ

وَكُسِيتُ سِرْبَالَ السُّرُورِ الْأَسْعَدِ

وَبُلِغْتُ مَا أَمَلْتُهُ بِعَزِيمَةٍ

تَرَسُّوْ عَلَى عَيْنِ الْإِلَهِ وَتَغْتَدِي

يُسْرٍ وَعُسْرٍ وَانْفِرَاجٍ وَشِدَّةٍ

وَالذَّهْرُ مَدْرَجَةُ الْخُطُوبِ الْأَصِيدِ

طَوْرًا يَنْضَحُنَا بِأَسْهَمِ بُوْءِ سِمِ

حَقًّا، وَتَارَاتٍ كَأَعَذَبِ مَوْرِدِ

مَا إِنْ يُصَغَّرُ أَوْ يَمِيلُ بِخَدِّهِ

حَتَّى يَبِشَّ بِوَجْهِهِ الْمُتَوَرِّدِ

لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى قَرَارَةٍ بِوْءِ سِمِ

أَبَدًا، وَلَا يَبْقَى مَسَرَّ الْحَسَدِ

* * *

يَا مُشْرِعًا سَيْفَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى

إِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْنِ الْمَحَبَّ فَأَعْمِدِ

مَنْ مَبْلَغُ السَّالِينَ عَنِّي أَنْتَنِي

عَنَّهُمْ سَلَوْتُ بِمُسْتَنِيرِ الْفَرْقَدِ

بِصَبِيَّةٍ رِيَّا الشَّبَابِ مَلِيحَةٍ

ذَاتِ الشَّمَائِلِ وَالْخِصَالِ الْفُرْدِ

عِذْرَاءَ مُشْرِقَةِ الْجَبِينِ رَقِيقَةٍ

كَالشَّادِنِ الْأَحْوَى الْأَغْنِ الْأَغِيدِ

عَسَلِيَّةِ الْعَيْنِينَ إِنْ هِيَ سَدَدَتْ

فَتَكْتُ بِنَا فِتْكًَا بِغَيْرِ مُهَنْدِ

العجوة إلى زنجبار !! *



عندما أبدت له رغبته في السفر إلى السواحل^(١) وطلبت منه اصطحابهم إلى هناك بعد أن أنهكهم الفقر والمرض، ولقد ذكرته كيف كادوا أن يخسروا ابنهم الصغير مبروك، الذي عانى الأمرين عندما كان رضيعاً، فقد أصيب بالمرض وأخذ يذوي كغصن قطع من شجرته ولم يستطيعوا فعل شيء له حتى أتاها ذلك الشيخ المبارك ذات يوم واستضافوه عندهم - رغم ضيق ذات يدهم - كما يستضيفون عابري السبيل الكثر الذين يمرون في قريتهم التي تقع على طريق القوافل، وعندما رأى الشيخ حالته تلك طلب منهم ذلك الطلب الغريب:

- ربوا كبش عادة إلا ولد^(٢) وأكلوه من أكلكم وسموه باسم الوليد مبروك وطربوا^(٣) عليه مبروك.. مبروك وإذا قدسه يستنبي^(٤) ذبحوه وشلوا^(٥) كساء مبروك ولفوه فيه وقبروه في المقبرة وقولوا مبروك مات وغيروا اسم مبروك الصغير.



مسعود علي الغنيني

مع تسلسل خيوط الفجر الأولى والضباب الكثيف يحتوي القرية وقطرات الندى تبلل كل شيء.. حملته أمه على ظهرها وأرربت أخاه (صالح) الذي يكبره بثلاثة أعوام على ظهر بقرتها اللبون وأخذت تحت الخطى مسرعة بهم باتجاه قصير خوفاً أن يستيقظ والدهم فيمنعهم من الرحيل، فلم يعد لهم مقام عنده بعد أن رمى عليها يمين الطلاق بسبب المشاجرة التي حصلت بينهما ليلة البارحة،



99

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م



وكيف أنهم نفذوا ذلك الطلب
وربوا الكبش وسموه مبروك
وأطعموه من طعامهم ثم بعد ثلاثة
أشهر أخذ الكبش يستجيب لندائهم
إذا نادوه مبروك ثم ذبحوه ولفوه في
ملابس صغيرهم ودفنوه، وأشاعوا
أن مبروك مات بعد أن غيروا اسم
ابنهم من مبروك إلى سالم، وكيف
بدأت صحته تعود إليه حتى أصبح في

رجال أشداء كلهم متسللين (١٠) من أعز السلب وسألمهم:

- من ذا (١١) الرجال ومنين ظهر (١٢).

رد عليه أحدهم وهو يضع يده على القربة ويدفعه
لإرجاعها في مكانها:

- ذا عمرو بن سالم رجّع القربة في محلها قبل ما يلقطننا (١٣)
كما الحب.

أعادوا القربة إلى مكانها وتسلبوا منسحبين إلى أحد
الشعاب بينها خرج هو حاملاً بندقيته وتوجه إلى صديقه
حمود وتصافحا بحرارة فقال حمود قولته الشهيرة:

- ريتها (١٤) ربت يم كماك (١٥) يا عمرو!!

ساروا متجاورين حتى وصل صاحبه مأمنه وعاد قافلاً
إلى قريته وصوت صديقه حمود السيد يتردد في أذنيه:

- ريتها ربت يم كماك يا عمرو!!

فهل بعد هذا تفرض عليه امرأة رأيها.

سارت بهم والدتهم محاذية للبحر حتى وصلوا إلى
قصيعر، وهناك باعت بقرتها لأحد البدو الذين يأتون إلى
قصيعر للتزود بالمؤن، وانطلقت بهم إلى ميناء قصيعر..
أخذت تسأل عن السنايق المتجهة إلى السواحل حتى
دلوها على سنبوق باحويرث الذي يتجهز للإبحار، وكان

تمام الصحة والعافية، وأخبرته إنها غير مستعدة لخسارته
بعد أن استعادته من حافة الموت.

إلا أن والده لم يستجب لتوسلاتها الكثيرة بل استشاط
غضباً من إلحاحها المستمر عليه فرمى عليها يمين
الطلاق، فهو لم يرض أن تفرض عليه امرأة رأيها، وهو
الرجل المعروف بأنفته وشجاعته، فهو أحد شجعان
قبيلته وأحد رجال المشقااص المعدودين الذين ذاع صيتهم
في طول البلاد وعرضها، ومن لا يذكر في المشقااص قصته
مع صديقه حمود السيد الذي كان ماشياً في أحد أودية
المشقااص هو وناقته العفراء عندما اعترضته مجموعة من
البدو وصوبوا عليه بنادقهم وأخذوا منه ناقته وقربة الماء
التي عليها تردد السيد:

- اليوم ظلت (٦) على بوغالية.

ولم يكن السيد يعلم أن هناك من يكمن تحت إحدى
المرابي (٧) يرقب المشهد مصوباً بندقيته على (الهايشين) (٨)
حتى تكلم وخاطب زعيمهم الذي يحمل القربة:

- رد القربة مكانها ولو رفعتها لثمك بالتجيك الرصاصة في
حقيقك (٩) قبل أن تسقط قطرة ماء واحدة فيه.

اندهش زعيم الهايشين ونظر إلى أصحابه وكانوا أربعة



100

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

ربانه من أقارب زوجها والذي بادرها:

- وراش انفسش (١٦) وين عمرو خوي.

- عمرو بايحلقتنا (١٧) بعد يومين معه شغل ضروري يخلصه.

- معاشي وقت الموسم بايقفل.

- ما عليك منه (١٨) هو بيدبر (١٩) نفسه عمرو ما حد (٢٠)

يخاف عليه.

- انشهد (٢١) انش صدقتي ما حد يخاف عليه.

انطلق سنبوق باحويرث من ميناء قصير متجهاً إلى السواحل وبالتحديد إلى مدينة زنجبار شاقاً طريقه في انسيابية فقد كانت الريح مؤاتية للإبحار فهناك أيام عدة قبل قفول الموسم.

انتحت بهم والدتهم في أحد جوانب السنبوق قريباً من كبينة الربان عبود بن سعيد، الذي أولاهم العطف والرعاية اللازمين حتى وصلوا ميناء زنجبار بعد أربعة عشر يوماً في رحلة لم يعكرها شيء سوى بعض الرياح والاضطرابات البحرية التي صادفتهم مما أخر وصولهم قليلاً عن الموعد المعتاد، أخبرهم الربان عبود أنه سوف يصطحبهم عند وصولهم إلى صديق والدهم المقيم في زنجبار مبارك بن سعيد، وبالفعل عند وصولهم الميناء انتظروا الربان عبود حتى أنهى بعض مهامه واطمأن على سير نزول حمول السنبوق من أسماك اللحم والدريك التي شحنها من سقطرى في طريقه إلى زنجبار، وأوكل بقية المهام إلى الصرنجي (٢٢) لمتابعة تنفيذها، وقام باصطحاب سالم ووالدته وأخيه إلى بيت العم مبارك بن سعيد، وكان الوقت بعد الظهر والشمس ترسل أشعتها فتلفح الوجوه المكدودة، وجدوا العم مبارك عائداً من عمله حاملاً بقايا بضاعته على ظهره وكانت بضع جوانٍ حيث يعمل متجولاً حاله حال بعض أبناء بلدته يبيع التنك والجواني

فيتجولون بها في شوارع زنجبار وأزقتها وهم يحملونها على ظهورهم وينادون:

- تنكة جونية.. تنكة جونية.

وتستخدم التنك والجواني بكثرة في زنجبار في حفظ الفحم وعمل البوابير (٢٣) وشحن المنتوجات الزراعية التي تشتهر بها زنجبار، مثل القرنفل والكزباب (٢٤) والفلفل وغيرها من الغلات الزراعية بمختلف أنواعها وأشكالها، بينما بعضهم يعمل في بيع الفحم وشرائه والبعض الآخر يعمل في صيد الأسماك؛ فقد كانت أسواق زنجبار عامرة فهي مدينة جميلة تمتاز بجوها المعتدل، وباخضارها الدائم، وبتنوعها البشري، فهناك العرب والزنوج والبريطانيون والفرس والهنود وغالبهم من الطائفة السنيّة، وأما العرب فغالبهم من العمانيين والحضارم. فالحضارم يوجدون بكثرة لافتة فيها وأنت تنظر في شوارع زنجبار تحال نفسك في المكلا.

استقبلهم العم مبارك أجمل استقبال، وسألهم عن أحوالهم وأحوال البلاد، وعن صديقه عمرو بن سالم فصارحته أم سالم بكل شيء، وأخبرته كيف تنازعت مع زوجها عمرو، وكيف طلقها، وكيف غادرت البلاد في ظل ذهول من الربان عبود ودهشته الذي يسمع القصة لأول مرة.

- ناعرفه عمرو عصبي لكن قلبه طيب من اليوم ورايح (٢٥) عيالش (٢٦) عيالي وجلسوا في ذه الغرفة أنتي وياهم وأنا بجلس في الغرفة الثانية. وأشار إلى الغرفة الأخرى من البيت والتي اتخذها مخزناً لأغراضه وبضاعته التي يتجول بها، وكان البيت عبارة عن بيت شعبي، يتكون من غرفتين متلاصقتين، إحداها بحرية يسكن فيها وهي واسعة نسبياً وتطل على الشارع العمومي ولها باب مستقل،



101

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
2020م



والأخرى الصغيرة مقابلة لها
وتطل على الشارع الخلفي اتخذها
مخزناً، ويفصل بينهما جدار ولها
باب صغير للخارج.
حاولت الاعتراض وأنها وابنيها
يمكنهم الجلوس في غرفة المخزن
غير أنه رفض ذلك.

* * *

كان سنبوق باحويرث هو آخر سنبوق غادر ميناء
قصيعر فقد أغلق الموسم بعده وعلى الراغبين في الذهاب
إلى السواحل الانتظار إلى الموسم القادم، وهذا ما حصل
مع عمرو بن سالم الذي حاول اللحاق بزوجه وأولاده
ولكنه لم يجد أي سنبوق مبحراً إلى السواحل؛ فقد بدأ
هيجان البحر واضطرابه؛ ولم يعد في المرسى أي سنبوق
فقد أبحر كل الموسم (٢٧) وعليه انتظار عام كامل إن أراد
السفر فعاد قافلاً إلى قريته يكظم غيظه فهل هو من يفعل
به كل هذا؟ وهو من هو...!! كان عزاؤه الوحيد أن
صديقه مبارك بن سعيد هناك بزنجبار وهو على يقين بأنه
سوف يقوم برعاية أولاده أكمل رعاية.

* * *

جلس سالم وأخوه في زنجبار قرابة خمسة أشهر، يروح
عليهم العم مبارك ويحيي، ويحضر لهم ما يحتاجون إليه،
حاولت أمهم العمل إلا أن العم مبارك رفض عملها
بشدة، وعرض عليها بدلاً من ذلك الزواج... فأقاموا
زواجا متواضعاً حضره أبناء بلدتهم ممن هم مقيمون في
زنجبار، وأقاموا جلسة دان أمام بيتهم، جذبت أصواتها
الشجية كثيراً من سكان الحي من جنسيات وأعراق
مختلفة حيث توافدوا عليهم ليشنفوا آذانهم بهذا النغم
الغريب الذي يسمعون لأول مرة.

في تلك المدة بدت على سالم آثار المرض فقد تعود على
أكل الطين منذ قدومه إلى زنجبار في خلسة من والدته
وأخيه الكبير صالح، فارتفعت حرارته في البداية، وظهر
به انتفاخ بسيط في بطنه، وضعوا له كمادات من الماء البارد
وسليط السمسم فكان لهما مفعول وقّتي في تخفيض
الحرارة إلا أن الحرارة بقيت تعاوده، وأخذ انتفاخ بطنه
يزداد شيئاً فشيئاً، وانتفخ جسمه كله بعد ذلك بشكل غير
طبيعي حتى أصبح لا يستطيع الحركة، عرضه العم مبارك
على الطبيب في حيهم فأعطاه بعض الأدوية ولكن لم يظهر
عليه أي تحسن فأشار عليهم الطبيب بالذهاب به إلى
طبيب آخر في المستشفى الموجود في طرف الجزيرة، كان
المستشفى يقع على بعد عشرة كيلو متر تقريباً عن مكان
سكنهم، حمله العم مبارك على ظهره في الصباح الباكر
وانطلق به في سهول عدة ومنحدرات وطرق متعرجة
حتى وصلوا إلى المستشفى.. عرضه على ذلك الطبيب
فصرف له بعض العلاجات وحقنه حقنة بها بعض
الأموال وأخبره أنه يحتاج لمثل هذه الحقنة كل ثلاثة أيام.
كان العم مبارك يحمله على ظهره في كل مرة يذهبون فيها
إلى الطبيب دون أي تأفف من بعد المسافة ووعورة الطريق.
استمروا على هذه الحالة لأكثر من شهر كامل ولم يطرأ
عليه أي تحسن حتى أخبرهم الطبيب أنه لا يستطيع فعل
له شيء أكثر من ذلك، وأعطاهم بعض الأدوية، وطلب



منهم عدم الحضور مرة أخرى.

كانت لكلمات الطبيب وقع الصدمة على العم مبارك فعاد مهموماً لا يدري ما يفعل، أخبر أم سالم بالأمر

فأخذت تبكي بحرقة:

- جبتهم (٢٨) هنه خايفه عليهم من المرض لكن المرض ورائنا (٢٩) ورائنا.

- استهدي بالله.. الله يشفيه كما يوم مرضه.

- ني مؤمنه بالله.. لكن أيش نسوي (٣٠) والطبيب يقول ما له علاج.

- بنتخير (٣١) على طبيب ثاني أكيد بانحصل طبيب يعالجه.

- تعبينك (٣٢) معنا وعطلينك (٣٣) عن شغلك.

- لا تقولي هذا الكلام أولادش هم أولادي ونا ما بقصر وبكرة باروح (٣٤) بسأل له على طبيب.

لم يدرك العم مبارك ماذا يفعل أراد طمأننتها ولكنه نفسه كان يريد من يطمئنه.

بقي سالم أياماً على حالته تلك حتى زارهم الشيخ المبارك نفسه الذي زارهم من قبل في قريتهم عندما كان سالم صغيراً حيث انتقل إلى السواحل حاله حال أبناء بلده واشتغل في التجارة فكان يشتري ويبيع الملابس ما بين زنجبار ودار السلام ومباسا وقد التقاه العم مبارك صدفة في ميناء زنجبار وكان بينهما صحبة فدعاه للغداء عنده:

- أنت اليوم ضيفي يا سيد حمد.

- نامستعجل معي ذه البضاعة باييعها وبرجع لدار السلام.

- كمل شغلك وتعال إلى بيتي نته قدك تعرفه وجلس عندي اليوم وبكرة غبش (٣٥) لدار السلام.

وتحت إلحاح العم مبارك وافق السيد حمد.

* * *

عاد مبارك بن سعيد إلى البيت مبكراً على غير عادته فقابلته زوجته مندهشة:

- عساه خير ويش رجعتك من الصبح؟

- إن شاء الله خير.. عندنا ضيف اليوم جهزي لنا الغداء ونا بذبح الكبش السود وباقطبه (٣٦) لش ودهره في التنا (٣٧).

- بس الكبش السود بغيناها العيد.

- ربش (٣٨) بايسر كبش العيد.

- من ذا الضيف عاشوفك (٣٩) مهتم به يم (٤٠).

- ذا صاحبي السيد حمد.

- السيد حمد؟

- أيوه.. ذا صاحبي من زمان وهو رجال مبارك ومعروف عندنا في البلاد كلها.. ما بدا سمعتي به؟ أطرقت زوجته هنيهة ثم قالت:

- نعم سمعت به وسوى فينا معروف ما يتسي (٤١)، هو الذي عالج مبروك في المرة الأولى لما مرض.

- مبروك؟!

- قصدي سالم.

بدأت علامة الاستبشار تكسو وجه أم سالم وهي تنظر إلى ولدها في حنو وقد أثقله المرض وانتفخ جميع جسمه وأخذت تكلم نفسها:

- لعل الله ساقه له إلى هنه لينقذه مرة ثانية !!

- أيش تقولي (٤٢)؟ سمعينا (٤٣).

- معاقول شيء.. خلاص قوم أنت ذبح الكبش وني باجهز الطحين على المره (٤٤) وبخبز الخبز وبعلق التنا ونعمله لامة (٤٥) الخبز مع اللحم.

قام مبارك بن سعيد إلى الكبش فذبحه وقطعه وقامت زوجته فطحنت حبوب الذرة وقرصتها ووضعت الكل في التنا وظلوا منتظرين قدوم السيد حمد.

* * *

حضر السيد بعد صلاة الظهر مباشرة فقام إليه مبارك بن سعيد واستقبله أحسن استقبال.. تجاذبوا أطراف الحديث



103

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م

أسرعت أم سالم وأحضرت أسياخ حديد عدة وغرفت حجراً من التناز ووضعت على البابور وشبت عليه مرة أخرى رغم أنها تقذف شرراً من كثرة حرارتها ووضعت الأسياخ وسطها.

انتظر السيد حمد حتى حيت الأسياخ وطلب منهم مسك سالم فلم يجدوا صعوبة في مسكه بسبب انتفاخ جسمه وصعوبة حركته، وباشر بكيه في مواضع عدة من جسمه.. كواه في ظهره مرتين كل واحدة في طرف تحت (الورق) (٥٢)، وكواه مرتين على صدره في الشقين الأيمن والأيسر أسفل الثدي، وكواه أسفل بطنه تحت الصرة.. جميعها بشكل صب وهقف (٥٣)، ثم طلب منهم أن يشربوه (الصبر) (٥٤)، ثم دعاء له بالشفاء وغادرهم.

* * *

نفذوا ما طلبه منهم السيد حمد فسقوا سالم الصبر كل يوم لمدة ثلاثة أشهر كاملة، وخلال هذه الأيام كان ينزل ديدان من بطنه مختلفة الأشكال والأحجام كلما ذهب للتغوط.. وبدأ جسمه يعود لحالته الطبيعية شيئاً فشيئاً حتى أصبح كالعود المشقوق، فبدأ البشر والأنس يعود إلى البيت بعد أن كان يكسوه التجهم والقلق لأيام كثيرة عادت لسالم صحته وأخذ يخرج إلى خارج البيت، وبدأ يلعب مع أقرانه، بل أصبح يتفوق عليهم في مسابقات الجري التي يجرونها في الحي.

ارتبط سالم بعلاقة صداقة مع جارهم الصبي الصيني الذي كان في مثل سنه، فكانوا يتنقلون في شوارع الجزيرة وأزقتها تصاحبهم كلاب الصيني الذي يربها هو وعائلته، فكانوا يذهبون إلى المرسى مع بعض ويصطادون لها الأسماك وهي تتقافز حولهم، أعجب سالم بطبيعة الجزيرة الجميلة، وبحرها الهادئ، ومينائها العامر، وأسواقها الشعبية، فكان يتنقل مع رفيقه الصيني من مكان إلى مكان.

عن البلاد وأحوالها وعن أحوال الحضارم في السواحل وهجرتهم الدائمة وجرحهم الحديث إلى مواضع شتى.

بينما قامت أم سالم إلى التناز وأخرجت اللحم والخبز منه ووضعت في (مسرفة) (٤٦)، ونادت على زوجها فحضر وأخذه منها وقدمه إلى ضيفه، تناول السيد حمد وصديقه مبارك كفايتهم منه وأعادوا الباقي إلى أم سالم، حاول مبارك أن يفتح صديقه بمرض سالم لكنه استحمياً أن يكلمه، وقال في نفسه:

- لا كلمته ذلح (٤٧) يشوف سالم بيقول نا عزمته من شان ذا.. والله يشهد إني عزمته من معزتي له وسالم ربي يشفيه من عنده. لكن أنين سالم قطع عليه خاطره ذاك فقد استيقظ لتوه وأخذ يصيح ويئن.

سمع السيد حمد الأنين ينبعث من الغرفة المجاورة التي يجلس فيها سالم وأمه فسأل صديقه مبارك:

- أيش ذا (٤٨) .. حد مريض عندكم؟
- نعم يا حمد خوي.. ابننا سالم مريض وقد له مدة ولا خلينا به مكان ولكن ما حد عرف يداويه.
- قوم خلنا نشوفه.

هنا تهلت أسارير مبارك بن سعيد ونادى على زوجته:
- تغطية يا حرمه.. السيد بايشوف (٤٩) الوليد.

لبست أم سالم نقبتها وبرقعها وجلست في إحدى زوايا الغرفة. ودخل مبارك مع السيد حمد.. أخذ السيد يتفحص سالم ثم التفت إلى مبارك وقال:

- تظمن ذا علاجه بسيط.. وبا يقوم بالسلامة بإذن الله.
ثم التفت إلى أم سالم وسألها:
- عاد التناز فيه شيء نار.

- نعم فيه نار حتى بتدهر (٥٠) فيه.
- هاتوا لي حديد وعملوه في النار.. الوليد فيه (شوره) (٥١) ويحتاج كي.



بقيا على هذه الحالة حتى أتى موسم فتوح البحر في نجم
الهنعة، فأخذوا يترقبون وصول والدهم فلقد توقعوا
وصوله مع وصول الموسم.

كان توقعهم في محله فقد كان والدهم في ذلك الوقت
مبحراً مع أول سنبوق من ميناء قصير إلى السواحل،
أخذت رياح الشتاء تهب من جهة الشمال فتدفع السنبوق
بكل تؤدة حتى خرجوا من الميناء، ومع مرور الوقت
بدأت الرياح تشتد شيئاً فشيئاً، ثم هاج البحر واضطرب
ووجدوا أنفسهم وسط عاصفة قوية أخذ السنبوق يرتفع
إلى أعلى ثم يهوي بقوة ومعه يهوي كل شيء على ظهره،
خاف العبرية وبخاصة الذين يسافرون لأول مرة فأخذ
الربان والبحرية يطمئنونهم ويخبرونهم أن هذه عاصفة
عارضة وستزول سريعاً، لكن طمأنتهم لم تخفف هلع
الركاب المتزايد؛ فقد كانت الرياح تزجر بشدة،
واضطراب السنبوق أخذ في الازدياد.

قام الربان وبعض بحريته في معالجة الشرع وقام البعض
الآخر بـ (زلخ) (٥٥) الماء الذي بدأ يتسرب إلى السنبوق،
وعندما رأى عمرو بن سالم ما هم فيه من مشقة وعنت قام
بمساعدهم وحث بقية العبرية على ذلك، اختلطت
الأصوات وارتفعت.. أحدهم ينادي هنا لمساعدته في
سحب حبل والآخر ينادي هناك لمساعدته في زلخ الماء
وحمل السطول التي يزخون فيها، والربان قائم بينهم
ينادي على هذا ويوجه ذاك وأصبح سطح السنبوق كأنه
ميدان معركة وفي خضم ذلك كله انفلتت عجلة حديد مع
(شيبه) (٥٦) من الدقل فأصاب عمرو بن سالم في رجله
وأحدثت بها جرحاً غائراً أخذت رجله تنزف بشدة
ربطوها بعمامته ولكن نزيف الدم لم يتوقف، اقترح أحد
العبرية وضع (التيو) (٥٧) على الجرح فوضعه عليه فأخذ

عمرو بن سالم يتلوى من الألم، أعطاه الربان بعض
المسكنات التي يحتفظ بها معه لمثل هذه الحالات الطارئة
فهذا الألم نسيباً لكنه لم يزل.

بعد هنيهة خف اضطراب البحر وعاد الهدوء إلى السنبوق
فأخذ يتهادى في دعة وعادت الحركة تدب على سطحه
بصورة طبيعية، وتوزع العبرية هنا وهناك في حلق
يسترجعون أحداث يومهم ذاك، ومنهم من يلعب الورق
ومنهم من يلعب الدومينو ليقضوا ساعات السفر، أما عمرو
بن سالم فجلس في مكانه لا يبارحه فقد أثر التيو على
رجله فتورمت ولم يستطع الحركة، وأخذت حالته تسوء
يوماً بعد يوم، بقي على حالته تلك حتى دخولهم زنجبار.

كان مبارك بن سعيد في ميناء زنجبار عند قدوم السنبوق
الذي يقل صديقه عمرو بن سالم، وقف يتطلع إلى العبرية
الذين بدأوا يغادرون السنبوق وراعه خروج صديقه
عمرو بن سالم محمولاً على الأكتاف فهرع إليه سريعاً:

- حمد الله على سلامتك وما تشوف شر.

- الله يسلمك.. كيف سالم وأخوه؟

- سالم وأخوه بخير، وهم عندي في البيت.

- شلنا (٥٨) قبلهم.

- باشلك لازم الأول نعالجك ما هوزين يشوفوك وأنت
على ذه الحالة.

- لازم شوفهم مشتاق لهم.

- باتشوفهم بإذن الله.

- وكيف أم سالم؟

- بخير.

.....

.....



105

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م

الحضارم في لف التبغ وبيعه وبيع القاز (الكورسين) على بيوت الحي وغالبها بيوت شعبية وعشش، وكل منهم معه (مسرّج) (٥٩)، فيملاً لكل واحد منهم بعانة (٦٠)، وكان يعطيه الحضرمي في نهاية كل شهر ثلاثين شلن (٦١)، وكانت في ذلك الوقت مبلغاً مجزياً. أما أخوه صالح فقد عمل في بيع الفحم مع حضرمي آخر.

كان أخوه صالح يبدد فلوسه هنا وهناك بينما هو كان يدّخرها حتى جمع مبلغ أربعمئة شلن فاشترى بها قارباً منيارياً، وأخذ يذهب به إلى البحر للاصطياد في أوقات فراغه، ولم يكن يبيع ما يصيده وإنما يوزعه على جيرانهم، وبقي في عمله في لف التبغ وبيع القاز.. وفي ذات يوم أخذ أخوه صالح القارب وأوهمه أنه سوف يصطاد به ولكنه لم يعبده؛ فقد باعه وصرف فلوسه على مغامراته هو وصديقه.. حزن سالم في البداية لكنه تجاوز الأمر، فقد كان يحب أخاه كثيراً. مكثوا في السواحل سنوات عدة، اشتغلوا خلالها في مهن وأعمال مختلفة، ثم عادوا إلى بلدهم.

مكثوا في قريتهم مدة قصيرة تزوج خلالها أخوه صالح من إحدى بنات القرية، ثم عادوا قافلين إلى السواحل، وعندما كانوا يتهيأون للرحيل وهم على ظهر السنبوق حصل خلاف بين صالح وزوجته فطلقها على إثره وأخرجها من السنبوق وأعادها إلى الشاطئ، ثم أبحر مع أخيه إلى السواحل قاصدين زنجبار، وكانت هذه المرة الأولى التي يسافرون فيها لوحدهم فلم يكن معهم أحد من أهلهم.

في طريقهم إلى زنجبار مروا على مباسا ونزلوا بها لزيارة ابن عمتهم الذي يعمل هناك مع مجموعة من أبناء قريتهم. رفض ابن عمتهم مغادرتهم مباسا وأبقاهم عنده ولم يسمح لهم بالذهاب إلى زنجبار خوفاً عليهم من الضياع

نقل مبارك صديقه عمرو إلى المستشفى وتم معالجته هناك واضطروا إلى بتر بعض أصابع رجله، وبقي في المستشفى أياماً عدة حتى تماثل للشفاء، فتم نقله إلى البيت بعد أن أخبره مبارك بن سعيد بكل شيء عن زواجه من أم سالم، وعن مرض سالم وعلاجه وغيرها من الأحداث التي جرت لهم، بعد ذلك طلق زوجته لكي يعود إليها، وأخبره أنه لم يتزوجها إلا لحايتها وحماية أولادها.

فرح سالم بقدوم والده أيما فرح ولكن فرحته كانت منقوصة فقد عكر صفوها إصابة والده ورجله المربوطة ومراجعته المستمرة للمستشفى، وظل ملازماً له لا يفارقه، وبعد أن تماثل والده للشفاء أخبرهم أنهم سوف يعودون إلى البلاد مع قدوم موسم العودة.

لم يرق الأمر لسالم كونه قد بدأ يحب الجزيرة وأهلها، فطن والده لتغير حاله وحزنه فوعده بالعودة إلى هنا في الموسم القادم.

ومع بداية دخول نجم الغفر وفتوح الموسم كانوا جميعاً على متن أحد السنابيق المتجهة إلى قصير.. مضت رحلتهم بهدوء وانسيابية لم يعكرها شيء؛ فلقد كانت ريح الكوس مؤاتية، فأخذتهم في غصون عشرة أيام إلى ميناء قصير، ومنها اتجهوا إلى قريتهم سيراً على الأقدام.

بقي سالم يحن إلى زنجبار وأخذ يلح على والده في العودة.. أخبره والده أنه عند وعده وأنهم بانتظار الموسم.

ومع قدوم الموسم عاد سالم وعائلته فرحاً إلى زنجبار.. وبعد مضي بضعة أيام من وصوله عمل في دكان أحد



وبخاصة أنه لم يكن معهم من يرشدهم وهم في مقتبل الشباب.

بقوا في ممباسا واشتروا لأنفسهم بسطة وعملوا في بيع وشراء الملابس، لكن البلدية لم تتركهم لحالهم ولا حققتهم، وأخذت بسطتهم وأغلقت جميع البساط العشوائية، وقامت بإنشاء سوق شعبي كبير يتكون من دكك عدة وأجرتها لهم، استأجر سالم وأخوه دكة في ذلك السوق الشعبي بشلن ونصف، وظلا يعملان بها.. أصيب أخوه صالح بمرض في صدره فكان يسعل بشدة وكلما سعل نزل دم من جوفه ظل سالم مشتتاً بين عمله ورعاية أخيه حتى أتى موسم العودة إلى (بر عرب)، وكان ابن عمتهم ورفاقه قد عزموا على السفر إلى البلاد بعد أن أمضوا أكثر من ثلاث سنوات في ممباسا، فكان على سالم العودة معهم نظراً لحالة أخيه الصحية وإصرار ابن عمتهم على سفرهم معه. ركبوا سنبوق باكرت المتجه إلى قصير والذي كان من أوائل السنابيق التي استخدمت المكائن وانطلقوا من ميناء ممباسا صباحاً.. كان سالم يعتصره الألم فهو في شوق إلى زنجبار التي قضى بها صباه والتي لم يتمكن من زيارتها في رحلته هذه.

ظل سنبوق باكرت مبحراً لليلتين كاملتين حتى إذا وصل قرب (لامو) تعطلت ماكينته فقد انكسر فيها السن تيوب الذي يدير ريشتها، وتدفق الماء بغزارة إلى داخل السنبوق، حاول البحرية السيطرة على الماء لكنهم لم يفلحوا في ذلك.. أمرهم الربان (بنفل) (٦٢) الحمول من السنبوق أخذ البحرية في نفل أغراضهم وأغراض الركاب وبضائعهم، كان أكثر المتضررين ابن عمه سالم الذي كان معه عدد غير قليل من صناديق سليط السمسم، وكل صندوق به تنكتان ومثلها جواني الطعام

والبن والتي أراد الاتجار بها في المشقااص فكان مصيرها جميعها أعماق المحيط ولم يبق مع ابن عمته سوى صندوق به فلوسه وفلوس رفاقه وقليل من أغراضهم حاول البحرية رميه لكنه لم يمكنهم من ذلك فقد وقف عليه وحمل سكينه وهدد من يقترب منه بطعنه بها تراجع البحرية بعد أن أمرهم الربان بتركه لحاله.. أصبحوا صاريين (٦٣) وسط المحيط.. بقوا على حالتهم تلك حتى مرت عليهم (غنية) (٦٤) لأصحاب صور العمانيين لها ستة شرع فاستغاثوا بها، فرموا إليهم بشيئنة وتكور خلفها ستة من البحرية، وأخذوها فربطوها في دقل السنبوق وصدره وسحبوهم.

واصل بحرية باكرت زلخ الماء من السنبوق بينما استمرت الغنية العمانية في قطرهم لمدة خمسة أيام بلياليها حتى أوصلتهم مقديشو، تركهم العمانيون في ميناء مقديشو، وواصلوا رحلتهم إلى عمان. بقوا في ميناء مقديشو شهراً كاملاً لا يغادرونه إلا لشراء حاجياتهم من السوق.. وظلوا ينتظرون سنبوق يقلهم إلى البلاد، حتى أتاهم سنبوق لابن خير الله من أبناء قصير، وحملهم معه، وصلوا ميناء قصير بعد أيام عدة.. ومنه اتجهوا إلى قريتهم.

* * *

سأت حالة صالح الصحية، وتفاقم مرضه أكثر بسبب عناء السفر ومشقة الرحلة، ولعدم توفر العلاجات اللازمة ولم يمض عليه سوى بضعة أيام حتى فارق الحياة. لم يستقر الحال بسالم طويلاً في قريتهم فلقد كان بعد أسابيع قليلة على متن لنش بن السلطان مبحراً إلى الخليج العربي باتجاه دولة الكويت...



107

العدد (17)

يوليو
سبتمبر
م 2020

الهوامش:

* القصة مستوحاة من أحداث واقعية جرت وقائعها أيام السفر إلى السواحل الإفريقية رواها الخال سعيد بن سليمان الغتيني، والخال مبارك بن البخيت بن سليمان الغتيني.

(١) السواحل: تطلق على بلدان شرق إفريقيا.

(٢) يعاده إلا ولد: لم يمض على ولادته سوى وقت قصير.

(٣) يطربوا: نادوا.

(٤) يستنبي: يستجيب للنداء.

(٥) شلوا: خذوا.

(٦) ظلت: لفظة تحسر.

(٧) المراي: جمع مراباة وهي ما يكمن تحتها المقاتلون.

(٨) هاشين: جمع هاش وهو قطع الطرق الذين ينهبون الناس ويقطعون لهم.

(٩) حيقك: حلقك.

(١٠) متسلين: حاملين السلب وهو السلاح.

(١١) من ذا: من هذا.

(١٢) منين ظهر: من أين برز أو جاء.

(١٣) ما يلقطنا: مأخوذة من لقط الطيور للحب، وهي كناية عن دقة ضربه وإصابته للهدف.

(١٤) ريت: لفظة تمني بمعنى ليت.

(١٥) يم كمالك: كثيرًا من أمثالك.

(١٦) وراش انفسك: بمعنى لماذا أنت لوحده.

(١٧) بايلحقنا: سوف يأتي في إثرنا لاحقًا لنا.

(١٨) ما عليك منه: لا تهمهم ولا تشغل نفسك به.

(١٩) بيدبر: من التدبير وهو حسن القيام بالشيء.

(٢٠) ما حد: لا أحد.

(٢١) انشهد: لفظة تفيد التأكيد.

(٢٢) الصرنجي: نائب الربان.

(٢٣) البواير: جمع بابور وهو موقد يصنع من التبنك يطهو عليه الطعام.

(٢٤) الكزاب: ثمر جوز الهند.

(٢٥) من اليوم ورايح: يقصد به من هذا اليوم وما يليه من أيام.

(٢٦) عيالش: عيالك، أولادك.

(٢٧) الموسم: يطلق على مدة إبحار السنايق وهي محددة بوقت معلوم. وهناك موسمين: موسم الذهاب إلى السواحل وموسم العودة منها، ويطلق الموسم أيضًا على مجموع السنايق التي تبحر إلى السواحل.

(٢٨) جبتهم: أتيت بهم.

(٢٩) ورائنا: وراءنا.

(٣٠) أيش نسوي: ماذا نفعل.

(٣١) بتتخير: سوف نسأل.

(٣٢) تعبتك: أتعبناك.

(٣٣) عطلتك: جعلناك تترك عملك.

(٣٤) باروح: سوف أذهب.

(٣٥) غبش: اذهب مبكرًا.

(٣٦) باقطبه: سوف أقطعه.

(٣٧) التتار: التتار الذي يجيز فيه الخبز.

(٣٨) ريش: ريك.

(٣٩) عاشوفك: أراك.

(٤٠) يم: كثيرًا.

(٤١) ما يتسي: لا ينسى.

(٤٢) أيش تقولي: ما الذي تقولين.

(٤٣) سمعينا: ارفعي صوتك حتى أسمعك.

(٤٤) مرهاة: الرحي التي يطحن عليها حبوب الذرة ونحوها.

(٤٥) بعمله لامة: سوف أضعه مع بعض.

(٤٦) مسرفة: إناء منبسط يصنع من خوص النخيل.

(٤٧) ذخين: بمعنى الآن.

(٤٨) أيش ذا: ما هذا.

(٤٩) بايشوف: سوف ينظر ويعاين.

(٥٠) بتدهر: تضع فيه شيئًا لإضاجه.

(٥١) شبورة: مرض يصيب الأطفال يؤدي إلى ارتفاع الحرارة وآلام في المفاصل.

(٥٢) الورق: أسفل الكتف مما يلي المتن.

(٥٣) صب وهقف: شكل علامة +.

(٥٤) الصبر: عصارة شجر المر.

(٥٥) زلخ: لفظة يستعملها أهل البحر بمعنى غرف الماء من السنبوق.

(٥٦) شبينة: لفظة بحرية تطلق على نوع من الحبال السمكية.

(٥٧) التيتو: سائل لاذع يوضع على الجروح.

(٥٨) شلنا: خذنا.

(٥٩) مسرج: قنديل صغير يستخدم للإضاءة.

(٦٠) عانة: عملة نقدية من أجزاء الشلن.

(٦١) شلن: عملة نقدية إنجليزية.

(٦٢) نفل: لفظة بحرية بمعنى رمي الحمول من السنبوق إلى البحر.

(٦٣) صاري: واقف على ظهر البحر غارق بالماء.

(٦٤) غنية: نوع من السنايق.



قصة قصيرة

هذيان الكرونا

لا أدري أهى حكاية أم قصة مكتملة الأركان أم أنها مجرد كوابيس وهذيان، فقد بلغت بي درجة الحرارة يوم أمس اثنتين وأربعين درجة، بات أفراد أسرتي ينقلون الكمادات الباردة على جسدي لتعود كأرغفة الخبز الواردة تواء من المقلاة.

أحمد الله أنها لم تُصنبي جراء ذلك حمى شوكية أو أي مضاعفات جراء آفة الكرونا أو أي حمى جهولة أخرى ممن تحالفن وضربن خيامهن في أصقاعنا، وجعلننا يومياً نفجع بأنباء فقد الأحباب والأصدقاء هنا وهناك، الذين يتساقطون كأوراق الخريف وهم في ريعان شبابهم.

وأحمد الله أيضاً أنني أنقل لكم قصتي هذه قبل أن تلحد بين تلافيف دماغي، أرجو أن لا تكون هذه آخر العهد بكم أعزتي، فإليكموها:

كان أخي يشبهني ويشبه أبي أيضاً من حيث حب المغامرة غير أن ما يفرقه عنا أنه لا يحسب الحساب اللازم لعواقب مغامراته.

لقد ترك لنا والدنا قارباً متوسط الحجم عليه ما كينة (ياماها) بقوة ستة أحصنة نغطي به حاجة الأسرة.

* * *

في نهاية الربيع لا يكون البحر جواً حتى إننا نحجم عن الخروج للبحر ونلزم منازلنا أو نتسكع على السيف، غير أن أخي يصر على الإبحار.

فهو يضيق ذرعاً بنصيحتي، وكثيراً ما كان يتهكم بنصحي ويقول:

- وفر على نفسك نصائحك.

حتى إنني إذا ما وجدته قد شرع في عمل جيد أشجعه على ذلك بالسكوت والتجاهل لأنني عند ما أشيد بفعله هذا يعزف عن المضي فيه.

حسين السقاف



كنّا أباً عن جد نقطات من مهنة صيد السمك، وكان لأسرة أبي بيت صغير ولي أيضاً بيت مجاور لبيت أسرة أبي ويشبهه تماماً، مبنيان من الألواح الخشبية التي يجود لنا بها البحر بين حين وآخر حينما يقذف بها اليم في ساحل قريتنا القابعة في دعة تحت منحدر جبل (المحرات) بساحل مهرة بن حيدان بمحاذاة الحدود الغربية لبلد عُمان.

توفيت والدتي مبكراً، فتزوج أبي بامرأة أخرى أنجبت له ابناً. لم يعيش والدي بعد ذلك طويلاً فقد ابتلعه البحر وهو يصطاد، فتحملتُ منذ نعومة أظفاري أعباء الأسرة.



قبل نصف شهر قمت بلف ذروة برميل القارب - وهو أعلى ذروة في القارب - بشريط من الصفيحة الفسفورية بُغية أن يهتدي الصيادون وخفر السواحل إلى قاربنا في حال الضياع ليلاً تحسباً لرحلات أخي البحرية التي كثيراً ما يأتي منها متأخراً، ودرءاً لتكرار مأساة أبي، ولكن أخي عد ذلك تشويهاً لقاربنا وهدد بإزالته.

رغم أن الظلام قد خيم سريعاً بسبب تكدس السحب القائمة التي غطت الأفق.

فلم يطل اهتدائي إلى قارب أخي فأنا أعرف وجهته وما ساعدني على الاهتداء إلى قاربه هو بقايا الشريط الفسفوري الذي لم يتمكن من إزالتها والتي ما أن سلطت عليه ضوء الكاشف حتى لمعت كبارق عيني القط. ما إن التحقت به حتى ربطت قاربي بقاربه وصعدت إليه. كان البحر هائجاً ويزداد هيجاناً.

توليت قيادة القارب وكنت أدوس على الوقود بأعلى ما يمكن للهروب من الدوامة التي بدأت تجرنا إلى مركزها بحيث أصبح قاربنا كقشتين في مهب الرياح.

كان تيار الدوامة يزداد عنفاً ونحن نتجه إلى وسطه. وكان القارب المقطور بمحرك قاربنا يوشك أن يقتلع محرك قاربنا، فما كان مني إلا أن أخذت السكين وقطعت الحبل الذي يربطه ليدور معنا كقشة في فلك هذه الدوامة. بعد التحرر من القارب المقطور بقاربنا حاولت ثانية الخروج من فلك الدوامة إلا أن الأمطار التي كانت تهطل

كان يخرج للصيد قرابة ثلاثة أيام متوالية ويعود بخفي حنين. في اليوم الرابع قام بتعبئة برميل الوقود الذي ثبتناه سلفاً بشكل جيد في القارب إذا ما اعتزمنا الذهاب بعيداً في رحلات صيدنا في (بحار ما بعد الستين) لتزويدنا بما نحتاج من الوقود، ونستفيد أيضاً من ثقل البرميل لإحداث توازن في القارب بحيث يذهب أحدنا في الجانب الآخر للقارب الذي ربطت بجانبه الموازي مرسة حديدية هي أشبه بمرسة أو حذوة قدمي الفارس على جانبي الخيل.

أدركت أن أخي كان يحضر لرحلة صيد في خليج عُمان الذي يكثر فيه الأسماك والذي لا يبعد عنا كثيراً. حاولت أن أثنيه عن هذه المغامرة وأن أحذره من مغبتها.

عندما أبحر أخي في الصباح كان الجو صحوً وكانت الشمس ساطعة، كان الطقس ما زال يحمل بقايا برودة الشتاء الآفلة ويهب علينا البحر بنسمات (العليا) الجنوبية المنعشة، غير أنها ما إن مالت الشمس في ذلك اليوم صوب زوالها حتى تداعت في الأفق بشكل سريع سحب ركامية تتحد وتتشابك شيئاً فشيئاً لتتضاعف سريعاً قناتها.

كنت وقتئذ مولياً ظهري المنزل وموجهاً نظري صوب البحر وأنا أنظر إلى هذه السحب وكلي قلق على أخي.

بينما كنت كذلك أتت زوجة أبي تصيح بي قائلة كيف تترك أخاك في مواجهة البحر والسماء العابسة، فما كان مني إلا أن أخذت أحد قوارب الصيادين المتوقفين أربابها عن الصيد والتي يعج بها ساحل قريتنا.

ذهبت إلى منزلي لأودع زوجتي وأطفالي وأخذت معي علبة ماء، واصطحبت سكيناً وبطارية كاشفة حديثة بحيث تصنع رقعة صغيرة من الضوء، ولكن مدى ضوئها يصل إلى أكثر من ميل بحري، كنت قد وضعتها على جانب خاصرتي.



علينا كانت غزيرة، فعمدتُ إلى إفراغ القارب من هذه المياه المتجمعة خشية أن تغرق قاربنا.

* * *

كان أخي يتشبث بالحبل الذي يربط البرميل بعرض القارب ويحتمي به من ماء البحر والمطر معاً، في حين كنت أنا متشبثاً بالمرسة في الجانب الآخر للقارب.

كان أخي يرمقني بعينين متسللة خصلات شعره المسدلة على وجهه بفعل الماء المالح والعذب معاً. لم أعرف طبيعة هذه النظرات غير أنه ما لبث أن اندفع مترنحاً عليّ بكليته ليبعد يدي عن العروة التي كانت تتشبث بها يميني فتركتها له وعدت إلى حيث كان هو خلف البرميل.

فسألته

- كيف تشعر؟

وأردفت... قريباً ستبتدء الدوامة، فقد أخبرني أبي بأنها لا تدوم كثيراً ولكنه لم يجر جواباً! واكتفى بهز رأسه ذي الشعر الطويل الذي يحجب ملامحه.

حاولت أن أوصل يدي إليه لأمسه فوجدته ساخناً بعد ربع ساعة انتشر بقاتمه الفارعة على القارب وكان مترنحاً ولكن لم يُطل على ذلك الحال، فقد اختطفه في لمح البصر جسمٌ غريبٌ إلى الدوامة لينتزع من القارب، كان ذلك في الوقت الذي بدأت الدوامة تخفف من غضبها.

استخدمت بطارية الكاشف لأنظر إلى حيث يكون أخي فوجدته عالقاً في شجرة من تلك الأشجار المحاطة بالجدوع والألواح الخشبية التي اصطادتها الدوامة لتجعلها مثلنا تدور في فلكها، ولنبدو كأننا أزرار قمصان ندور وسط غسالة كهربائية.

حللتُ الحبل الذي يربط البرميل بالقارب وربطت في طرفه الآخر حذائي وقذفت بها إليه. كررت ذلك مرات، ولكن لا فائدة فلا حراك لأخي، أصبحت الشجرة بمحاذاة القارب، فقررت أن أُلقي بنفسي في البحر لاستعادته. لكن الدوامة سرعان ما ابتلعتة.

كان الحزنُ والقنوط قد بلغا بي مبلغاً عظيماً على أخي، ثمة أصوات كثيرة يتردد صداها في رأسي الذي يوشك على الانفجار، أصوات زوجة أبي تقول لي:

- أرسلتك لإنقاذ أخيك فإذا بك تقتله. أصوات أهل القرية وهم يرددون خلفي وفي مجالسهم مشيرين بسباباتهم نحوي:

- هذا الذي قتل أخيه

كان علي أن أُلقي بنفسي في الدوامة لإنقاذ أخي لنعيش معاً أو نموت معاً.

ما فائدة الحياة بغير أخي.

لقد مات أبي في البحر، ومات أخي في البحر، وأنا حتماً سأموت في البحر عاجلاً أم آجلاً.

كانت هناك أصوات أكثر تطالبني بأن أُلقي بنفسي في البحر.

كنت أقول لنفسي:

- الصيادون بشر ولكنهم يصبحون أسماكاً في آخر لحظات حياتهم لذلك فهم يقبرون في البحر.

صعدت في مقدمة القارب بعد أن عقدت العزم على أن أُلقي بنفسي في الدوامة، كنت أحاول استحضار شيء من القرآن قبل أن أُلقي بنفسي لكن لا فائدة، لم يحضرني شيء منه على الإطلاق.

في هذه الأثناء كانت زوجتي قد وضعت كمادة صاقعة من الثلج كبيرة الحجم أشبه حجماً بالرفيف. وضعتها على وجهي فانتفضت انتفاضة من صعق بالكهرباء ووجدت نفسي غارقاً في رشحي. كنت أخلق في من حولي بعينين جاحظتين

- أين أنا الآن؟

كان كل أفراد أسرتي من حولي يمسكون بالكمادات المتعددة ويمسكون بجسمي المرتعش.

قالت زوجتي:

- أنت في بيتك بين أسرتك.

- الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور.



نوافذ حضرية على شجى في الطريق

نصوص قصيرة جداً



صالح سعيد بحرق

هويبر

أمام جذع نخلة، أسندت رأسها في (صويبر).. تصل إليها رائحة الماء الكبريتية، تتأمل البثور في منكبيها تتأمل الدمايل في ساقها البيضاء.. وتحلم بعودة إلى رباه في تلك البلاد البعيدة.. تترك خلفها رائحتها المميزة وبقايا سيجارتها الوحيدة..

تريم

تمتد مآذنها لتطاله في تلك الربوع الواسعة الفسيحة / يقف أمام بيوتها / فيعرف ما بداخلها من ألفة / وحب و حياة بسيطة.. يجلس في مقهى يشرب الشاي / فتندفع من حوله أطياف الأمس والرجال / الكانوا هنا.. والساقية / والجبل والمحراب.. والمخطوطات الفريدة..

حيرة

لم يكن على يقين أنها تجبه / كل ما في الأمر أنه كلما لقيها / كانت تسرع إلى إطعام الطيور بألفة غريبة / وتنتظر منه أن يمر بعد أن تطير إلى فضاءاتها المديدة.. يحمل في ثناياه وعد لامرأة مختلفة كلما حاول أن يفهمها أصاب بحيرة كبيرة.. وتظل سفينته للحلم.. ورؤاه الجديدة..

حفاوة

حينما يلقاها تفيض من بهجته على الطريق والأشياء.. تتناغش في باله ذكريات بعيدة.. تتنافس على الانطلاقة إلى بهو الشوق.. تغدو شيئاً ذا قيمة كبيرة وتستلطفه تلك الحواف المشتعلة بالوجد والسنون والأيام.. والليالي الوحيدة

هديل

كانت فيض محبة تؤازر القلب، كانت ميلاد نشوة، وكلمة، وخاطرة فريدة.. مهبط القصيدة كانت.. والإلهام في منافي الغياب.. وليالي الشتات والوحدة الشديدة..

مرفأ

يغتاله الحنين كلما وقع في هجسه / يشعل مداه بالوهم / فيبحر في مركب الشوق إلى مرفأ النسيان.. والذكرى الأليمة.. ويرحل إلى أدغال منسية بالوهم.. وتصابي.. يفتح مدناً أخرى للتوق.. ينصهر.. في اشتهاات الطريق الجديدة..

يا موتُ مهلاً!

عندما تقطفُ المنيّةَ قلوبَ الأحبة؛

كموسمٍ حصاداً!

علماء في اليمن؛ ومحسن في بلاد الحرمين؛ وشاعر في الكويت؛
ومحدث في الهند، وأطفال بمصر، وباحثة في أوروبا..
ومثلهم مئات الآلاف في دهاليز العالم وبيوت أهلهم ومستشفياتهم!!
وقد تجاوز الحصاد العالمي ثلاثمائة ألف روح بشرية خلال أشهر فقط!



د. عبدالله سالم زين باحميد

دعهم؛ وسقني للحمامِ فداكَ
والرعبَ ترسله لنا عيناكِ
رفق؛ وتحصد بالمئاتِ يداكِ
فوق الجموعِ تجد في مسعاكِ
يلقى المنونَ بسמעٍ لخطاكِ
أفسدتَ حسنَ الأرضِ يا هذاكَ
فجنونك العاتي بماذا دهالكِ؟
يجري بجسمك والعذابُ دعاكَ؟
كيف الحياة إذا الظلام غزاكَ؟
جرسٌ؟ ليوقظها هنا الأفلاكُ
لغزٌ..؟ فيا إنساناً ما أعيالكِ
خوفي عليكِ فلا أريدُ سـواكَ
حاشا الكريم يردنا حاشاكِ
زلزال جرح مالهم إلاكِ
فالأرض حيرى والحكيم يراكِ

يا موتُ من بأحبتي أغراكِ؟
ما لي أراكِ تحت سير مشمّرٍ
ما لي أراكِ تجوب كوكبنا بلا
وبدون تمييزٍ تضمّ جموعهم
هلا ارعويتِ فإن قلبي قد غدا
ماذا تريد؟ لقد عبثت بزرعنا
قد كنت فينا زائراً متعقلاً
هل أن كورونا غدا متغلغلاً
تطفي الشمسَ بكل صبحٍ ويحنا
أو منحقة أم محنقة أم أنه
أجريمة.. وتأمّر.. أم أنه
وتقول لي نجوى ويغرقها البكاء
يا موتُ رفقا والإله حسيبنا
ما لي انزلقت مع الخواطر هزني
يا قلبُ ثبّ واستيقنن وقم وتبّ



113

العدد (17)

يوليو

سبتمبر

2020م



(قبصة حشيمة)

وحيث سيادة العادات الاجتماعية التي تمنع الاختلاط بين الجنسين، وتحرص فيها المرأة على تغطية معظم أعضاء جسمها، وفي مثل هذه المجتمعات الحضرية التي يتسم أهلها بالمحافظة يكون من الصعوبة بمكان حدوث تواصل بين الجنسين بعيداً عن رقابة المجتمع، ولا ريب أن ظهور هذه المقولة وشيوعها كان قبل ثورة الاتصالات الحديثة بمسافة زمنية طويلة، ولعل هذا يقربنا لفهم فرص حصول مكان فعل الاحتكاك (القبصة) على سلام (رقاد) البيوت، وهي حيز تلتزم فيه النساء بلباسها كأنها في الشارع العام تماماً بتمام، ومن جانب آخر تؤثر المقولة إلى أن هذا الفعل المشين مرفوض اجتماعياً وينظر بازدراء لفاعله.

و(القبصة) بمعناها الاصطلاحي بحسب المقولة: هو حصول فعل اللمس المتعمد والمباغت لمكان في جسم المرأة المعتدى عليها، وبهذا فهي ليست الفاعلة لفعل (القبص) أو القرص كما قد يبدو من ظاهر النص (قبصة حشيمة) وسكوت المرأة (المجني عليها) هو قرار حكيم للدفاع عن الشرف أكثر منه القبول أو الرضا؛ لأن أي صوت في تلك المنطقة الضيقة سيسمع وسيفسر بما لا تحمد عقباه. تجدر الإشارة إلى أن التحرش فعل نادر الحدوث، ولا يشكل ظاهرة مزعجة في المجتمع الحضري. وكما للمجتمعات الحضرية تقاليداً وعاداتها فإن للمجتمعات الريفية وبالأحرى البدوية تقاليداً الخاصة المتعلقة بردود فعل المرأة عند التحرش بها، وبمقارنة مجال



أ.د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

تتداخل الأمثلة الشعبية والمقولات المأثورة في دلالاتها ومعانيها عند إسقاطها على مواقف الحياة المتنوعة وإن اختلفت السياقات وتعددت المناسبات، وسنوضح ذلك بأمثلة في السطور القادمة، وإذا بدأنا من عنوان المقال سنعرف أن الحضارمة في حوارهم الشفاهي البيني غالباً ما يكتفون بكلمتي (قبصة حشيمة)، اختصاراً لمقولة يرددونها نصها الكامل: (كما قبصة حشيمة في الرقاد)، وقبل تفكيك هذا النص علينا توضيح المعنى المباشر بحسب الفهم المتعارف عليه وهو: إن المتحدث أو المتحدث عنه تصرف مثل ما تصرف فلانة (المحصن)، التي فضلت التكتم وعدم إعلان التحرش بها حفاظاً على سمعتها حتى لا تكون في موضع الشبهات.

وإذا تتبعنا أصل النص بصيغته العامية سنلاحظ أنه مرتبط بالمناطق الحضرية (المدن والبلدات الكبيرة)؛ حيث البيوت المتعددة الطوابق، التي تقطنها عائلات كثيرة متنوعة من حيث القرابة الأسرية، والمكانة الاجتماعية،



114

العدد (17)
يوليو
سبتمبر
2020م

ومع مرور الزمن ترسخت مقولة (قبصة حشيمة) في الوعي الجمعي، وصارت (ثقافة سلوكية) يمكن ملاحظتها ورصدها لمن تصدى بالبحث العلمي لدراسة الشخصية الحضرمية، كما وجدت للمقولة تطبيقاتها وإسقاطاتها في مواقف مقارنة لاسيما عند أولئك الذين قرروا وضع حد قاطع لتصرفات معينة أو مواقف عابرة جعلتهم في المكان الخطأ، وقد تحضر هذه المقولة على لسان مسؤول غض الطرف، أو ستر موظفًا تجاوز في عمله على حق من الحقوق، وغالبًا يكون لمثل هذا المنحى أثر طيب ومستدام لاسيما عند أولئك الذين عناصر الخير أصيلة في ضمايرهم، "ومن مننا معصوم ما قد يوم زل".

لكن أحيانًا تنحرف هذه المقولة عن أداء دورها في النصيحة، من ذلك عند استحضارها من أطراف للقبول بأوضاع خانعة، أو عند تعمّد غض الطرف عن تصرفات طائشة تضر المجتمع، فتتمظهر المقولة عند هؤلاء بمظهر الحكمة، وما هم عنها بقريب، وأحيانًا تكون المقولة حاضرة عند المحللين السياسيين لاسيما عند أصحاب وجهات النظر، التي ترى في انتهاج دولة ما لموقف ضبط النفس، وعدم الرد عند الاعتداء عليها من دولة أخرى أقوى منها، والأمثلة كثيرة في العلاقات الدولية المعاصرة. بقي القول: إذا كان الدرس من ردة فعل (الحضرية) هو الحث على التحلي بفصائل: الصبر، والستر، والطهر، فإن (البدوية) تُذكر بصوتها الواثق من نفسه بقول المتنبي:

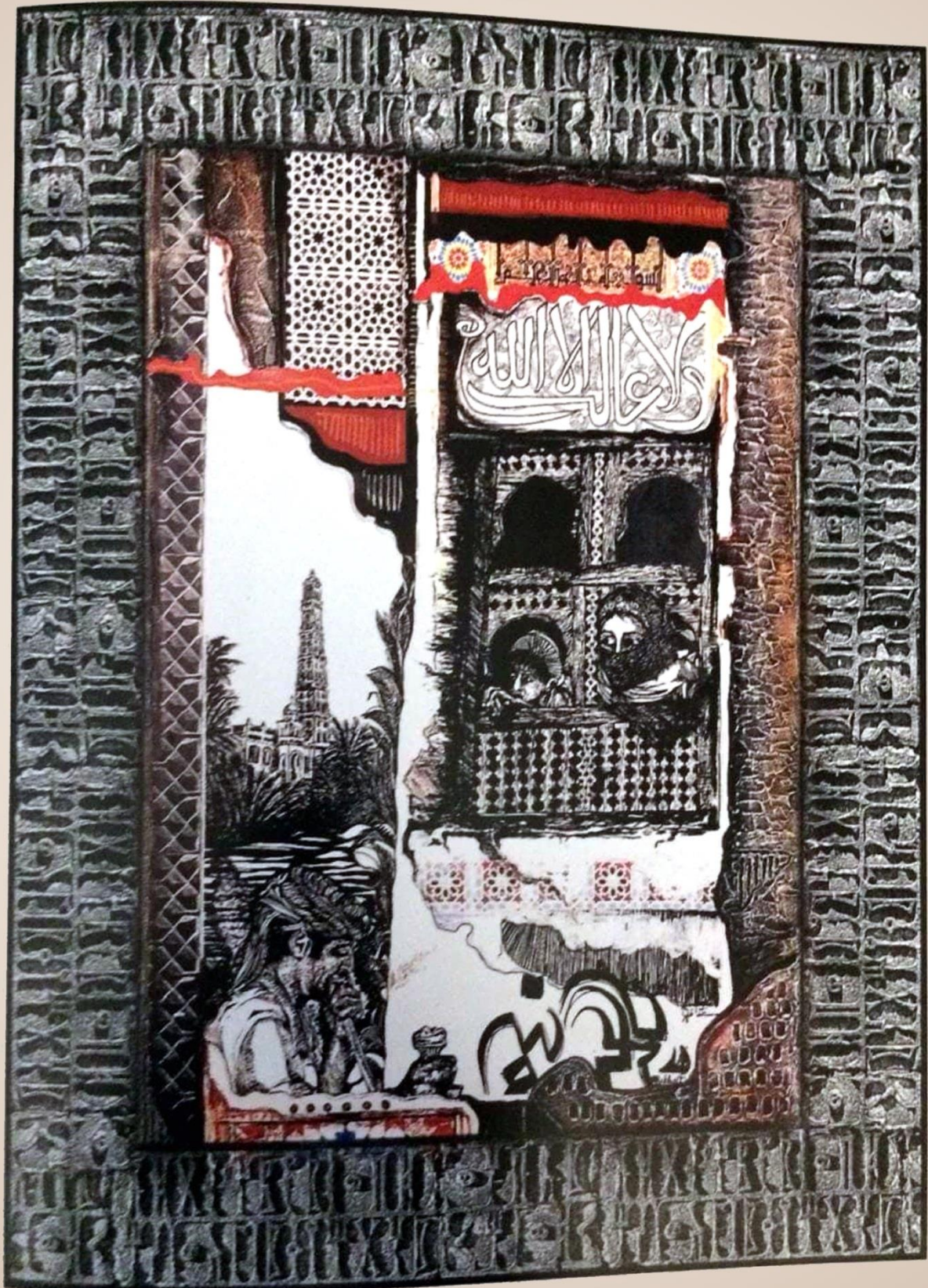
لا يسلم الشرف الرفيع عن الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

وكلتاها على خير..

الحركة خارج مكان السكن بين المناطق البدوية والريفية نجد المجال يكون أرحب أمام الفتاة البدوية لقيامها برعي الأغنام، وجمع الحطب، وجلب الماء، وبحكم خصوصية المجتمع البدوي الذي يقوم على قرابة النسب أو العائلة الكبيرة الممتدة يجعل مساحة تواصل النساء الاجتماعي أكثر اتساعًا؛ لأن رجال القبيلة هم الحماة والعزوة، ولهذا غالبًا ما تكون التجاوزات من الغرباء عابري السبيل، والبدوية ترد السلام على الغريب وتجنب عن تساؤلته بما تعرف عكس الفتاة الحضرية التي لا تتحدث حتى مع أبناء عموماتها إلا في حدود ضيقة، ولهذا نجد موقف البدوية يتصف بالقوة عند الاعتداء عليها سواء باللفظ أو باللمس وتسارع إلى الاستنجاد بقبيلتها، وفي حالات معينة تقول للمعتدي: (عنيت منك)، أي أطالب بحق وتعويض جراء هذا الاعتداء، وهنا لا بد من محكمة قبلية تلزم المعتدي بدفع غرامة مالية أو عينية (ناقة أو بندقية). ويمكن نعزو الموقف البدوي القوي تجاه (المتحرشين) - فضلًا عما ذكرناه - إلى أن نساءهم غالبًا ما يضطرون إلى الابتعاد عن مثاوي القبيلة، لهذا لو حدث تهاون قد تتكرر حالات الاعتداء، وعلى أية حال فإن المعادل الموضوعي بين تكتم (الحضرية) وصياح (البدوية) أن الكل معني بالحشمة والعفة التي تؤكد عليها العادات العربية والتعاليم الإسلامية، والاختلاف في ردود الأفعال ممكن فهمه في سياقاته وليس من خارجه، فالتفكير البدوي في مثل هذه المواقف يتسم بالمباشرة، ويفضل نزع الحق باليد وحسم الأمور، في حين تداخلات المجتمع الحضري تميل فيه ردود الأفعال إلى أسلوب التهذئة، والتريث في اتخاذ القرارات. ولسنا هنا بصدد الحديث عن التواصل الاختياري بين الرجال والنساء الذي يقوم على القبول والرضا فتلك قصة أخرى لها أبعادها المتنوعة وقواعد العشق الخاصة بها.

لوحة للفنان التشكيلي / علي غدّاف



يصدر
قريباً



مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

